تاريخ بلاد الأندلس في العصر الإسلامي

تأليف

الأستاذ الدكتور محمد بشير حسن راضي العامري

جامعة بغداد - كلية البنات - التاريخ



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان

تاريخ بلد الأندلس

في العصر الإسلامي

تاليف

الأستاذ الدكتور محمد بشير حسن راضي العامري

جامعة بغداد-كلية البنات -التاريخ





http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : تاريخ بلد الأندلس
في العصر الإسلامي

Title : TĀRĪḪ BALAD AL-ANDALUS
FĪ AL- 'AṢR AL- 'ISLĀMĪ

THE HISTORY OF ANDALUSIA
UNDER ISLAM

التصنيف : تاريخ – تاريخ الأندلس

Classification: History - History of Andalusia

المؤلف :الأستاذ الدكتور محمد بشير حسن راضي العامري

Author : Prof. Dr. Muhammed Bashir Hassan Radi Al- 'Amiri

الناشر : دار الكتـب العلميـة – بيـروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	288	عدد الصفحات
Size	17×24 cm	قياس الصفحات
Year	2014 A.D - 1435 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنـان
Edition : 1st		الطبعة : الأولى

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13: 978-2-7451-7806-0
ISBN-10: 2-7451-7806-7

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الصلاة والسلام على سيد المرسلين

وخاتم الأنبياء محمد وآله وصحبه أفضل الصلوات

نقدم للأعزاء الباحثين والدارسين كتاب تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي الذي ساد به التسامح والتلاقح والاحترام والتعاون والمحبة بين أهل الأديان السماوية الثلاث، يعد الأندلس جوهرة العرب في أوروبا ، وقد اعتمدنا بالتأليف على منهاج علمي أكاديمي مركزا على ابرز مراحل عصور التاريخ الأندلسي وأبرز أحداثه السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية معتمدين على المخطوطات في أسبانيا وأمهات المصادر الأولية والمراجع الحديثة عن الأندلس مع ذكر مفردات أسماء أندلسية عن حوادث ومدن قدمه لنا الأجداد العظماء في الأندلس من انجازات حضارية رائعة تعد مفخرة وللاعلام باللغة الأسبانية.

الغاية والهدف الساميان بالتأليف هو دافع إبراز معالم أهل الأندلس وتاريخهم المجيد خلال أكثر من ثمانية قرون من الوجود العربي الإسلامي (92 - 897هـ 711 - 1492م) بطريقة وأسلوب بحثي ومنهجي وعلمي وحضاري يناسب ما للعرب المسلمين من مجيدة لا يزال صداها وبصماتها موضع فخرٍ واعتزازٍ في تاريخ الأندلس ومحط أنظار العالم، حيث يزور أسبانيا سنويا أكثر من 60 مليون سائح لمشاهدة آثار الإسلام في أسبانيا وبذلك تجني الحكومة الأسبانية أموالا طائلة تفوق واردات البترول في العالم العربي حسب إحصائيات وزارة السياحة الأسبانية بفضل الحضارة الأندلسية العربية الإسلامية.

في الختام أقول:

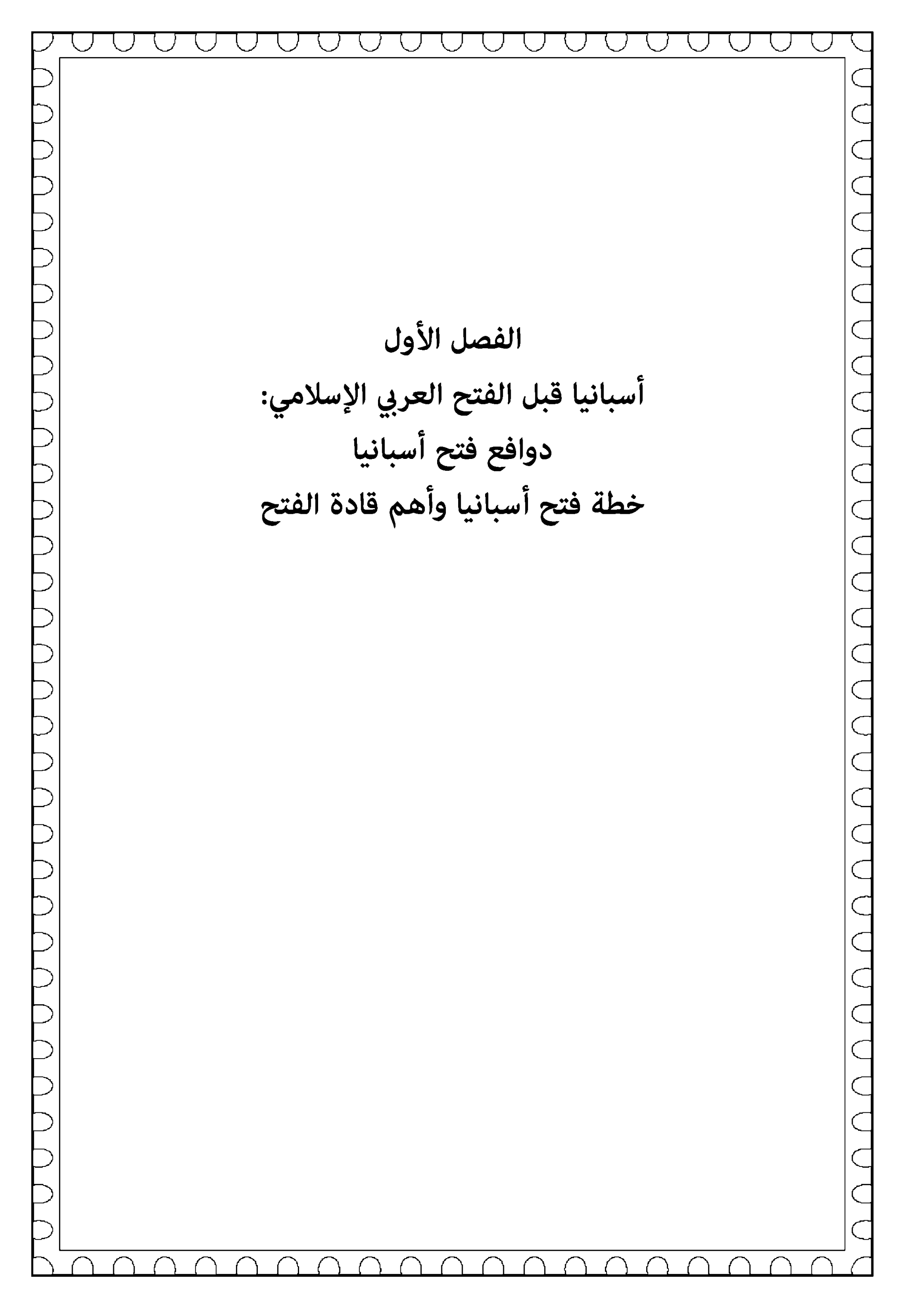
هـــذا كتـــاب بـــديع في محاســـنه	ضـــمنته كـــل شيء خلتـــه حـــسنا
فكـــل مـــا فيـــه مـــر اللبيـــب بـــه	ولم يـــشم عبـــيرا شـــام منـــه ســـنا
فخـــذه واشـــدد بـــه كـــف الـــضنين	وذُدْ حتـى تحـصله عـن جفنـاك الوسـنا

أسأل اللـه تعالى التوفيق والنجاح لما قدمته في تاريخ الأندلس وحضارته وأخدمه مدى العمر في تقديم ما هو افضل وأجمل وأروع لتراث الاجداد العظام الذين زرعوا روح التسامح والاحترام والتعاون والتلاقح بين الحضارات والنصائح والتوصيات لخدمة الانسانية وحقوق الانسان والشفافية والنزاهة، فلهم الفضل في بقاء الإسلام وحضارته لوقتنا هذا ويعترف الأسبان النصارى بأن العلماء الأندلسيين عبدوا لهم طريق الحرية والاحترام والتعاون والرزق لأهل أسبانيا بفضل ما تركوه من عمران تراثي ومخطوطات تعج بها مكتباتهم مثل الاسكوريال والوطنية والأكاديمية ومتاحف المدن الأسبانية مثل المسجد الجامع في قرطبة وقصر الحمراء في غرناطة صارت مقصداً للسياح والعشاق للتراث الأندلسي يزورون أسبانيا سنويا ويصرفون العملات الصعبة في الاسواق والفنادق فليترحم الأسبان على علماء الأندلس ويمجدونهم ويعملون النصب التذكارية والندوات العلمية والرسائل والأطاريح الجامعية لعرض مجدهم ونتاجهم، فرحمهم اللـه وخلدهم التاريخ.

المؤلف

الأستاذ الدكتور محمد بشير حسن

راضي العامري



الفصل الأول

أسبانيا قبل الفتح العربي الإسلامي:

دوافع فتح أسبانيا

خطة فتح أسبانيا وأهم قادة الفتح

أسبانيا قبل الفتح العربي الإسلامي

يطلق اصطلاح الأندلس Al-andalus على أسبانيا بعد الفتح العربي الإسلامي حيث تحدثت الروايات التاريخية عن اصل التسمية للاصطلاح " اندلوسيا" ومنها:

1. رواية تقول إن التسمية جاءت نسبة إلى قبائل الوندال Vandalus للسكان القدماء لشبه الجزيرة الايبيرية.

2. ويذكر الجغرافيون الأندلسيون مثل الشريف الادريسي والحميري عن الجذور التاريخية للتسمية فيقولون، أن اسم الأندلس في اللغة اليونانية " أسبانيا" ويقال: " إن اول من اختط الأندلس بنوطوبال بن يافث بن نوح، سكنوا الأندلس في اول الزمان"[1].

ثم ذكر لنا عدداً من الروايات عن التسمية منها " وقل اسمها في القديم: اباريه، ثم سميت بعد ذلك: باطقة، ثم سميت اشبانيا من اسم لرجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان سميت بالاشبان الذين سكنوها في الاول من الزمان وسميت بعد ذلك بالأندلس من اسماء الأندلسيين الذين سكنوها "[2].

---

(1) الشريف الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر عالم الكتب، ط1، بيروت، 1409هـ 1989م، ج2، 525: الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار (نشر بعنوان صفة جزيرة الأندلس منتخبة من.....) تحقيق ليفي بروفنسال، (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر) القاهرة، 1937، ص1: ابن غالب الغرناطي، فرحة الانفس في تاريخ الأندلس (نشر بعنوان نص أندلسي جديد قطعة من كتاب....) تحقيق: لطفي عبد البديع، مصر، 1956، ص12، (وأندلس من ولد يافت بن نوح هو اول من عمر بالارض فسميت به، وقال اول عمرانها بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس) انظر القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، 14 جزءاً (القاهرة، 1913 / 1918) ج5، ص236، قال الرازي في (كتاب الاستيعاب في تاريخ الأندلس) اول من ملكها بعد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالأندلس ومنهم يسمى الأندلس).

(2) الحميري، الروض، ص3.

3. وقال الجغرافي القرطبي ابو عبيد البكري[1] إن اسمها في القديم ابرية من وادي ابرة (Ebro) والذي يقع في شمال شرق شبه الجزيرة الايبرية ويصب في البحر المتوسط عند مدينة طرطوشة (Tortosa) وثم سميت بعد ذلك باطاقة من وادي بيطي، وهو نهر قرطبة[2] والذي يعرف بالوادي الكبير (Guadaquivir) ثم سميت اشبانية من اسم ملكها في القديم كان اسمه اشبان، إن اسمها إنما هو في الحقيقة اشبارية قسماه من اشبرش، وهو الكوكب المعروف بالاحمر، وسميت بعد ذلك بالأندلس من اسماء الاندلش الذين سكنوها[3].

4. اسطورة القديسة لوشيا Lucia: يذكر أن هذه القديسة عزمت ذات يوم على أن تعيش في بلد لا ينافسها فيه قديس ارفع منها شأنا، وبعد أن استعرضت بلدان العالم لم تجد بينها ما يفضل عن أسبانيا من مناظرها وخيراتها وشمسها الساطعة، ولذا عزمت وقررت أن تتخذ آسيا مستقرا ومقاما بعد أن سمعت بصوت يهمس في آذانها قائلا: اندلوسيا (Anda Lucia)وتعني بالأسبانيا " اذهبي لوشيا " ولا ترددي وادخلي أسبانيا.

حكم القوط الغربيين (Visigodos) أسبانيا وهم من القبائل والشعوب البربرية النازحة من شمال أوروبا بعد طردهم من قبائل الوندال (Vandalus) وامتازوا بالتخريب والتدمير والوحشية والسلب والنهب[4]. وسادت أسبانيا أوضاع متباينة في السياسة واختلاف وتأخر في المستوى المعاشي في المجتمع حيث الجهل وانعدام الحرية والظلم والاستغلال والتخلف الاقتصادي وتسلط الكنيسة ونوجز الاوضاع العامة بنقاط بارزة هي:

---

(1) البكري القرطبي، المسالك والممالك (نشر بعنوان جغرافية الأندلس وأوروبا)تحقيق: د. عبد الرحمن علي الحجي، بيروت 1387هـ - 1986م، ص57.

(2) البكري القرطبي، المسالك والممالك، ص58.

(3) البكري القرطبي، المسالك والممالك، ص58 - 59.

(4) طرخان، ابراهيم علي، دولة القوط الغربيين، القاهرة، 1958م، ص16 وانظر:
Saavedra. Eduardo, studio, Sobre La Invasion de Los Arabes en Espana, Madrid 1882, P 26 Guichot, Joaguin, Historia General de Andalucia, Madrid 1869, vol I P279.

نظام الحكم السياسي:

استولى الملك لذريق أو رودريك (Rodrigo) على السلطة بأسبانيا بعد عزل الملك غيطشة Witiza الذي حكم أسبانيا بعد ابيه اخيكا (Egica) سنة 700م وذلك قبل الفتح العربي الإسلامي لأسبانيا، وكان نظام الحكم انتخابيا ملكيا وراثيا مستبدا وكان لرجال الدين النبلاء دور مهم في اختياره، وكان الملك مطلق السلطة في إصدار القوانين.

عمل الملك غيطشة على اصلاح أسبانيا وامتاز حكمه بالاستقرار والاصلاح والعدالة وعمل على اطلاق السجناء والسماح للمنفيين بالعودة إلى أسبانيا وارجاع الاملاك المصادرة لهم[1] ولكن لم تمض اكثر من سبع سنين على ولايته حتى بدل سياسته التي اغضبت الشعب الأسباني منها انه سمح القساوسة بالزواج، واتباع اسلوب القتل والتنكيل والتعذيب والنفي للبارزين من الأسبان بالاضافة إلى هدم الحصون والأسوار والسماح لليهود بالعودة إلى اسبانيا وممارسة معتقداتهم الدينية بحرية بعد أن طردوا من قبل ابيه اخيكا متهمين بالخيانة والتآمر[2] كما خرج غيطشة على طاعة واحترام البابا قسطنطين.

يذكر صاحب كتاب (اخبار مجموعة) أن غيطشة ترك ولدان هما ابه وششبرت[3] علما أن المؤرخ ابن القوطية القرطبي اوردهم ثلاثة أبناء وبأسماء مختلفة كما جاء بالنص التالي: وان آخر ملوك القوطي بالأندلس، هو غيطشة، توفي عن ثلاثة أولاد اكبرهم المنذر ثم رملة، ثم ارطباس وكانوا صغارا عند وفاة ابيهم "[4] واوصى

---

(1) سالم، د. عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص51.

(2) مؤنس، د. حسين، فجر الأندلس، ط1، القاهرة 1959، ص14، طرخان، ص119، سالم، تاريخ، ص58، ليفي بروفنسال، تاريخ، ص6.

Levi Provencal, Historia de Espana Musulmana, T.IV P.6.

(3) مجهول المؤلف، اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، مكتب عنبر (دمشق د. ت) اعيد عن طبعة مدريد 1867 (لافونتي القنطرة) ص5.

(4) ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، طبع مجريط 1868م، ص2.

غيطشة لابنه عند موته ولكن لذريق اغتصب السلطة بالاتفاق مع الحزب المعارض لحكم غيطشة، الملك الذي كان قبله، وكان اثيرا لديه مكينا، فاستصغر اولاده لمكانه، واستمال طائفة من الرجال مالوا اليه، فانتزع الملك من اولاد غيطشة واستبقاهم فكانوا اهم الذين دبروا عليه "[1].

المجتمع الأسباني في ظل حكم القوط وقبل الفتح العربي الإسلامي:

كان المجتمع في وضع صعب وحالة من الحرمان والبؤس والظلم والتعسف والعبودية والارهاق والتمايز الطبقي فضلا عن القيام بفرض الضرائب الثقيلة، وأعمال السخرة ومشاق العمل في قصور النبلاء والأشراف ورجال الدين[2].

اما الاحرار من أهل المدن والتجار واصحاب المزارع الصغيرة، فاستمروا يعيشون تحت رحمة اقوياء في حال هي الصغيرة، واستمروا يعيشون تحت رحمة الاقوياء في حال هي وسيط بين الحرية والرق وظلت بقية أهل البلاد ويخدمون الارض والاغنياء[3] والتحق التجار وصغار الزراع والملاك إلى طبقة الاغنياء لحمايتهم من الضرائب.

نوجز السمات التي سادت المجتمع الأسباني بالنقاط الآتية:

1. التمايز الطبقي، حيث يشكل المجتمع الأسباني من مجموعة طبقات متباينة في الحقوق والامتيازات هي:

أ. طبقة رجال الكنيسة وانتظموا في مجلس من كبار القساوسة الكاثوليك في طليطلة (Toledo) وأصبح أعلى مجلس في أسبانيا بعد أن انضم اليها النبلاء.

ب. طبقة النبلاء وهم كبار الاثرياء في المجتمع وملاكو الاراضي.

---

(1) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. احسان عباس، في 8 مجلدات مع الفهارس، دار صادر (بيروت 1388هـ-1968م) ج1، ص233.

(2) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، في جزءين، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1389 هـ/1969م، ج1، ص30.

(3) مونس، فجر، ص21.

ج. عامة الشعب من المتوسطين والضعفاء في المستوى المعاشي.

د. العبيد وتشكيل نسبة كبيرة في المجتمع الأسباني.

ه . اليهود الطبقة المتنفذة على الاقتصاد الأسباني.

2. سادت المجتمع القوطي الفوضى والاضطرابات بسبب تفشي الفقر والظلم والحرمان من العيش مما ساعدت تلك الاوضاع على ترحيب المجتمع الأسباني والفتح العربي الإسلامي لأسبانيا من اجل انقاذهم والمحافظة على ثرواتهم الطائلة.

2. العبودية والرق التي ظهرت في معظم مدن أسبانيا، وكانت هذه الطبقة محرومة من الحقوق والامتيازات تحت ظلم المتنفذين.

3. تباين المستوى المعيشي بين الطبقات المجتمع في الماكل والملبس.

4. انحسار الاقتصادي الأسباني وفرض العمل بيد فئة قليلة، وكان التجار اليهود يتلاعبون بالاقتصاد لمصالحهم.

وصار رجال الكنيسة من المتعصبين للكاثوليكية يلاحقون اليهود ويوجهون لهم الاتهامات، منها التآمر على امن أسبانيا والاضطهاد لذا نرى اليهود يرحبون بالفتح العربي الإسلامي لأسبانيا من اجل انقاذهم والمحافظة على ثروتهم الطائلة وليس حبا بالعروبة والإسلام كما يتصور البعض خطا.

5. قسمت أسبانيا إلى اقاليم ومقاطعات Provincia يدير الاقليم الدوق (Docus) أما المدن فيديرها الكونت (Conde)[1]، واستعان هؤلاء الحكام بالمواطنين الذين يقومون بكل ما تحتاج اليه الحكومة الاقطاعية في الشؤون المالية والقضائية والحربية.

6. امتاز نظام الحكم الملكي بالاستبداد وحرية اصدار القوانين والضرائب الثقيلة على المجتمع[2].

7. غنى وثراء الكنيسة المسيحية التي كانت تسيطر على الاوقاف والاحباس

(1) المرجع السابق، ص21 - 22.

(2) طرخان، دولة القوط، ص، 144.

فضلا عن التبرعات والهدايا التي تحصل عليها من الناس وتصرف على مصالح رجال الدين الشخصية ولم يعملوا على تحسين اوضاع الناس ومساعدة المحتاجين من الأسبان، مما جلب نقمة عامة الناس في المجتمع الأسباني على الكنيسة والسياسة التي تعمل لها[1].

8. انعدام الحرية الدينية، إذ اصدر ملوك القوط عدداً من التشريعات ضد اليهود منذ ايام الملك الاريك الثاني، فقد حرم عليهم هذا الملك الزواج من المسيحيات، أو اقتناء عبيد مسيحيين وجعل لهم قوانين خاصة بهم، وفي عهد ريكاريدو قرر مجلس طليطلة التعسف مع اليهود، وبالغ ششبرت بن غيطشة في سياسة الاضطهاد، فأمر جميع اليهود في أسبانيا باعتناق المسيحية خلال عام واحد[2].

الفساد الاجتماعي الاخلاقي المتمثل بالملك لذريق (Rodrigo)الذي اعتدى على شرف فلورندا (Florinda) بنت الكونت خوليان (Julian) حاكم سبتة (Ceuta) كما تحدث لنا صاحب " كتاب الاخبار مجموعة" بقوله: وكان جميع ملوك الأندلس والحكام يبعثون اولادهم الذكور والاناث إلى بلاط ملكهم بطليطلة (Toledo) وهي يومئذ قصبة الأندلس ودار ملكهم يكونون في خدمة ملكهم لذريق (Rodrigo) لا يخدمه غيرهم يتادبون بذلك حتى اذا بلغوا تزوج بعضهم من البعض وتولى تجهيزهم فلما ولى لذريق اعجبته ابنة خوليان فوثب عليها فكتب إلى أبيها أن الملك وقع بها[3] وتؤكد هذه الرواية الحالة التي وصل فيها المجتمع أن عدداً من

(1) سالم، تاريخ المسلمين، ص64.

(2) سالم، تاريخ المسلمين، ص56، عنان، دولة، ج1، ص31.

(3) مجهول، اخبار مجموعة، ص5، ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح، ص8، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال دار الثقافة، (بيروت د. ت). ج2، 9. الحميري، الروض، ص7، المقري، نفح، ج1، 236، عنان، دولة، ج1، 35 مؤنس، فجر، ص68. والتحليل والتعليق المهم على كلمة (القحبة) التي نسبت إلى فلورندا بنت الكونت خوليان في المصادر المسيحية عما ذكره الملك الفونسو العاشر يقول لنا» Alfonso X el Sabio, Primera Cronica Genral, ed.Menedez Pidal

المصادر الأسبانية قد انكرت رواية فلورندا بنت حاكم سبتة الكونت خوليان لأنها تشوه السمعة التاريخية لأسبانيا القوطية لما تحمل وتؤكد على الانحلال الاخلاقي الأسباني وكانت الحالة احد الاسباب والدوافع غير المباشرة للفتح العربي الإسلامي الذي احترم المجتمع الأسباني وساعده وحرره من الحالات السلبية التي اوردناها اعلاه.

الحالة الدينية لأسبانيا:

اعتنق الأسبان المسيحية ويدينون بالكاثوليكية، أما القوط الغربيون فقد اعتنقوا المذهب الاريوسي[1] الذي يعتقد بطبيعة السيد المسيح (عليه السلام) البشرية.

وكان لرجال الدين المسيحيين دور كبير حيث كانوا مسيطرين على كل شيء لدرجة أن بعض الأسبان كانوا يعتقدون أن رجل الدين في استطاعته أن يدخل الجنة أو النار فضلا عن نفوذهم السياسي إلى جانب نفوذهم الروحي ومشاركتهم في

-

حاكم قشتالة الفونسو العاشر في تاريخه العام إن الكونت يوليان كان من اكابر الاشراف الذين يرجع اصلهم إلى القوط وإنه كان قريبا للملك وتيزا Witiza ولما نشب الخلاف الداخلي حول العرش انضم الكونت إلى انصار الحكم القديم وانصار الملك وتيزا، وكان غنيا شديد البأس، كثير الاتباع أو جهل بعضهم بالبحر، بعيدا عن سلطة العرش، ويقبض على مفتاح أسبانيا بحكمه لسبتة والمضيق، وكان من خصوم الحكم الجديد يخشى عواقبه عن مركزه وسلطانه، فاتصل به ابنا وتيزا وباقي الزعماء الخوارج، واستقر الرأي على الاستنجاد بالعرب جيران الكونت مان يوليان كان يعمل بدافع الانتقام الشخصي ايضا، فقد كان له ابنة رائعة الحسن تدعى فلوراندا أو كابا، ارسلها إلى بلاط طليطلة جريا على رسوم ذلك العصر، لتلقي ما يليق بها من التربية بين كرائم العقائل والفرسان، فاستهوى جمالها الفتان قلب ردريك فاغتصبها وانتهك عفافها، وعلم الكونت بذلك فاستقدم ابنته اليه واقسم بالانتقام». العالم الاجتماعي لحكام أسبانيا، اما المصادر الإسلامية فقد اجمعت على ذكرها وتأييدها والتأكيد عليها كحقيقة تاريخية وقعت قبل الفتح العربي الإسلامي وكانت احد دوافعه.

(1) Isidrd de Sevilla, Cronica de Espana Sagrada, Madrid 1747-1886, 51Tomos) p.5

خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر 1986.

انتخاب الملك ومباركتهم انتخابه، كما أعفيت ممتلكاتهم العقارية من الضرائب أسوة بالنبلاء[1].

وفي سنة 587م اعتنقت الكاثوليكية كديانة رسمية بموجب قرار ديني صدر من مجتمع طليطلة الديني وتوثقت علاقات أسبانية بالبابوية، واصبحت طليطلة اسقفية لتمثيل سلطان البابا والرهبان، كما حدث جراء التحول إلى المذهب الكاثوليكي بعد أن أصبحت اللاتينية اللغة الرسمية في أسبانيا[2].

وكان اليهود يشكلون مجموعة دينية كبيرة في أسبانيا قبل الفتح العربي الإسلامي وكانوا في وضع متردٍ في معاملة من الكنيسة يعانون أبشع ألوان العذاب والاضطهاد والاجبار على التنصير، وفي عام 616م فرض التنصير على اليهود النفي أو المصادرة فاعتنق عدداً كبيراً منهم النصرانية كرها واجبارا وحدث اتصال وتعاون بينهم وبين يهود المغرب الإسلامي الملك الأسباني اخيكا (Egica) فقرر معاقبتهم وعقد اجتماع للاحبار في طليطلة وصدرت القرارات بكونهم خوارج على أسبانيا يتآمرون على سلامة الدولة وتمت مصادرة املاكهم واصبح عدد كبير منهم ارقاء أو عبيداً عند رجال الدين النصارى من الكاثوليك بموافقة الملك الأسباني وأن يحرر ارقاؤهم من النصارى ويمنحون بعض املاكهم، وان ينتزع ابناؤهم من سن السابعة ويربون على دين النصارى، ولا يتزوج عبد يهودي الا بجارية نصرانية، ولا تتزوج يهودية إلا بنصراني[3]. تم حرمان اليهود من ممارسة التجارة في أسبانيا، ولم

---

(1) العبادي، د. احمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1978، ص5.

(2) مؤنس، فجر، ص8-9.

(3) عنان، دولة، ج1، 32 اعتمد على مصادر اجنبية مترجمة منها لانجدوك، والمؤرخ دوزي الهولندي انظر: خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب، ص14 - 15 مؤنس، فجر، ص14 يؤكد نصا على أنه " لا نملك دليلا واحداً على علاقة ما بين يهود أسبانيا وبربر افريقيا قبل الفتح الإسلامي وأن يهود افريقية كانوا وقتئذ في محنة. يستفاد من اطروحة الدكتوراة بعنوان: اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، خالد مؤنس عبد العزيز الخالدي، إشراف د. خليل ابراهيم الكبيسي، كلية الآداب، جامعة بغداد 1420هـ 1999م (غير منشورة).

تتحدث المصادر عن الدوافع الحقيقة لذلك المنع ويرجع لاسباب هي:

1 - عقيدتهم المخالفة للمسيحية.

2 - تعاملهم بالربا.

3 - كبرياؤهم.

4 - سوء معاملتهم واستغلالهم الفرص.

5 - دوافع سياسية للسيطرة على أسبانيا واقتصادها وقد حاول اليهود التخلص من تلك الازمة بدفع الرشوة للنبلاء ورجال الكنيسة الكاثوليكية[1].

وصف جغرافية ومناخ أسبانيا:

تقع أسبانيا (شبه الجزيرة الايبيرية La Peninsula Iberica) في الجنوب الغربي من أوروبا ، وتحدها البحار من جميع الجهات ماعدا الجزء الشمالي، فيحدها الشامي (المتوسط) من الشرق والجنوب، ومن الغرب بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) ويفصل أسبانيا عن فرنسا شمالا شريط حدودي من السلاسل الجبلية، وثبت المسلمون حدودهم مع الممالك الأسبانية الشمالية بالثغور الأندلسية وهي:

1. الثغر الاعلى (الاقصى) وقاعدته مدينة سرقسطة Zaragoza.
2. الثغر الاوسط وقاعدته مدينة طليطلة Toledo ومدينة سالم Medenceli.
3. الثغر الادنى (الاسفل) وقاعدته مدينة قورية Coria.

ويتكون الشمال الأسباني من الممالك الأسبانية والدويلات الأسبانية Los Reinos وهما:

1. مملكة قطلونية Cataluna في الشمال الشرقي وفيها مدينة برشلونة Barcelona.
2. مملكة اراكون Aragon وفيها مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الاعلى.
3. مملكة قشتالة Castilla وفيها القلاع والحصون وبها مدينة برغش Burgos.
4. مملكة نبارة Navarra وتقع وسط الشمال الأسباني.

---

(1) خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب، ص15.

5. مملكة ليون Leon إذ تجاور مملكة جليقية.

6. مملكة جليقية Galicia في الشمال الغربي من أسبانيا، وتقع فيها كنيسة القديس يعقوب احد حواري السيد المسيح عليه السلام Santiago de Compostela ولها مكانة مقدسة عند الحجاج المسيحيين ويزورونها كل عام.

ويصف الجغرافيون أسبانيا بقولهم: ويحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث فجنوبها يحيط به البحر الشامي وجوفيها يحيط به البحر المظلم، وشماليها يحيط ببحر الانقليشيين من الروم، والأندلس اقاليم عدة ورساتيق جملة في كل اقليم منها عدة والركن الواحد من اركانها الثلاثة هو الموضع الذي فيه قادس بين المغرب والقبلة[1]، وتتمتع أسبانيا بمناخ لطيف معتدل الحرارة وتنخفض كلما اتجهنا شمالا وامطاره شتوية، وذكر المناخ من الجغرافيين بقولهم: " والأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها "[2].

دوافع الفتح العربي الإسلامي لأسبانيا: 92هـ/711م

يمكن إيجازها بالنقاط الآتية:

1. لنشر الإسلام والعروبة في البلدان ما وراء البحار مثل شبه الجزيرة الايبرية (أسبانيا).
2. انقاذ المجتمع الأسباني من الظلم والعبودية بسبب سوء احوال أسبانيا العامة.
3. تنفيذ خطة الخلافة الاموية في دمشق بالتوسع في أوروبا والاطلاع على العالم الخارجي.
4. الاستفادة من خيرات وثروات أسبانيا الاقتصادية.

(1) الادريسي، نزهة، ج2، ص525: الحميري، الروض المعطار، ص3: ابن حوقل، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص105.

(2) الادريسي، نزهة، ج2، ص525: الحميري، الروض المعطار، ص3: ابن حوقل، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص105.

5. تلبية لنداء حاكم سبتة الأسباني الكونت خوليان (Julian)حسب ما ورد في الرواية العربية من اجل تخليص أسبانيا من الفساد السياسي والديني والاجتماعي[1][2].

6. حماية شمال المغرب العربي الإسلامي وإبعاد المخاطر الخارجية عنه من الاعداء.

ظهرت فكرة فتح أسبانيا عند اتصال الكونت خوليان حاكم سبتة بوالي شمال افريقيا موسى بن نصير[3] الذي اتصل حالا بخليفته الاموي بدمشق الوليد بن الملك (86 - 96هـ) يعلمه بالخبر ويتباحث معه حول هذا العمل الجهادي المهم ويطلعه على اتصال خوليان معه، وقد وافق الخليفة على ذلك على أن يدرس موسى بن نصير الفكرة جيدا ولا يخاطر بأرواح المسلمين قبل أن يتأكد من الامر خشية من أن يكون حيلة أو مكيدة للايقاع بالجيش الإسلامي، ان الفتح لم يكن مغامرة حربية ارتجالية بل كان فتحا منظما بموجب خطة ذكية ومدروسة ثم التخطيط لها واعدها بدقة بين الوالي موسى بن نصير والخليفة الوليد بن عبد الملك وبمساعدة القائد طارق بن زياد ودعم واسناد من حاكم سبتة الكونت خوليان هذا شأن الإسلام في كل فتح وتحرير للاراضي المهمة بتطبيق تعليمات اساسية هي:

---

(1) ابن غالب الأندلسي "فرحة الانفس في تاريخ الأندلس " ص12: الحميري، الروض، ص3.

(2) الكونت خوليان: يرى جيبون Gibbon أن الكونت لايستحق وصمات الخيانة والخسة والغدر مطلقاً، إذ أنه لم يكن يريد تسليم بلاده للعرب، بل كان يريد منهم اسقاط حكم الملك لذريق الأسباني.

(3) موسى بن نصير: مولى لبني أمية وأصله من علوج اصابهم خالد بن الوليد رحمه الله في عين التمر فادعوا أنهم رهن وأنهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان فأعتقه وبعثه وعقد له في سنة 78هـ على افريقية وما خلفها، ما اورده مجهول المؤلف، اخبار مجموعة، ص3، كما حدث عنه ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق د. احمد مختار العبادي، مدريد 1971. ص44 - 45 ذكر ان موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد البكري، وله سنة 19هـ في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان معاوية بن أبي سفيان قد ولى نصيرا هذا على والد موسى هذا على حرسه فلم يقاتل معه... وكان موسى ذا رأي وتدبير وحنكة وتجربة في جميع الامور.

الحصول على موافقة الخليفة واقناعه بالمهمة، وضع الخطة العسكرية المحكمة للفتح، إعداد واختيار المقاتلين المتحمسين والمؤمنين بالفتح والقادة البارزين، وتجهيز الاسلحة الدفاعية والهجومية الخفيفة والثقيلة البسيطة والمركبة، الاتصالات السرية وبث العيون الصبر والمطاولة بالقتال.

أكدت المصادر الأندلسية على أن الكونت خوليان بعد حادثة الاعتداء على ابنته فلورندا Florinda واتصل بالمسلمين لانقاذ الموقف والانتقام من الملك الأسباني الذي اعتدى على شرف ابنته وقد وضح لنا ذلك صاحب كتاب الاخبار مجموعة بروايته:

فبعث إلى الوالي موسى بالطاعة واقبل به فأدخله المدائن بعد أن اعتقد لنفسه ولاصحابه عهد رضيه واطمأن اليه ثم وصف له الأندلس ودعاه اليها وذلك في عقب سنة تسعين فكتب موسى إلى الوليد بتلك الفتوح وبما دعاه اليه يليان فكتب اليه أن خضعها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال بروايته: " فبعث (طارق) رجلا من مواليه يقال له طريف ويكنى بأبي زرعة[1] في اربعمائة ومعهم مائة فارس فسار في اربعة مراكب حتى نزل بمراكبهم جزيرة يقال لها جزيرة الأندلس التي هي معبر مراكبهم ودار صناعتهم يقال لها جزيرة طريف سميت به لنزوله فيها "[2].

ومن ابرز نتائج الحملة الاستطلاعية بزعامة القائد طريف بن ابي زرعة المعافري هي:

1. حققت النجاح في اتصالات طريف مع الجانب الأسباني.
2. تأكدت من حسن نوايا الكونت خوليان حاكم سبتة.
3. تعرف على سوء احوال واوضاع أسبانيا العامة والحاجة الماسة إلى

---

(1) طريف بن مالك المعافري الملقب بأبي زرعة كان عربيا يمنيا، ويرى ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، 5 أنه بربرياً، انظر ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص45 حاشية 3 تعليق د. احمد مختار العبادي.

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص6.

الاصلاح.

4. تعرف على غنى أسبانيا وخيراتها الغزيرة.
5. الاطلاع على المسالك والممالك الأسبانية المهمة.
6. ساعدت على اقناع الخلافة الاموية والوالي موسى والقائد طارق بالشروع بالحملة وتجهيز الجيش وإعداده للفتح.

عجلت على التخطيط لوضع برنامج لصناعة السفن فأمر موسى في التجهيز والتعجيل بصناعة السفن كما أكد لنا ابن حيان القرطبي بقوله: " وكان عمل من السفن عدة "[1] ومصدر آخر يؤكد ايضا على ذلك " وكان موسى منذ وجه طارقا لوجهه، قد اخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة، فحمل إلى طارق وفيها خمسة آلاف من المسلمين مدداً"[2].

اهتم القائد طارق بإعداد واختيار جيشه من القبائل المغربية وتجهيزهم وتزويدهم بالتوجيهات والنصائح وحثهم على الجهاد من اجل نصر الإسلام، واختلفت الروايات التاريخية في تقدير عدد المقاتلين مع القائد طارق فمنهم من يقول إنهم (7) آلاف مقاتل وآخر من يذكرهم (12) الف مقاتل غالبيتهم من أهل (البربر)[3] حسب ما جاء بالخبر الآتي: فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جلبهم البربر والموالي ليس فيهم عرب الا قليل... وكان موسى مذ وجه طارقاً اخذ في عمل السفن حتى صارت معه سفن كثيرة فحمل اليه خمسة آلاف فتوافى المسلمون بالأندلس عند طارق اثني عشر الفا[4].

ذكر المؤرخ ابن الكردبوس نصا هاما عن الفتح جاء فيه وامر (موسى) يليان

---

(1) اوردها نقلا من المقري، نفح الطيب، ج1، 233، ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، 5 نقلا عن ابن حيان القرطبي.

(2) المقري، نفح، ج1، 257.

(3) انظر: ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص (وعقد له على اثني عشر الفا بين عرب وبربر، وامر يليان بالجوار معه لجملته) ذنون، الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والأندلس، ميلانو، بغداد1983، ص163، خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب، ص25 يرجح 12 الف مقاتل عبروا مع طارق لاول مرة.

(4) مجهول، اخبار مجموعة، ص6 - 7، الرفيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص72.

بالجواز معه (طارق) بحملته، وانحاش اليه خلق كثير متطوعون، فمضى بسبتة وجاز في مراكبه إلى جبل فأرسى فيه باسمه إلى الآن وذلك سنة اثنتين وتسعين من الهجرة، ووجد بنص الروم وقوفا في موضع وكما كان عزم على النزول فيه إلى البر، فمنعوه منه، فعدل عنه ليلا إلى موضع وعر فوطأ بالمجاذف وبراذغ الدواب، ونزل منه إلى البر، وهم لا يعلمون، فشن غارة عليهم، وأوقع بهم وغنمهم، ورحل نحو قرطبة بعد أن أحرق المراكب وقال لاصحابه قاتلوا أو موتوا "[1]. النص المذكور اعلاه يطلعنا على أن قوة من القوط الأسبان قد واجهت حملة طارق ومنعته من النزول إلى البر وقاوموه وهو دليل على شعور الأسبان بوجود خطر إسلامي خارجي يهدد أسبانيا، مما اضطر القائد طارق يغير خطته المرسومة للرسو في ذلك وتغيير موضع الرسو، والبحث عن آخر من شواطئ أسبانيا الجنوبية تفاديا للخطر والمقاومة الأسبانية.

اما عن موضع حرق السفن من قبل القائد طارق والخطبة التي ألقاها باللغة العربية في قواته بعد أن احرق السفن، فقد تحدثت عنها المصادر الأندلسية والمشرقية واختلفت في روايتها ولا يفوتنا أن نذكر هنا ما اورده المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي من تصور وآراء في فتح أسبانيا من مبالغات وصور اسطورية خيالية اوردها بقوله: "وحديث الفتح، وما فتح اللـه على الإسلام من المنح، واخبار ما افاء اللـه من خير، على موسى بن نصير، وكتب من جهاد طارق بن زياد، مملول قصاص واوراق، وحديث افوال واشراق، وارعاد وابراق، عظم امتشاش، وآلة معلقة في حانوت قشاش"[2].

إن حادثة حرق السفن وخطبة القائد طارق اوردها فريق من المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين نذكر منها الجغرافي الادريسي الذي ذكر بأن طارق " لما جاز بمن معه من البرابر وتحصنوا بهذا الجبل، احس في نفسه أن العرب لا تثق به، فاراد أن يزيح ذلك عندما أمر باحراق المراكب التي جاز بها، فتبرا بذلك عما اتهم به"[3].

---

(1) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص46 - 47 وقد احرق مراكبهم.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص5، المقري، نفح، ج1، 174 - 175.

(3) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص540، الحميري، الروض، ص75 النص يتقارب المعنى مع ما اورده الادريسي.

إذا سلّمنا واعترفنا بقصة حرق السفن فإن القائد طارق كان يهدف من عمله حث جنوده على القتال ويقطع عنهم فكرة العودة والعبور ثانية إلى العدوة المغربية ويزيد من حماسهم القتالي والاصرار إلى الحصول على النصر، وهناك دليل تاريخي وقع مقاربا لحادثة حرق السفن من قبل طارق مفاده أن فاتح أسبانيا ارنان كورتس Hernan Cortes عندما فتح المكسيك عام 1519 م أمر بإحراق السفن وإغراقها ليلا بعد أن أمر بإنزال المقاتلين والامتعة إلى الشاطئ الامريكي بعد أن اكتشف مؤامرة قامت بها جماعة من قواده للهرب بالسفن إلى أسبانيا[1].

ودليل آخر على تأكيد صحة قصة حرق السفن، إذ يوجد مثل شعبي عند أهل أسبانيا الإسلامية معروف بالأسبانية وهو أن هذا المثل يستخدم بين عامة الأسبان يقول: " لقد أحرقت جميع مراكبي " وبالأسبانية Me Has quemado Todas Mis Naves (Barcos)وهناك فريق من المؤرخين ينكرون على طارق قيامه على حرق السفن ويستدلون على المبررات الآتية:

1. كيف يحرق طارق سفن غيره التي استعارها من الكونت خوليان حاكم سبتة.
2. كيف يخاطر القائد طارق بأرواح المسلمين ويعلم أنه سوف يحتاج اليها لنقل وعودة المقاتلين والذخيرة الاضافية لتحقيق النصر وديمومته.
3. لا يعتقد بأن المقاتلين المسلمين سوف يتخلفون عن الجهاد في المعركة لانهم شاركوا بإيمان ورغبة عالية من اجل نصرة الإسلام وإعلاء كلمته[2].

أما عن الخطبة التي ألقاها طارق بعد حرق السفن باللغة العربية وبأسلوب لغوي رائع وجميل يجلب الشك والحيرة عند بعض الباحثين كون طارق بربريا. كما يمكن قبول صحة الخطبة لأن طارق كان حسن الكلام وينظم ما يجوز ويروي شعرا بالعربية وربما جيشه كان يفهم العربية فضلا عن لغتهم البربرية.

نذكر نص الخطبة للفائدة والاطلاع على المعاني الفريدة التي وردت فيها كما

---

(1) Perez Brutamante, Compendio De La Historia de Espana, Aguado Bleye, Manuel de la Historia de Espana, p.500.

العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص62.

(2) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص62 العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص60 - 63.

نقلها لنا المقري وتقول:

" قام (طارق) في اصحابه، فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو اهله، ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال: ايها الناس، اين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته، واقواته موفورة، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم، ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم، وإن امتدت لكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم، وتقوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذه الطاغية، فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لانفسكم بالموت، واني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس الا وانا ابدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الاشق قليلا استمعتم بالأرفه الالذ طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي، وقد بلغكم ما انشات هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات بالدر والمرجان والحلل المنسوجة بالقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله اعلاء كلمته وإظهار دينه في هذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى اولى انجادكم على ما يكون لك ذكر في الدارين[1].

واعلموا أني اول مجيب ما دعوتكم اليه، وإني عند ملتقى الجمعين حامل

(1) المقري، نفح، ج1، 240 - 241 نقلا عن ابن خلكان، وفيات الاعيان ج5، 321 - 322 كما اورد الخطبة: عبد الملك بن حبيب، افتتاح الأندلس، تحقيق د. محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، العدد5 (1965) 222 ذكرها باختصار. وانظر: ابن هذيل الغرناطي، تحفة الانفس وشعار سكان الأندلس، مصور لويس مرسي، باريس 1932، ص70 - 71 مقارب النص ابن حبيب، عند ابن قتيبة، الامامة والسياسية في كتاب ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص138 - 139.

بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم امره، ولم يعوزكم بطل عاقل تستندون اموركم اليه، وإن هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا اليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون"[1].

ويمكن ايراد الاستنتاجات التاريخية التي ظهرت في الخطبة بالنقاط الموجزة الآتية:

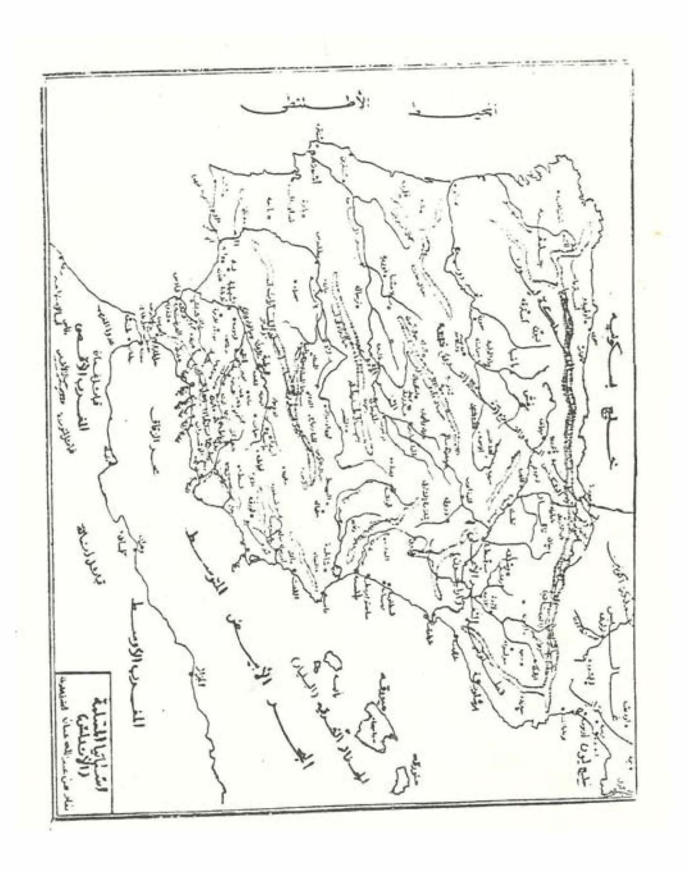
1. براعة القائد طارق باللغة العربية على الرغم من كونه بربريا وهذا ما يؤكد صحة ما ذكره ابن الكردبوس على أن طارق حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه[2].
2. حث المقاتلين على مواصلة الجهاد حتى الاستشهاد في سبيل الله.
3. التوصية والتأكيد على المقاتلين بالحذر واليقظة والاستعداد لمقاتلة العدو.
4. اغراء جنده بالخيرات الغزيرة والنساء الجميلات في بلاد الأندلس.
5. رغبهم بالشهادة والجنة وأكد عليهم بالصدق والصبر في القتال.
6. حذرهم من كثرة جيش العدو الكافر، ووفرة اقواته، وذخيرته.
7. أعلمهم بثقة الخلافة الاموية بزعامة الوليد بن عبد الملك وحسن اختياره لهم وثقته بهم.
8. أجبرهم على قتل الملك الأسباني لذريق حتى لو استشهد القائد طارق في المعركة.

حدث اللقاء العسكري الحاسم بين الجيش الإسلامي وبين الأسبان في رمضان 92هـ/711م عند كورة شنونة (Sidonia) في موقع اختلف المؤرخون في تحديده بدقة لذا اتخذت المعركة تسميات عديدة: وادي البرباط وادي لكة اوبكة، السواني، السواقي، وادي الطين، البحيرة.

وعندما علم بالخبر الملك الأسباني لذريق (Rodriqo) بعبور القوات الإسلامية إلى أسبانيا واستعد مع جيشه لمواجهة الجيش الإسلامي بقيادة طارق بن زياد، كما جاء بالرواية الآتية: "ورحل لذريق قاصدا قرطبة يريد طارقا، فلما تدانيا، تخير لذريق

(1) نقلا عن المقري، نفح، ج1، ص265.
(2) نقلا عن المقري، نفح، ج1، ص265.

رجلا شجاعا عارفا بالحروب ومكائدها، وامره أن يدخل في عسكر طارق فيرى صفاتهم وهياتهم، فمضى حتى دخل في محلة المسلمين، فأحس به طارق فأمر ببعض القتلى أن تقطع لحومهم وتطبخ، فأخذ الناس القتلى، فقطع لحومهم وطبخوها، ولم يشك رسول لذريق أنهم يأكلونها. فلما جن الليل امر طارق بهرق تلك اللحوم ودفنها، وذبح بقرة وغنما وجعل لحومها في تلك القدور، واصبح الناس، فنودي فيهم بالاجتماع إلى الطعام، فأكلوا عنده، ورسول



لذريق يأكل معهم، فلما فرغوا، انصرف الرسول إلى لذريق وقال له اتتك امة تأكل لحوم الموتى من بني آدم، صفاتهم الصفات التي وجدنا في البيت المقفل، وقد احرقوا مراكبهم، ووطنوا على الموت أو الفتح، فداخل لذريق وجيشه من الجزع ما

لم يظنوا[1].

والرواية المذكورة تريد توضيح فكرة عن الفاتحين المسلمين بقوتهم وخشونتهم، وربما ما ورد فيها حقيقة وحيلة وخدعة قام بها القائد طارق لإنزال الرعب والخوف في نفوس الاعداء.

اما عن المواجهة العسكرية بين الجيشين الإسلامي والأسباني فقد أوردته روايات تاريخية عديدة نذكر اقدمها وتفيد " التقى لذريق وطارق وهو بالجزيرة بموضع يقال له البحيرة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الميمنة والميسرة انهزم بهم ششبرت وآله ابناء غيطشة ثم قابل القلب شيئاً من القتال ثم انهزم بهم ششبرت وآله ابناء غيطشة فيهم بالقتل وغاب روذريق فلم يدر اين وقع الا أن المسلمين وجدوا فرسه الابيض وكان عليه سرج له من ذهب مكللة بالدر والياقوت والزبرجد ووجدوا حلة من ذهب ومكللة بالدر والياقوت قد ساخ الفرس في الطين وفي السواخ وقع فيه وغرق العلفج "[2].

ويؤكد لنا المؤرخ ابن القوطية القرطبي عن نصر القائد طارق بقوله " وكان اجتماع طارق ولوذريق على وادي بكة من شذونة فهزم الله روذريق"[3].

وقد استبشر طارق بالنصر عند عبوره المضيق في رؤية أحلام بنومه وردت برواية تاريخية تقول "فلما دخل السفن مع رؤية بنومه وردت برواية تاريخية تقول "فلما دخل السفن مع اصحابه غلبته عينه فكان يرى في نومه الرسول صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار وقد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيمر النبي عليه السلام بطارق فيقول له تقدم لشانك ونظر طارق في نومه إلى النبي واصحابه حتى دخلوا الأندلس فاستبشر وبشر اصحابه"[4].

ونسجل أبرز الاستنتاجات التاريخية عن نتائج فتح أسبانيا من خلال ما اوردته

---

(1) ابن الكردبوس، الاكتفاء.، ص47 - 48.

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص8 - 9.

(3) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص7.

(4) المصدر السابق، ص8.

المصادر من نصوص:

شارك المسلمون بقيادة طارق في (12) الف مقاتل اغلبهم من القبائل المغربية (البربر) أما الأسبان القوط فتجمعوا بقيادة الملك لذريق وعددهم (100) الف بالرواية الإسلامية "فأقبل في جيش جحفل نحو المائة الف"[1].

1. كان النصر حليف المسلمين في المعركة بمدينة شذونة، وقتل فيها لذريق أو انهزم مع جنده.

2. حال وصول خبر النصر المبين للمسلمين عبرت قوات إسلامية من عودة المغرب إلى الأندلس كما ذكر لنا ذلك ابن الكردبوس بقوله: " فتسامع الناس به من كل مكان فجاء إليه من شرق وغرب"[2].

كسب المسلمون بالمعركة غنائم كثيرة، فحصلوا على خيول عديدة "ولم يكن بقي من المسلمين راجل الا ركب "[3] والجواهر الثمينة ومنها مائدة النبي سليمان[4]

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص8، ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص47.

(2) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص48: انظر العذري، ترصيع الاخبار، تحقيق عبد العزيز الاهوائي (مدريد 1965)، ص112، تحدث عن نهاية الملك الذريق وقال" وفر لذريق، فأدركه المسلمون في وادي الطين، فقتل هو ومن كان معه، وقيل أنه غرق في النهر لأن المجاز كان وعرا، وفرت لروم وقد فقدوا لذريق، ووجد خفه في النهر، وصار طارق إلى قرطبة.

(3) مجهول، اخبار مجموعة، ص10، المقري، نفح، ج1، ص260.

(4) مائدة سليمان، وصفتها المصادر الأندلسية بصورة عجيبة واسطورية، فذكرها ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص48، بقوله: " ووجد في كنيستهم العظمى مائدة سليمان بن داود (عليه السلام) ومرآة اذا نظر الناظر فيها رأى الدنيا كلها بين عينيه، كانت مدرة من اخلاط احجار وعقيق منقوشة بخط يوناني جليل " وذكرها الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص88 بقوله " إن مائدة سليمان تم اهداها من قبل موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق اثناء عودته إلى طارق بأمر من الخليفة وما دار من حوار وجدال ونقاش بسبب ادعاء موسى بأنه عثر على المائدة علما بأن طارق يدعي عكس ذلك واتهم موسى بالكذب بنصه: " يا امير المؤمنين ادع بالمائدة وانظر هل ذهب منها شيء فدعا الوليد بها ونظرها فاذا رجل من ارجلها لا يشبه بقية الارجل، فقال له موسى: هكذا وجدتها؟ فقال طارق "الرجل عندي " فلما دعا لها ونظرها وضعها في المائدة، علم أنها منها، فصدقه الوليد وقبل قوله واختاره، ونزل منه اقرب مما كان وكذب موسى وامر بحبسه، وأحضر من يعرف قيمة الجوهر فقومت تلك المائدة بمائتي الف دينار".

وأصاب طارق اموالاً كثيرة عند فتح قرطبة " من الدر والياقوت والذهب والفضة ما لم يجتمع مثله قط واصاب من الحرير والنساء والذراري ما لا يحصى ولا يعد، فكانت جملة السبي عشرة آلاف راس وذلك في سنة 92"[1].

1. حدثت المعركة في كورة شذونة سنة 92هـ/711م واختلفت المصادر الأندلسية في تعريف وتحديد موقع المعركة بدقة فيما وردت من آراء وافتراضات قريبة للحقيقة.
2. استمرت المعركة ثلاثة ايام برواية صاحب كتاب اخبار مجموعة.
3. شارك الكونت خوليان حاكم ولاية سبتة الأسبانية من تقديم العون والدعم والمساعدة للمسلمين من تجهيز السفن وإرشاد المسلمين إلى المسالك والممالك وتقديم التوجيهات والتحذيرات والتسهيلات قبل الفتح واثناء المعركة.

اشادت العديد من المصادر الإسلامية بموقف اليهود ضمانا لمصالحهم في التخلص من حكم الأسبان القوط المعادي لهم، فمنحهم القائد طارق الحماية والمشاركة في حكم المدن الأسبانية المفتوحة كما أكد ذلك صاحب كتاب اخبار مجموعة بقوله: " بالجيش المتوجه إلى البحيرة فحصروا مدينتها فافتتحت فالقوا بها يومئذ يهودا وكانوا اذا القوا يهودا ببلدة ضموهم إلى مدينة البلد وتركوا معهم من المسلمين طائفة "[2].

=

اما الرواية الجديدة عن مائدة سليمان اوردها ابن جزي الكلبي الغرناطي، مطلع اليمن والاقبال، ص211 فيقول: "لما افتتح موسى بن نصير - رحمه الله - الأندلس وغيرها اطلع من آثار سليمان عليه السلام وبقايا ملكه على امور غريبة واحوال عجيبة، فمن ذلك مائدة سليمان عليه السلام - التي لايعرف احد قيمتها ولا يبلغ مبلغها. وجدها بمدينة طليطلة لما افتتحها. قال عبد المجيد - سألت عن وصف مائدة سليمان وكان قد رآها ونظر اليها فقال: كانت من ذهب وفضة خلطين، فكانت تتكون من صغرة من زبرجد، فقلت: فما كان عظمها؟ قال: لقد حملت على بغل قوي اقوى ما يكون من البغال بها مرحلة حتى تفسخت قوائمه".

(1) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص76، ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، 8 برواية الرازي: " فتمت ثمانية ايام، وقتل الله رذريق ومن معه، وفتح المسلمون الأندلس".

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص12 - 14"وجمع اليهود قرطبة فضمهم اليها".

4. دخول أعداد كبيرة من الأسبان النصارى في المدن المفتوحة إلى الإسلام كما رحبوا بالقوات الإسلامية فقدموا لها كل التسهيلات والذخيرة والمؤونة والتوصيات واعتبروهم منقذين لحياتهم ومستقبلهم.

تعدد الروايات والاساطير حول الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأسبانية ونتائجه من حرق السفن والخطبة وسيرة الفاتحين المسلمين من تصورهم أنهم آكلين لحوم البشر - كما ذكرنا الرواية انفا، والصندوق الذي فتحه الملك لذريق ووجد فيه صور العرب الفاتحين[1] ورواية المرأة العجوز التي قابلت طارق بن زياد واخبرته بطالعه وقالت له " كان لي زوج عالم بالحدثان وكان يخبر أنه سيجوز رجل في صفاتك عظيم الهامة في كتفه شامة، وفيه علامة تكون له الزعامة، فكشف لهم عن الشامة والعلامة، فتباشر الناس بذلك وتشجعوا به "[2] واسطورة مائدة سليمان الثمينة والضخمة والثقيلة والعديدة القوائم، وقصة فلورندا بنت الكونت خوليان التي اعتدى الملك الأسباني لذريق على شرفها وأراد والدها الانتقام لذلك الاعتداء بالاتصال بالمسلمين وغيرها من اساطير إذ وردت في المصادر الأندلسية أنها لتؤكد على اهمية الفتح ودوره في التاريخ الأندلسي.

---

(1) ابن جزي الكلبي الغرناطي، مطلع اليمن والاقبال، ص212 - 213 نقل لنا رواية جديدة عن الصندوق بقوله: " قال لذريق قبل فتح الأندلس بايام يسيرة، والله لا اموت نعم هذا البيت ولأفتحنه حتى اعرف ما داخله فاجتمعت اليه النصرانية: فقالوا ما تريد بفتح هذا البيت انظر ما ظننت ان يكون فيه وخطر على قلبك فنعطيه لك ولا تحدث علينا حدث لم يحدثه احد قبلك ممن كان من الملوك، وإنهم كانوا أهل المعرفة وعلم بما صنعوا، فابى الا فتحه ولما اراد الله تعالى من الانفاذ بقضائه وقدرته ففتحه ووجد فيه تابوتا من خشب فوجد فيه تصاوير العرب واشكالهم معممين معهم الفتى العربية، وقد تقلدوا السيوف المحلاة ووجد من البيت كتابا: اذا فتح هذا البيت ودخل فيه هؤلاء الذين صفاتهم كذا هذه البلاد فملكوها وغلبوا عليها، فكان دخول المسلمين عليهم في عامهم ذلك".

(2) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص47.

فتوحات طارق بن زياد وانتصاراته بعد معركة شذونة:

اتجه القائد طارق نحو مدن أسبانيا لتحريرها ضمن خطة عسكرية مرسومة ومخططة ففتح كل من المدن:

1. مدينة شذونة Medina Sidonia.
2. مدينة مورور Moron.
3. مدينة قرمونة Carmona.
4. مدينة أشبيلية Sevilla.
5. مدينة استجة Ecija.

وقد أكدت لنا النصوص بالمصادر الأندلسية على ذلك منها:

" ثم مضى طارق إلى مضيق الجزيرة ثم إلى مدينة استجة فلقيه اهلها ومعهم من قبل من العسكر الاعظم فقاتلوه قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح في المسلمين ثم إن الله انزل عليهم نصره وهزم المشركين فلم يلقوا حربا مثلها فورد طارق علينا من مدينة استجة على نهرها على اربعة اميال فسميت العين عين طارق"[1] ثم مضى طارق إلى طليطلة ففتحها كما يقول ابن حيان القرطبي بروايته: "ومضى خلف من فر من أهل طليطلة، فسلك إلى وادي الحجارة، ثم استقبل الجبل فقطعه من فج به بعد، فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل... ثم مضى إلى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبال، فأصاب بها حليا ومالا، ورجع ولم يتجاوزها إلى طليطلة سنة ثلاث وتسعين"[2].

كما استعان القائد طارق واستفاد من قواده لتحرير بقية مدن أسبانيا في الحملات العسكرية المنظمة التي توجهت لفتح كلٍّ من:

1. مدينة قرطبة Cordoba.
2. مدينة مالقة Malaga.

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص9.

(2) عند المقري، نفح، ج1، ص264 - 265.

3. مدينة البيرة Elvera.
4. مدينة غرناطة Granada.
5. كورة تدميرTudmir.

ويؤكد صاحب كتاب (اخبار مجموعة) بأن طارق قام "ففرق جيوشه من استجة فبعث مغيثا الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة... في سبعمائة فارس لم يبعث معه راجلا واحدا ولم يكن بقي من المسلمين راجل الا ركب وبعث جيشا إلى مدينة رية وبعث إلى غرناطة مدينة البيرة وسار هو في معظم الناس يريد طليطلة"[1].

بذل المغيث الرومي في فتح قرطبة جهودا عسكرية بخطة حربية متميزة من اسوار المدينة حتى صعد رجل من المسلمين في اعلاه ثم نزع مغيث عمامته فناوله طرفها ثم ارتقى الناس حتى كثروا على السور وركب مغيث حتى وقف بباب الصورة من خارج وامر اصحابه الذين دخلوا المدينة بالهجم على حراس باب الصورة[2].

كما أن عدداً من المدن والقصبات الأسبانية فتحت بالقوة والمباغتة بسبب وجود مقاومة عسكرية فيها، وقد تحدث لنا عن ذلك المؤرخ الرازي بقوله:

" واما من وجه إلى مالقة ففتحوها، ولجأ علوجها إلى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى البيرة، فحاصروا مدينتها غرناطة فافتتحوها عنوة "[3].

وتطرق صاحب كتاب (اخبار مجموعة) عن فتح تدمير والمقاومة التي واجهت المسلمين بروايته: " ثم مضى (الجيش الإسلامي) إلى تدمير وانما سميت باسم صاحبها انما كان يقال لها (اوريولة) فلقيهم صاحبها في جيش جحفل فقاتلهم قتالا

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص10و ينظر: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص9 - 10.
(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص11، ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج1، 101، ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، المقري، نفح، ج1، ص206 - 261.
(3) اورد النص: المقري، نفح، ج1، 263، ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج1، ص101.

ضعيفا ثم انهزم في فحص لا يستر شيئاً فوضع المسلمون فيها السلاح حتى افنوهم ولجا من بقي إلى مدينة (اوريولة) وليست فيهم بقية ولا عندهم مدفع وكان تدمير صاحبهم مجربا شديد العقل فلما رأى أن لا بقية في أصحابه أمر النساء فنشرن شعورهن واعطاهن القضيب واوقفهن على سور المدينة واوقف معهن ما بقي من الرجال في وجه الجيش حتى عقد على نفسه ثم هبط بنفسه كهيئة الرسول فاستأمن فأمن فلم يزل يراوض أمير ذلك الجيش حتى عقد على نفسه الصلح وعلى أهل بلده فصارت تدمير صلحا "[1].

يوضح لنا النص معلومات مهمة عن عزم المسلمين وقوتهم واستخدامهم الاسلحة المتطورة على التي يمتلكها العدو (ولا عندهم مدفع) كما أن تدمير استفاد من رحمة الجيش الإسلامي وعطفه واحترامه للنساء وللعهود والمواثيق وهذه سمة سار عليها الفتح الإسلامي في أسبانيا وغيرها.

أما عن طموحات موسى بن نصير العسكرية لفتح القسطنطينية فقد اسندها ابن الكردبوس خطأ إلى طارق بن زياد بقوله: " ورجع طارق إلى قرطبة واستوطنها، بعد أن وغل في بلاد الروم وانتهى في غزوه إلى أن لقي امة كالبهائم والوحوش حتى مل الناس السفر وخلقت ابدانهم من طول المشي المستمر فقالوا له الم تقنع بما فتح الله عليك؟ فضحك وقال: والله لو ساعدتموني لسرت بكم حتى اقف على باب رومة وقسطنطينية العظمى وأفتحها بإذن الله"[2].

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص12 - 13، العذري، ترصيع، ص4.

(2) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص49، ترجح عدد من المصادر بأن موسى بن نصير كانت عنده فكرة فتح القسطنطينية ايضا، انظر: عبد الملك بن حبيب، ص227. ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج2، 82، د. عبد الواحد ذنون طه، موسى بن نصير، هيئة كتابة التاريخ، نوابغ الفكر العربي، دار الشؤون الثقافية العامة (بغدادج 1989م) د. حسين مؤنس " رواية جديدة عن فتح الأندلس " مقالة صحفية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد العدد 18 (مدريد 1975).

خط سير فتوحات القائد طارق بن زياد في الأندلس:

العبور من سبتة، صخرة (كالبيCalpe) جبل طارق، الجزيرة الخضراء معركة شذونة (وادي البرباط) أو وادي لكه، أو وادي السواني، أو وادي الطين، مورور قرمونة، أشبيلية، استنجة، جيان، طليطلة، وادي الحجارة، لقاء طارق مع موسى عند منطقة المعرض Almaraz سنة 93هـ (قرب طلبيرة Talavera)[1].

عبور الوالي موسى بن نصير إلى الأندلس: إذ تم عبور الوالي موسى إلى الأندلس في رمضان عام 93هـ/ 712م ومعه (18) الف مقاتل اغلبهم من القبائل العربية وقد اختلفت روايات الوالي موسى بن نصير فتؤكد المصادر على[2]:

1. التزم الوالي بأمر وتوجيه الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك.
2. لتقديم العون والدعم للمسلمين.
3. لتطبيق خطة جديدة لتوسيع الفتح حتى الوصول إلى القسطنطينية.
4. ظهور أخطار كبيرة من الاعداء على الجيش الإسلامي في أسبانيا (الأندلس).
5. لمتابعة احداث الفتح وعملياته الجهادية.
6. الرغبة في الوصول إلى المجد العسكري ومنافسة القائد طارق بالتوسع في الفتوحات في الشمال الأسباني.
7. للحصول على الخيرات والغنائم الثمينة من خيرات بلاد الأندلس الاقتصادية.

رست سفن الوالي عند ساحل الجزيرة الخضراء بموضع عرف باسمه (مرسى

---

(1) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص66، وانظر: عيسى، د. محمد عبد الحميد (فتح الأندلس، رواية متجددة) مقالة مجلة اوراق أسبانيا، يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة بمدريد، العدد 5 - 6 (مدريد 1982 = - 1983) ص74.

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص15، ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص105: ابن الكردبوس، الاكتفاء ص49، موسى بن نصير، ص110 - 111.

موسى) تكريماً وتقديراً وتمجيداً بأصحاب يليان، دخلوا اليهم كانهم خلال، وطرقهم موسى بخيله ليلا، ففتحوا لهم الباب، واوقعوا بالاحراس، فملكت المدينة"[1].

وفي فتح ماردة (Merida) بذل موسى جهودا متميزة ومتطورة بالكمائن، ثم فرض الحصار واستخدم الدبابة كسلاح جديد للهجوم على المنشآت الدفاعية الأسبانية في ماردة " وقد كان اهلها خرجوا اليه وزحمهم دفعة فقاتلوه من سورها على قدر ميل أو اكثر قتالا شديدا فلما رأى خروجهم اليه ابصر فيها حفرا كانت مقاطع للصخر فاكمن فيها الرجال والخيل ليلا فلما اصبح زحف اليهم فخرجوا اليه كهيئة خروجهم بالامس فركبهم المسلمون، وخرج عليهم الكمين وقتلوا قتلا ذريعا ونجا من نجا منهم إلى مدينة وهي مدينة حصينة لها سور لم يبن الناس مثله فنبت عليهم يقاتلهم اشهر حتى عمل دبابة فدب المسلمون تحتها إلى برج من ابراجها فنقبوا صخرة فلما نزعوا صخرة افضوا في داخله إلى الصماء التي يقال لها اللاشة ماشه بالأسبانية (Argamasa) ومعناه بلاط لسان أهل الأندلس...

فاستشهد المسلمون تحت الدبابة فسمي بذلك البرج برج الشهداء إلى اليوم "[2].

تم توقيع الصلح بين الوالي موسى واهل ماردة بعد حصارها وذلك في عام 94 هـ/712م حصل فيه المسلمون على امتيازات كما ورد بالنص الآتي: " فأعطوه ما سأل فصالحوه على أن جميع اموال القتلى يوم الكمين واموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين واموال الكنائس وحيلها له ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة

(1) عند المقري، نفح، ج1، 269، ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، 13، "ونهض موسى مع ادلاته من شذونة إلى قرمونة، ولم يكن بالأندلس احصن منها ولا أبعد من أن تنال بحصار أو قتال، فسأل موسى عن امرها، فقيل له لا تؤخذ الا باللطف والحيلة". ذنون، موسى بن نصير، ص171.

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص16 - 17وانظر: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، 14 - 15، المقري، نفح، ج1، 270.

اربع وتسعين"[1].

اكدت اغلب المصادر واجمعت على أن طليطلة هي المدينة التي تم اللقاء بها بين الوالي موسى مع قائده طارق بعد إكمال فتح مارودة، فابن عذاري المراكشي يقول: " اتفق الاكثرون على أن التقاءهما كان على طليطلة. وذكر الطبري أنه كان على قرطبة، وذكر الرازي أن طارقا خرج من طليطلة لما بلغه مسيره اليه فلقيه من طلبيرة، وكان موسى، لما فرغ من امر مارده، نهض إلى طليطلة، فخرج اليه قائده طارق بن زياد معظما له، وتقديرا له ومبادرا لطاعته، وتنفيذه أوامره "[2].

علما بأن الوالي موسى بن نصير عندما بعث طارق بن زياد قائداً إلى فتح أسبانيا اصبح منكبا على الدعاء والبكاء والتضرع لله تعالى، والابتهال اليه في أن ينصر جيش المسلمين، وما علم أنه هزم له جيش قط في المعارك[3].

وبعد لقاء الوالي موسى بقائده طارق عند منطقة المعرض (Almaraz) قرب طليطلة، تم توزيع المهمات العسكرية بعد أن وضع القائد طارق المواقف الحربية والانتصارات الباهرة التي حققها الجيش العربي الإسلامي في أسبانيا فسار الوالي موسى بن نصير باتجاه الجزء الشمالي من أسبانيا صوب مدينة سرقسطة (Zaragoza) واصبحت قاعدة الثغر الأندلسي الاعلى " فافتتحها، وافتتح ما حولها من الحصون والمعاقل، وذكروا أن موسى خرج من طليطلة غازيا، يفتح المدائن، حتى دانت له الأندلس، وجاءه أهل جليقية يطلبون الصلح فصالحهم، وفتح بلاد الشكنس "[4].

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص18، ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص15، ذنون، موسى بن نصير، م ص 116.

(2) نقلا من ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص16. عيسى، فتح الأندلس، رواية متجددة، ص83.

(3) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص47.

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2/ص 26 انظر: الكردبوس، الاكتفاء، ص49، (تشابه بالنص ولكنه سنده إلى طارق) مؤنس، فجر، ص89 (ندار على استغاثة وجهه اليه طارق) عنان، دجولة، ج1، 52، (عبر موسى إلى البحر إلى أسبانيا في 10 آلاف من العرب و8

إن الصلح الذي تم مع أهل جليقية (Galicia) والمسلمين يؤكد لنا على التسامح الإسلامي اثناء الفتوحات من اجل كسب اكبر عدد من الموالين كما يوضح الرغبة أو التأييد للدخول تحت الحكم الإسلامي في أسبانيا. ويلاحظ أن شروع الوالي موسى بالتوسع في الفتوحات نحو الشمال الأسباني على الرغم من المصاعب والمخاطر وصعوبة وصول الامدادات والمؤونة العسكرية فيذكر لنا ابن خلدون أن موسى " توغل في الأندلس إلى برشلونة في جهة الشرق "[1] ولكن ابن حيان القرطبي يؤكد على أن القائد طارق بعث بحملة لفتح برشلونة (Barcelona)[2] ويبدو أن التعاون تم ما بين الوالي موسى والقائد طارق في محاولة لتحرير برشلونة بواسطة الحملات الأسبانية أو السرايا[3]، ولكن يظهر أن المسلمين لم يستقروا في برشلونة لأسباب منها قسوة المناخ ووعرة اراضيها وبعدها عن قرطبة وكثرة غارات وهجمات الافرنج.

وبينما كان الوالي منشغلا بالفتوحات بالشمال الأسباني حيث وصله الرسول مغيث الرومي عن الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة 94هـ يأمره بالعودة إلى دمشق ومعه طارق وذلك لأسباب نوجزها بالنقاط:

1. للتعرف على مجريات الفتح الإسلامي النهائية في أسبانيا.
2. حرصا على ارواح المسلمين جراء مخاطرة الفاتحين بالمقاتلين المسلمين في المناطق البعيدة.
3. لوضع خطة جديدة واستعدادات حربية بعد النجاح الذي حققه المسلمون.

-

آلاف من البربر في سفن صنعها خصيصا لذلك) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص71 (وواضح أن اصحاب هذه الرواية قد نظروا إلى مشروع الغزو العظيم من رواية شخصية ضيقة تافهة).

(1) ابن خلدون، العبر، ج4، 255: المقري، نفح، ج1/ ص223 (نص ابن خلدون) مجهول، اخبار مجموعة، ص 1 - 18.

(2) عند المقري، نفح، ج1، 273.

(3) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص92، خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص38.

خوفا من مغامرة موسى العسكرية في التوسع في فتح الاراضي الأسبانية وعزمه على عبور جبال البرتات (Pirineos)ودخول بلد الافرنج وفتح القسطنطينية كما جاء بالنص الآتي: " ولما اتصل بالوليد بن عبد الملك رحمه الله تلوم موسى بن نصير بارض الأندلس، وتقحمه المسلمين في ارض العدو من غير مؤامرة ولا مشاروة، بعث مغيثا مولاه اليه، وامره أن يعنفه ويقفله ويؤول إلى افريقية، فقدم مغيث على موسى، ودخل معه قرطبة، ووهبه موسى الموضع الذي تنسب اليه اليوم، وهو بلاط مغيث بجميع ارضه وزيتونه، وغزا مغيث مع موسى بالجيش إلى جليقية"[1].

توجه الوالي مع قائده طارق من اجل العودة إلى دمشق التزاما واحتراما لامر الخليفة الوليد بن عبد الملك وعبروا مضيق جبل طارق في اواخر شهر ذي الحجة سنة 95هـ/ 713م وعندما تأخرت عودتهم ارسل الخليفة الوليد رسولا آخر يؤكد عليهم العجلة كما ذكر الخبر " واستبطأ الوليد رحمه الله قدوم موسى فبعث رسولا يعرف بأبي نصر، فتوكل بموسى واندفع من مدينة لك بجليقية وخرج من الفج المعروف بفج موسى، ووفاه طارق بالطريق، ومضيا جميعا معهما مغيث وابو نصر، ومن اراد أن يرجع من الناس إلى المشرق، واستخلف موسى بن نصير على الأندلس ابنه عبد العزيز، وشخص موسى راجعا إلى افريقية، وكان قدوم موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك سنة ست وتسعين، وحمل طارق بما حمل من الغنائم والاموال والمائدة[2].

اتفاقية الوالي عبد العزيز بن موسى وتدمير:

تم توقيع اتفاقية بين تدمير بن عبدوس حاكم المدينة التي سميت باسمه (تدمير) وقاعدتها مدينة اوريولة (Oruela) وعبد العزيز بن موسى بن نصير في

---

(1) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص153، (انظر ابن الشباط من اختصار اقتباس الانوار) المقري، نفح، ج1، 275، 32، 34، مجهول، اخبار مجموعة، ص1 - 18.

(2) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص153، (نص ابن الشباط من اختصار اقتباس الانوار) مجهول، اخبار مجموعة، ص1 - 18، المقري، نفح، ج1، 276 - 277.

رجب سنة 94هـ/ مايس 713 - كما ذكرنا آنفا - بعد أن دخلت تدمير صلحا بيد المسلمين بعد محاولات مقاومة وحيل باءت بالفشل فتم توقيع **الاتفاقية** بينهما ونصت:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس اذا نزل على الصلح أن له عهد الله وميثاقه وما بعث به انبياءه ورسله، وأن له ذمة الله عز وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم الا يقدم له والا يؤخذ لاحد من اصحابه بسوء، وأن لا يسبون ولا يفرق بينهم وبين نسائهم واولادهم ولا يقتلون، ولا تحرق كنائسهم، ولا يكرهون على دينهم، وان صلحهم على سبعة مدائن: اوريولة، ومولة، ولورقة، وبلنسية، ولقنت، وابة، والش، وأنه لا يدع حفظ العهد، ولا يحل ما انعقد، ويصحح الذي فرضناه عليه وألزمناه امره، ولا يكتمنا خبرا علمه، وإن عليه وعلى اصحابه غرام الجزية، من ذلك على كل حر: دينار واربعة املاء من قمح " اربعة املاء من شعير، واربعة اقساط ظل وقسطا عسل، وقسط زيت، وعلى كل عبد نصف هذا.. "[1] وقد شهد على هذه الوثيقة القيمة والمفصلة ثمانية من التابعين والفقهاء ويمكن اعتبارها من الوثائق الفريدة في الأندلس اكدت على التسامح واحترام الديانات وحرية العيش والعمل والاستقلال في ظل الإسلام "[2].

---

(1) العذري، ترصيع، ص4 - 5: انظر: الحميري، الروض، ص62 - 63، الضبي، بغية الملتمس، نشره المستشرق الاسباني، كوديرا، (Codera) مدريد 1884، ص259، Saavedra, Invasion, P.127-129 J Vallve, La canquista Arabe de Espana, Madrid 1989, P113.
الزهري، كتاب الجغرافية، ص100 " اما فتح المسلمين بلاد الأندلس اخذ القوي فيها بقوته والضعيف بضعفه ولم تنقسم على الحقيقة فكان الجميع ما ملك فيها على غير قوام الا مدينة مرسية وتعرف تدمير، فإن أهلها تصالحوا عليها مع موسى بن نصير فلم يملك فيها شيء الا عن حق اما شراء من الروم أو ممن اسلم من الروم فبقي في مكانه بماله في يد ارثا عن آبائه واجداده.

(2) خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضاراتهم، ص40، مؤنس، فجر، ص114 - 117.

أبرم الحاكم عبد العزيز بن موسى بن نصير اتفاقيات اخرى مع عدد من المدن التي دخلها مثل يابرا (Evora) شنترين (Santarem) قلمرية (Coimbra)وذلك بعد خروجه من مدينة باجة (Beja)عام 95هـ/714م متوجها إلى الاطراف العربية الايبرية[1].

تنطوي الحقبة التاريخية لعصر الحكم الأندلسي بمقتل الوالي عبد العزيز بن موسى وظهور حقبة عهد الولاية وقد تحدثت المصادر عن سيرة الوالي عبد العزيز ودوافع مقتله نذكر منها: " وكان من خيار الولاة "[2].

---

(1) معتمد على وثائق مخطوطة Saavedra, Invasion, P127. خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص41.

(2) مجهول، تاريخ فتح الأندلس، ص21. مجهول، اخبار مجموعة، ص20. ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص11. ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص23. مؤنس، فجر، ص130 - 132 (يرى أن القصة ملفقة تلفيقا، وأنها وضعت لكي تستر الدوافع الحقيقية لقتل الوالي عبد العزيز).

الفصل الثاني

عصر الولاية الأندلسية

عرف العصر تاريخياً بالولاية لأن حاكم الأندلس كان يعرف بالوالي والذي يتم تعيينه من الخليفة الاموي بدمشق ويرتبط به سياسياً وعسكرياً وادارياً.

يبدأ العهد بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ويستمر حكمه من 95 - 138 هـ/ 714 - 755 م وحتى تولي الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل السلطة الأندلسية.

دام حكم الولاية (42) عاماً واشهر من تولى سلطة الأندلس فيه (20) والياً منهم اثنان من الولاة حكموا الأندلس مرتين أو ولايتين وهما: الوالي عبد الرحمن الغافقي (الولاية الاولى عام 102هـ/721م والولاية الثانية 112هـ/ 730م وحتى استشهاده في معركة بلاط الشهداء عام 114هـ/732م).

اما الوالي عبد الملك بن قطن الفهري (الولاية الاولى 114هـ/ 732 م والولاية الثانية 123هـ/ 741م) وذلك لمهارتهم العسكرية والادارية المتميزة.

استقبل الولاة حكم بلاد الأندلس بعد اكثر من أربع سنوات من الفتح العربي الإسلامي والجهاد الطويل لتحرير مدن الجنوب والوسط من أسبانيا. فوقعت عليهم مسؤولية تحرير ونشر وتثبيت الإسلام في الشمال الأسباني فضلاً عن صد الهجمات أو التحركات العسكرية للممالك الأسبانية الشمالية وبذلك تحملوا اعباء ثقيلة ومسؤوليات جهادية على الافرنج. كما اشتهر عصر الولاية بالجهاد فيما وراء (خلف) جبال البرتات اي نوافذ الجبال وفتحاتها للطرف الثاني، كما عملوا تنظيم حملات الصوائف[1] والشواتي السنوية على ارض العدو فضلا عن الاصلاحات

(1) الصوائف، حملة جهادية يقوم بها المسلمون في فصل الصيف سنوياً على ارض العدو وذلك لعدم سقوط الامطار، وصفاء السماء وظهور النجوم للاستدلال عليها، وقلة وخفة ما يلبسه ويحمله المقاتل.

العمرانية والادارية والعسكرية والاجتماعية.

اما عن إدارة الأندلس وارتباطها بالمشرق فكانت احياناً مرتبطة بين مركز الخلافة الاموية بدمشق ففي ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي للاعوام " 97 - 100هـ " كانت الأندلس وطنجة إلى صاحب افريقيا[1]. كما ارتبطت الأندلس إدارياً بالمغرب في عهد عنبسة بن سحيم الكلبي " 103 - 107 هـ " يحيى بن سلمى الكلبي " 107 هـ " وفي عهد الوالي حنيفة بن الاحوص " 110هـ "[2].

جدول بأسماء الولاة الذين تم اختيارهم من عامل افريقية والخليفة الأموي:

1. الوالي الهيثم بن عدي عبيد الكناني 111هـ/729م.
2. الوالي عبد الرحمن بن عبد الله 102هـ/ 731م (الولاية الاولى).
3. الوالي عبد الملك بن قطن الفهري 114 هـ/ 732م (الولاية الاولى).
4. الوالي عقبة بن الحجاج السلولي116 هـ/ 734م.
5. الوالي عبد الملك بن قطن الفهري 123هـ/ 741م (الولاية الثانية).
6. الوالي يوسف بن عبد الرحمن الفهري اختاره الصميل بن حاتم 129 هـ/732م.
7. الوالي بلج بن بشر القشري اختاره الخليفة هشام بن عبد الملك 124هـ/743م.
8. الوالي ثعلبة بن سلامة العاملي الذي اختاره الخليفة هشام بن عبد الملك 128 هـ/ 746م.

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص22، مجهول، تاريخ فتح الأندلس، ص26، ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص25.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص27.

9. الوالي ثوابة بن سلامة الجذامي الذي اختاره الخليفة هشام بن عبد الملك 128 هـ/746م.

علما بأن أهل الأندلس اسهموا ذاتيا باختيار الوالي ايوب بن حبيب بعد مقتل عبد العزيز بن موسى كما نقلو العاصمة من أشبيلية إلى قرطبة بعد " 4 سنوات " من الفتح، كما اكد ابن عذاري المراكشي بقوله ثم اجتمع أهل الأندلس على تقديم ايوب هذا، يؤمهم لصلاتهم، وكان رجلا صالحا، واقاموا مدة دون امير، ونقلو دار السلطان إلى قرطبة[1].

كما تم تعيين السمح بن مالك الخولاني والي على الأندلس (100هـ/ 718م) من قبل الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) مباشرة وذلك: " في شهر رمضان سنة 100هـ قدم السمح بن مالك الخولاني في الأندلس واليا من قبل امير المؤمنين عمر بن العزيز (رضي الله عنه) بولايتها واخره عن ولاية افريقيا وحدد لها عاملا ولم يجعل بينه وبينها واسطة اعتناء لها وتهمما بشبابها وافرادا لها ووقع ما بقي من الغنائم عن امره[2]. وهكذا نلاحظ عملية الاشراف على حكم الأندلس تنوعت واختلفت في تعيين الولاة ما بين حاكم افريقيا والخلافة الاموية في دمشق وذلك حسب حاجة الأندلس إلى الولاة الاقوياء القادرين والمتميزين وحسب الاوضاع العامة والمخاطر الداخلية الخارجية التي واجهت الأندلس[3].

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص25. انظر: مجهول، تاريخ فتح الأندلس، ص22 (ومكث أهل الأندلس مشتتين لا يجمعهم والي ثم اجمعوا على ايوب بن حبيب اللخمي بن اخت موسى الذي قتل عبد العزيز.... إلى أن قدم عليهم الحر بن عبد الرحمن اميراً من افريقيا؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص 133. (قرطبة موقعها وسط شبه الجزيرة تماماً). خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضاراتهم، ص41.

(2) مجهول، فتح الأندلس، ص 23، 24: مجهول، اخبار مجموعة، ص23 (فلما ولى عمر والي إسماعيل افريقيا وولى السمح بن مالك الأندلس وأمره أن يخمس أرضها ويخرج منها ما كان عنوة). ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص12 ; ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص26.

(3) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص132 ;مؤنس، فجر، ص135.

لقد عزم الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) عن التخلي عن بلاد الأندلس واخلائه من المسلمين خوفاً وحرصاً على ارواحهم وسلامتهم وكثرة المخاطر الخارجية التي اخذت تظهر كما جاء بالنص: وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله قد عهد إلى السمح إجلاء الأندلس من الإسلام من دخل عليهم إذ خشي تغلب العدو فكتب اليه السمح بن مالك يعرفه بقوة الإسلام وكثرة مداينهم وشرف معاقلهم "[1].

وبمحاولة السمح الخولاني الناجحة في اقناع الخليفة عمر بن عبد العزيز وتعديل موقفه بعد أن وضح له الموقف ووفر الامان للمسلمين واكد له نجاح العمليات العسكرية واخبره بخيرات الأندلس وحسن مناخها والصلات بين المسلمين واخوانهم من الديانات الاخرى وحسن العلاقات الاجتماعية. على الرغم من مواجهة الأندلس مخاطر عسكرية تمثلت في هضاب استوريا التي كانت موطنا للمتمردين والعصاة والهاربين من الأسبان، وتقع بالهضبة الصخور الضخمة والوعرة التي اصبحت ملجأ منها صخرة عرفت بالمتمرد بلاي أو يلانو كما كانت تضم المغارة كوفادونجا التي تحصن بها المتمرد بلاي لمهاجمة المسلمين:

كما ظهر المتمرد (بطره) أو (بدروا) الذي أسس إمارة كنترية للمتمردين.

مشاهير ولاة الأندلس:

حكم الأندلس (20) واليا خلال (42) عاما برز منهم ولاة كان لهم دور جهادي وبطولي متميز وكانوا امثال التضحية والاستشهاد من اجل المبادئ والقيم والدفاع عن الارض والتعاليم الإسلامية في الشمال الأسباني وخلف جبال اليرت فضلا عن اصلاحاتهم وحسن سياستهم وسيرتهم كما اكدت على ذلك المصادر الأندلسية وهم:

1. الوالي السمح بن مالك الخولاني 100 - 102 هـ/ 7 - 721م.

(1) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص12; اخبار مجموعة، ص23. أمر الخليفة عمر الوالي السمح لان يكتب اليه بصفة الأندلس وانهارها وكان رأيه انتقال اهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين) ; تاريخ فتح الأندلس، ص24. يشابه نص اخبار مجموعة.

2. الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي 103 - 107 هـ/721 - 725م.

3. الوالي عبد الرحمن بن عبد اللـه الغافقي (الولاية الاولى 102 هـ/ 721 ولايته شهران). (الولاية الثانية 112 - 114 هـ/730 - 732م).

4. الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (116 - 121هـ/ 734 - 741م).

اولا: الوالي السمح بن مالك الخولاني: من الولاة البارزين والمتميزين في الجهاد وادخال الاصلاحات المالية والعمرانية واختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي اللـه عنه) وامره أن يحمل الناس على طريق الجهاد ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وان يخمس ما غلب من اراضيها وعقارها، ويكتب اليه بصفة الأندلس وانهارها[1].

اهتم السمح بإصلاح قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبير كما اخبرنا عن ذلك عدد من المؤرخين بالخبر الآتي " وبنى القنطرة وذلك أنه كتب إلى عمر يستشيره ويعلمه أن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية ارضها وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ووصفه بحمله وامتناعه من الخوض الشتاء عامة فإن امرني امير المؤمنين بنيان سور المدينة فعلت فإن قلبي قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد وان احب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم "[2].

كما اهتم الوالي السمح ببناء مقبرة عامة المسلمين بقرطبة بتوجيه من الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي اللـه عنه) ويأمره إخراج خمس قرطبة، فخرج من الخمس البطحاء والمعروفة بالربض، فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرة للمسلمين، فتم

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص26. ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص12، مجهول، اخبار مجموعة، ص23.

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص23 - 24: ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص13: مجهول، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: المستشرق الأسباني سابدرا Saavedra الجزائر 1889، ص55. (وصفت على اتم واعظم ما عقد عليه جسر في معمور الارض من حجارة سور المينة). ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص26. انظر وصف القنطرة عند المقري، نفح الطيب، ج1، ص480: الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص579: ابن خلدون، العبر، ج4، ص257.

ذلك[1].

ويمكن القول بأن الولاية في عهد السمح بن مالك تبدأ مرحلة اخرى متممة، ليس فيما يتعلق بنشاط المسلمين بالفتوحات وراء الجبال البرت بل ايضاً بتنظيم بلاد الأندلس وإقرار الاوضاع فيها والقيام بالاصلاحات العمرانية، واصبحت الأندلس به وولاية مستقلة عن الشمال الافريقي، خاضعة إلى الخلافة الاموية بصورة مباشرة[2].

شارك الوالي السمح بالجهاد في الشمال الأسباني واستشهد فيه ويذكر بأنه غزا دار الحرب فاستشهد فيها بطرسونة يوم عرفة سنة اثنتين ومائة[3]، وطرسونة التي استشهد بها السمح وصفها الحميري بقوله " بالأندلس كانت مستقر العمال والقواد بالثغور، وكان ابو عثمان عبيد الله بن عثمان المعروف بصاحب الارض اختارها محلاً وآثرها على مدن الثغور منزلا، وكانت ترد عليه عشر مدينة اربونة وبرشلونة"[4] وربما كانت طرسونة تابعة إلى قاعدة اربونة اداريا وتجاور بلاد الافرنج[5].

ثانيا: الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي: من الولاة الذين شاركوا بالجهاد في مملكة جليقية ومواجهة خطر الزعيم المتمرد بلايو (Pelayo) وتسمية المصادر العربية بلاي الذي تحصن مع اعوانه في الصخرة التي تقع في جبال كنتبرية (Cantabria) ثم اعوانه في الصخرة التي تقع اكثر تحصناً وتقع في مغارة كوفادونجا: " فغزا عنبسة ارض الافرنج فظفر وغنم وتوفي قافلاً بها سنة سبع ومائة وقام علج خبيث من علوج اعيانهم في ايام عنبسة هذا وارض جليقية اسمه بلاية بن قافلة على من كان يملك اطراف جهته العرب فنفاهم عنها.... "[6].

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص26، ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص13: مجهول، تاريخ فتح الأندلس، ص24.
(2) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص140.
(3) مجهول، تاريخ فتح الأندلس، ص25: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2. ص26.
(4) الحميري، الروض، ص53.
(5) المصدر السابق، ص11 - 12.
(6) ابن خلدون، العبر، ج4، ص256، وأورد النص +المقري، نفح، ج1، ص234. فيؤكد أنه

=

إن اغلب ولاة الأندلس بذلوا اقصى جهودهم وامكانياتهم العسكرية والاقتصادية من اجل ايصال الإسلام إلى ابعد منطقة من أسبانيا وخلف جبال البرت من بلاد الافرنج كما اكد لنا صاحب اخبار مجموعة بقوله: " وكان من وصفنا من الولاة يجاهدون العدو ويتوسعون في البلاد حتى بلغوا افرنجة حتى افتتحت عامة الأندلس"[1].

اشارت المراجع الافرنجية بشخصية عنبسة وشجاعته واقرار الامن وتنظيم الادارة والجيش فيقول عنه ايزيدور الباجي كان نجاح عنبسة راجعا إلى الجرأة والبراعة، اكثر منه إلى القوة والكثرة، وكان لينه ورفقه وحسن معاملته للسكان عاملا في تقوية سلطان الإسلام في جنوبي فرنسا"[2].

ثالثا: الوالي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي: تولى حكم الأندلس في ولايته الاولى سنة 102هـ/ 720م بضعة اشهر ثم عاد ثانية سنة 112هـ/730م واقام واليا سنتين وسبعة اشهر أو اكثر، أشادت به المصادر الأندلسية ووصفته بحسن السيرة والعدل وميله للجهاد في سبيل الله، وكان جنديا عظيما ظهرت مواهبه الحربية في الحملات خلف جبال البرت، وحاكما قديرا بارعا في شؤون الحكم والادارة، ومصلحا كبيرا وكان من اعظم واشهر ولاة الأندلس واقدرهم جميعا، وقد رحبت الأندلس بتعيينه وأحبه الجيش لعدله ورفقه ولينه وضبطه، كما جمع وحدة القبائل العربية تحت ولايته، ودخلت الأندلس عهدا جديدا متميزا عن غيره[3].

=

افتتحوا برشلونة من جهة الشرق وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف. ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص27 برواية سماهم الروم وتقول سنة 105هـ خرج عنبسة غازيا للروم بالأندلس، واهالها يومئذ خيار، فضلاء، أهل نية في الجهاد وحسبة في الثواب، فالح على الروم في القتال والحصار، حتى صالحوه، توفي عنبسة في شعبان 107هـ). خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص44: الحجي، تاريخ الأندلسي، ص179 - 180.

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص25.

(2) نقلا وترجمة عن عنان، دولة، ج1، ص82.

(3) عنان، دولة، ج1، ص84 - 85: Conde. Historia. tomo. I. 82. 88.

اشار المؤرخ الأسباني كوندي (Conde) بولاية عبد الرحمن الغافقي حيث بدأ بزيارة الاقاليم المختلفة فنظم شؤونها، وعهد بإدارتها إلى ذوي الخبرة والعدل، وحارب الفتن والاضطرابات، كما رد إلى النصارى كنائسهم وأملاكهم المغصوبة، وعدل نظام الضرائب وفرضها على الجميع بالعدل والمساواة، وقضى صدر حكمه في الاصلاحات، وعنى بتنظيم واصلاح الجيش، فحشد الصفوف من مختلف الولايات، وأنشأ فرقا قوية مختارة من فرسان البربر وبإشراف نخبة من قادة العرب، وحصن القواعد والثغور الإسلامية في الشمال الأسباني. وقال عنه المؤرخ ابن عبد الحكم المصري وكان رجلا صالحا[1].

معركة بلاط الشهداء: رمضان 114هـ :

من الملاحم البطولية التي شهدها تاريخ الأندلسي في عهد الولاية استشهد فيها الوالي البطل عبد الرحمن الغافقي وذلك في رمضان 114هـ - تشرين الاول 732م واستمرت (10) ايام وكانت مع الافرنج بقيادة شارل مارتل خلف جبال البرتات في منطقة محصورة بين مدينتي (تور) و(بواتيه) جنوب فرنسا.

تحدثت المصادر الإسلامية عنها باختصار وذلك لأسباب بارزة هي:

1. ربما لفقدان وتلف وضياع الوثائق والمعلومات عنها.
2. استشهاد أعداد كبيرة من العلماء الذين عاصروا الاحداث.
3. الخسارة التي لحقت بالمسلمين قد تركت ألما قاسيا في نفوس المسلمين.
4. ربما لم تكن للمعركة تلك الاهمية كما صورتها المصادر الافرنجية.

اما اهم وابرز النصوص التي وردت عن معركة بلاط الشهداء هي:

1. "الغافقي وعلى يديه استشهد أهل بلاط الشهداء واستشهد معهم واليهم عبد الرحمن "[2].

---

(1) ابن عبد الحكم المصري، فتوح افريقية والأندلس، دار الكتب اللبناني، بيروت 1964، ص93: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، طبعة دار الفكر، بيروت، 1398 - 1978، ج4، ص214 - 215.

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص25.

2. "وغزا (الغافقي) افرنجة بنفسه واستشهد فيها مع جماعته من أهل عسكرة في موضع ببلاط الشهداء في شهر رمضان سنة 115هـ"[(1)].

3. وذكرها ابن عبد الحكم المصري بقوله: "فغزا عبد الرحمن افرنجة وهم أقاصي عدو الأندلس فغنم غنائم كثيرة فظفر بهم... ثم خرج اليهم غازيا فاستشهد وعامة اصحابه"[(2)].

4. وتحدث ابن الاثير واصفا المعركة بقوله: " فغزا افرنجة وأوغل في ارضهم. وغنم غنائم كثيرة. فقتل هو ومن معه شهداء"[(3)]..

5. ووصفها ابن حيان القرطبي بنصه: "غزا (الغافقي) الافرنج كانت لهم وقائع جمة إلى أن استشهد، واصيب عسكره في شهر رمضان سنة 114هـ في موضع يعرف ببلاط الشهداء"[(4)].

6. كما روى عنها ابن عذاري المراكشي بقوله: "فغزا (الغافقي) الروم، واستشهد مع جماعة من عسكره سنة (115هـ) بموضع يعرف ببلاط الشهداء، وفيها اصاب الناس مجاعة عظيمة"[(5)].

من خلال ما ورد في النصوص من معلومات تؤكد على ابراز الملاحظات هي:

1. المعركة كانت مع الافرنج عام (114هـ) أو عام (115هـ).
2. استشهاد الوالي الغافقي مع عدد من قواده وجنده.
3. وقوع غنائم كثيرة بأيدي المسلمين.
4. حدثت المعركة في موضع عرف مجازا وتيمنا ببلاط الشهداء.

وبناء على ما ذكر في المعركة وتبين لنا بأن الجيش الإسلامي قد حقق بعض

---

(1) مجهول، تاريخ فتح الأندلس، ص27 - 28.

(2) ابن عبد الحكم المصري، فتوح افريقية والأندلس، ص92 - 93.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج2، ص28.

(4) نقلاً عن المقري، نفح، ج3، ص16، اورد ابن خلدون، العبر، ج4، ص258، نصاً مشابها إلى ابن حيان القرطبي، انظر، المقري، نفح، ج1و ص236، نقلا عن ابن خلدون.

(5) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج1، ص51، ج2، ص28 (استشهد في ارض العدو في رمضان 114هـ).

الانتصارات على العدو بداية الهجوم ولكن يبدو بأن تبدل قد حدث ألا وهو الحيلة التي رسمها الافرنج بالانسحاب والتراجع من المعركة حيث فسره الجيش الإسلامي بأنه هزيمة قد لحقت بالافرنج وكان لاستشهاد القائد الغافقي أثر بالغ على معنوية المقاتلين وسقوط عدد كبير من المسلمين شهداء في ارض المعركة.

اما الرواية الاوروبية فقد اكدت على الغنائم الكثيرة والثقيلة التي حصل عليها الجيش الإسلامي والتي كان حريصا عليها وقد شغلت المقاتلين بعد أن تعرض لها الافرنج بالتحرش وبحركة التفاف من الخلف مما أربكت مؤخرة الجيش الإسلامي وسببت خسارتهم، ويبدو أن من هذه الرواية الاوروبية التي يسودها روح الحقد والبغضاء والحسد والكراهية على المسلمين وقصة الغنائم اقرب من القصة الخرافة التاريخية إلى الحقيقية، وذلك لأنه كان من الممكن ترك الغنائم في القرى المجاورة وفي الخيام البعيدة وكيف يمكن حمل ونقل تلك الغنائم الثقيلة التي اوردتها الرواية والمعركة في منطقة بعيدة عن قرطبة وقاحلة ووسائل النقل صعبة جدا. وعندما نتابع اخبار معركة بلاط الشهداء في المصادر الاوروبية نرى الغريب والعجيب من الآراء والمخاوف والاحتمالات التي وردت فيها جراء كسبهم للمعركة، وتعبر تلك النصوص عن وجهات نظر ممزوجة بروح التعصب والبعد عن نور الحضارة والعزلة التامة عن العالم، نقتبس بعض العبارات التي تتسم بالمبالغة والتحامل على الإسلام والتعصب الديني والثقافي كما اوردها لنا الاستاذ عنان[1]. مع الترجمة هي:

1. قال المؤرخ جيبون انقذت آباءنا البريطانيين وجيراننا الغاليين (الفرنسيين) من نير القرآن الكريم المدني والديني وحفظت جلال روما، واخرت استعباد القسطنطينية، وشددت بأزر النصرانية، واوقعت باعدائها بذور التفرقة والانحلال.
2. يعتبر المؤرخ ارنولد الموقعة: احدى هاته المواقف الرهيبة لنجاة الانسانية ونجاة سعادتها مدى قرون.
3. ذكر السير ادورد كريري: أن النصر العظيم الذي ناله شارل مارتل على

(1) مواقف حاسمة من تاريخ الإسلام، ط4، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1382هـ/ 1962م، ص69، وذكرها عنان، دولة، ج1، ص109 - 110، معتمدا على مراجع اجنبية اوردها.

العرب سنة (732م) وضع حداً حاسماً لفتح العرب في غرب أوروبا وانقذ النصرانية من الإسلام.

4. اكد لنا ج. فون شليجل في حديثه عن الإسلام: ما كاد العرب يتمون فتح أسبانيا حتى تتطلعوا إلى فتح غاليا وبرجونية، ولكن النصر الساحق الذي غنمه بطل الفرنج كارل مارتل بين تور وبواتية وضع لتقدمهم حدا، وهكذا انقذ كارل مارتل بسيفه امم النصرانية من قبضة الإسلام.

ويقول رانكة: إن فاتحة القرن الثامن من اهم عصور التاريخ، ففيها كان دين محمد ينذر بامتلاك ايطاليا وغاليا ". والحقيقة تقول أن فرنسا خسرت وغيرها من امم أوروبا لعدم وصول الإسلام إلى ارضها قرون من الحضارة في الازدهار العلمي والرخاء الاقتصادي مثلما اصاب أسبانيا من حضارة اخذت تتباهى بها حتى عصرنا بفضل التقدم في جميع نواحي الحياة عبر تاريخ العرب في الأندلس وكانت الأندلس (أسبانيا) احد اهم طرق ومعابر الحضارة العربية إلى أوروبا .

لمعركة بلاط الشهداء دروس وعبر وقيم تاريخية وفي حياة المسلمين في اتحادهم وقوتهم وعزيمتهم ومعرفة عددهم والسعي لكسب النصر المبين على الاعداء وتحيطهم احلامهم وحقوقهم وبغضهم اتجاه الحضارة العربية الإسلامية ومنع وصول الشمس الإسلام لبلدان الكفار كي لا تكشف الظلم والاستغلال والعبودية والتخلف العلمي والديني حاول الولاة بعد المعركة واستشهاد الغافقي من بذل الجهود والعزيمة للثأر للشهداء الذين ضحوا من اجل الإسلام في الأندلس من هؤلاء الولاة:

رابعاً: عقبة بن الحجاج السلولي: تم تعيين عقبة والياً على الأندلس عام (116هـ/ 7341م) من قبل ابن الحبحاب حاكم مصر وافريقيا فقد تم تخيير عقبة في تولية المنصب بين ولاية افريقا أو الأندلس ولقد اختار عقبة الأندلس وقال: إني احب الجهاد وهي موضع جهاد فولاه فدخل الأندلس سنة عشر ومئة فقام عليها سنتين وافتتح حتى بلغ اربونا وافتتح جليقية والية وبنبلونة ولم تبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فإنه لاذ بها ملك يقال له بلاي فدخلها في ثلاث مائة

رجل فلم يزل يقاتلونه ويغادرونه حتى مات اصحابه جوعا وترامت طائفة منهم إلى طاعة..."[1].

اتخذ المسلمون مدينة اربونة Narbonne في الشمال الأسباني كقاعدة عسكرية وثغرا لهم في عهد الوالي عقبة وذلك لأسباب مهمة هي:

1. اصبحت مركزاً لانطلاق الحملات الجهادية باتجاه افرنجة والممالك الأسبانية لقربها منهم.
2. موقع اربونة الاستراتيجي لأنها محصنة بالجبال.
3. قرب اربونة من نهر الرون.
4. الخيرات الزراعية لسهولة ارضها وجودة المناخ ووفرة المياه التي تتمتع به اربونة.
5. قرب اربونة من الثغر الاعلى الأندلسي وقاعدته سرقسطة.
6. وجود عدد كبير من المؤيدين والموالين للمسلمين في اربونة بسبب سوء معاملة الافرنج لهم.

تزعم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي حاكم ثغر اربونة ولقب (بفارس الأندلس) حركة الجهاد وكان له دور عسكري بارز لما امتاز بالشجاعة وحسن السياسة في ادارة الثغر والولاء الكامل للإسلام والالتزام بتعاليم الولاية وخصوصا في عهد الوالي عبد الملك بن قطن الفهري كما ذكر المؤرخ ابن القوطية القرطبي بقوله: وكان باربونة عبد الرحمن بن علقمة اللخمي عاملا للفهري فتعصب له إذ بلغه ما دار عليه وحشد الثغر "[2].

ظلت مدينة اربونة ثغرا إسلاميا مهما للأندلس وكانت كالدرع الحصين دون أن يعلم أهل الأندلس بذلك عن الدور الخطير الذي لعبه المجاهدون المرابطين

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص27 - 28. انظر: مجهول، تاريخ فتح الأندلس، ص29: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص29، وقال عنه (وكان يجاهد المشركين في كل عام، ويفتح المدائن، وهو الذي فتح مدينة اربونة).

(2) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص16، عنان، دولة، ج1، ص287 - 288.

المنعزلون يدفعون عن الإسلام وأهله من الهجمات الافرنج والأسبان[1].

اشادت المصادر الأندلسية بسيرة الوالي عقبة السلولي الحربية وذكر عنه أنه كان صاحب مآثر ونجدة ونكاية للعدو وشدة. وكان اذا اسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام، ويقبح له عبدة الاصنام، فيذكر أنه اسلم على يديه بهذا الفعل ألف رجل "[2].

ويلاحظ من مجريات الاحداث التاريخية في عهد الوالي عقبة أن رد الفعل العسكري نتيجة معركة بلاط الشهداء كان عنيفا، حيث عزم الوالي عقبة على بذل كل الجهود والاستعدادات للقيام بنشاط عسكري واسع في الشمال الأسباني بحيث استطاع فعلا من تحقيق الانتصارات العسكرية الباهرة التي امتدت وشملت جميع الممالك الأسبانية الشمالية فشملت اربونة وبنبلونة (Pamplona) جليقية (Galicia)حيث انطلقت الحملات الجهادية من الثغور الأندلسية الثلاثة بعد أن استنفرت كل الجهود العسكرية لذلك " واقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة واجملها واعظم طريقة وأعد لها إلى أن غزا ارض افرنجة[3].

خامسا:. الوالي عبد الملك بن قطن: تولى السلطة في الأندلس مرتين وكانت ولاية الاولى عام 114هـ/732م بعد معركة بلاط الشهداء، وقد استمرت عامين، أما الولاية الثانية وكانت عام 123هـ/ 741م بعد أن استشهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي خلف جبال البرتات واستمرت اكثر من سنة واحدة.

بذل الوالي عبد الملك جهوداً عسكرية متميزة لتعويض ما فقد المسلمون في بلاط الشهداء وسعى للاخذ بثأرهم كما ورد بالنص " وكان من وصفنا الولاة يجاهدون العدو ويتوسعون في البلاد حتى بلغوا افرنجة "[4] كما قام الوالي في

(1) مؤنس، فجر، ص289: عنان، دولة، ج1، ص282 - 284، فشل جيش الافرنج بقيادة قارلة في محاصرة ومهاجمة اربونة لقوة المسلمين وموقف أهل غالة الجنوبية المؤيد للإسلام بسبب سوء معاملة الافرنج القاسية لهم.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص29.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص29.

(4) مجهول، اخبار مجموعة، ص25، ذكر النص سابقا.

حملة عسكرية إلى اقليم البشكنس (Vasco) كما جاء بالرواية " وغزا ارض البشكنس فأوقع بهم "[1].

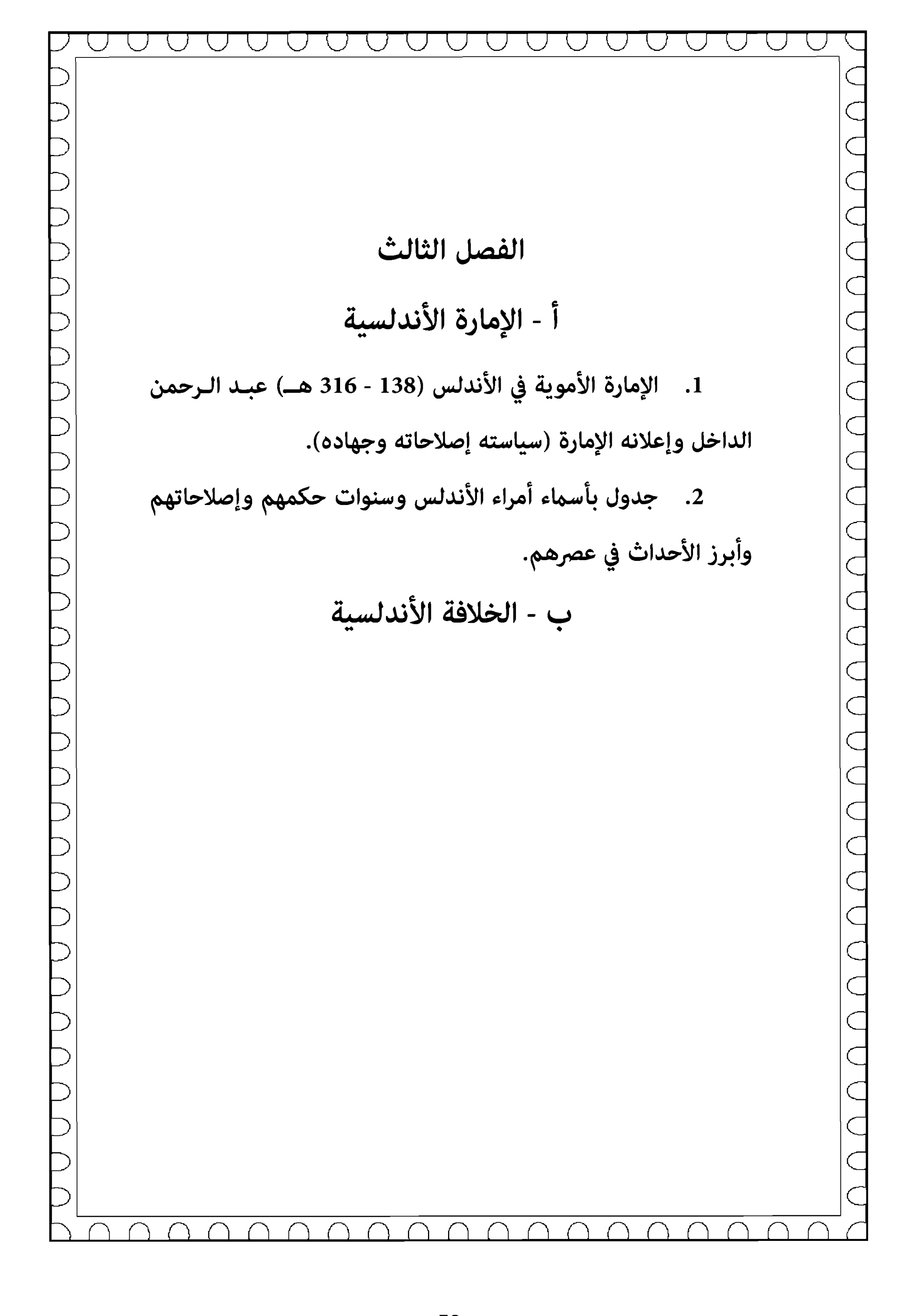
ويحتمل أن يكون ابن قطن قد شارك في معركة بلاط الشهداء وأُسندت اليه قيادة الجيش بعد استشهاد الوالي الغافقي[2].

اهتم الوالي ابن قطن بالقضاء على التمردات العسكرية في ولايته الاولى، تلك التمردات التي ظهرت في الشمال الأسباني حيث استغلت تلك العصابات فرصة انشغال الوالي بإقرار الامن وتجهيز الحملات الجهادية[3].

(1) المقري، نفخ، ج3، ص119: ج1، ص236: ابن خلدون، العبر، ج4، ص258، ابن الاثير، الكامل، ج4، ص217، احداث عام 115هـ

(2) الحجي، تاريخ الأندلسي، ص204.

(3) المقري، نفح، ج2، ص236، ج3، ص19.



الفصل الثالث

أ - الإمارة الأندلسية

1. الإمارة الأموية في الأندلس (138 - 316 هـ) عبد الرحمن الداخل وإعلانه الإمارة (سياسته إصلاحاته وجهاده).
2. جدول بأسماء أمراء الأندلس وسنوات حكمهم وإصلاحاتهم وأبرز الأحداث في عصرهم.

ب - الخلافة الأندلسية

أ - الإمارة الأندلسية

عبد الرحمن الداخل وإعلان الإمارة:

أ. سياسته.

ب. وإصلاحاته.

ج. جهاده.

استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بـن الحكـم ويكنى ابو المطرف أن ينجح في الهرب من بلاد الشام بعد ملاحقة ومطاردة العباسيين لأمراء بني امية بالشام بعد نجاح الدعوة العباسية ونشوء الخلافـة العباسـية بـالعراق عام 132هـ/749م.

تحدث لنا المؤرخ الأندلسي الرازي عن قصة نجاة عبد الرحمن الداخل والطريـق الذي سلكه بقوله: " فخرج عبد الرحمن بن معاوية مختفيـا مـن موضـع إلى موضـع، وهمه الأندلس، لما كان في نفسه من امرها ومـن الاثـر المـروي عنـه منهـا، فوصـل إلى مصر، ثـم سـار منهـا إلى برقـة، فبقـي فيهـا مـستترا مـدة، ثـم رحـل عنهـا، فأوغـل في المغرب.... "[1] وقص لنا عبد الرحمن بن معاوية الداخل طريقـة هروبـه بعـد مذبحـة القلعة حيث تحدثت بها إلى جماعة من البدو عندهم وقال لما امنا وشاع ذلك ركبـت متنزها فوقع بهم، وانا غائب فرجعت إلى منزلي فنظرت فيما يصلح اهـلي ويـصلحني وخرجت حتى صرت في قرية على الفرات ذات شجر وغياض وأنا والـلــه مـا أريـد الا المغرب.. "[2].

---

(1) عنـد ابـن عـذاري المراكـشي، البيـان، ج2، ص40 - 41 مجهـول، فـتح الأنـدلس، ص44 - 45 (فوصل إلى مصر ثم إلى برقة فبقي فيها مستترا خمس سنين ثم رحل عنها).

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص51: ابن الخطيب الغرنـاطي، اعـمال، ص8: ابـن الاثـير، الكامـل، ج4، ص361 - 362. "... فاخـذت دنـانير معـي ونجـوت بنفـسي واخـي مـا علمـت اخـواتي بمتوجهي فأمرتهن أن يلحقني مولاي بدرا، واحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي أثراً، فأتيت رجلا من معارفي وأمرته فاشترى لي دواباً وما يصلحني".

وبذلك نجح عبد الرحمن بن معاوية من العبور نهر الفرات سباحة مع اخيه يحيى الذي وثق بنداء العباسيين بالامان والعودة إلى البر بعدما عجز عن اكمال سباحة النهر كما ورد بالنص: " عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم بالامان فأخذوه... "[1].

وعلى ضوء الاحداث التاريخية التي مرت بهروب عبد الرحمن بن معاوية ووصوله إلى المغرب يروي لنا ابن خلدون صورة عن ذلك بقوله: " فخلص إلى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن حبيب...لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه إلى من بالأندلس من موالي المروانيين واشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له بالأندلس دعوة ونشروا ذكرا"[2].

وقد ساعدت عبد الرحمن بن معاوية الظروف والاحوال الصعبة التي شهدها بلد الأندلس والعوامل التي انتهزها ابن معاوية بالنقاط الموجزة الآتية:

1. اشتداد الفوضى والاضطرابات والفتن الداخلية بالأندلس عند وصوله المغرب.
2. انشغال الوالي يوسف الفهري والصميل بن حاتم الكلابي بتجهيز حملة عسكرية على سرقسطة[3] بعد هجمات الممالك الأسبانية وتحركاتها على الثغور الأندلسية.
3. نجاح عبد الرحمن الاموي من الحصول على تأييد وعطف الامويين في

(1) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص361 - 362: ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص23" أن عبد الرحمن بن معاوية نجا إلى بلد البربر وهو مستتر فيه خايف على نفسه ": مجهول، فتح الأندلس، ص44" عبدالرحمن بن معاوية مختفيا من موضع إلى موضع وقصده الأندلس".
(2) ابن خلدون، العبر، ج4، ص131: مجهول، فتح الأندلس، ص35" واتى نفزة هم اخواله فإن امه كانت من سبيهم".
(3) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص23 "ويوسف بن عبد الرحمن خارج إلى حرب سرقسطة".

الأندلس وكسبهم إلى حركته.

4. تقريب البربر ودعمهم وتأييدهم ووقوفهم إلى جانب عبد الرحمن بن معاوية لأن امه (راح) بربرية من نفزة.

5. بث عبد الرحمن الاموي الوعود والامال بتحسين اوضاع الأندلس واحواله.

6. نجاح المفاوضات والاتصالات التي اجراها مولاه " خادمه " بدر في الأندلس.

7. الفتنة القبلية بين المضرية (الحاكمة في الأندلس) واليمنية التي ينتمي لها عبد الرحمن بن معاوية حيث حصل على عطفهم وأجرى اتصالات سرية مكثفة معهم.

8. وقوع الوالي يوسف الفهري تحت ضغط وتأثير الصميل الذي اشاد اليه بالتودد والتقرب إلى عبد الرحمن الاموي حيث ارسل اليه وفداً وهدايا ثمينة تعبيراً على الاحترام[1].

دعم عبد الرحمن الاموي من مرافقيه وإسنادهم له وتشجيعهم لخطته "وكان ابو الشجاع عالما بالأندلس وذلك أنه كان دخلها مع ابن نصير أو بعده وغزا صوائف الأندلس فشق على ابن معاوية فراقه فرجع إلى ام الاصبغ بالشام"[2].

9. المجاعات التي اصابت الأندلس والنكبات التي حلت به من عام 131 - 136 هـ/748 - 752م، فقد ازهقت ارواح ابرياء واتعبت النفوس وسئمت الرعية

---

(1) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص 23، "فدخلا إلى الصميل بن حاتم وسألاه أن يخلي نفسه لهما ففعل وذكراه بليلاي بني امية عنده وعند سلفه وقالا له إن عبد الرحمن بن معاوية نجا إلى بلد البربر وهو مستتر فيه خايف على نفسه وانتنا وصيته يسدل الامان في نفسه ويتوسل اليك بما قد علمته وانت ذاكراً له فقال نعم وكرامة ونضم يوسف هذا الا أن يزوجه ابنته وشركه في سلطانه ". مجهول، اخبار مجموعة، ص13؛ ابن عذراري المراكشي، البيان، ج2، ص46، "قال ابن عيسى: فحدثني تمام بن علقمة أن عبد الرحمن، لما اتاه كتاب الفهري بما فيه وبتزويجه ابنته، اشار عليه كل من اتاه من العرب والامويين ألا يقبل ذلك منه ".

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص55 - 56.

من سياسة الوالي عبد الرحمن الفهري، وكان ينتظر أهل الأندلس الفرج بعد الشدة وقد وجدوا ضالتهم في عبد الرحمن الاموي وبوعوده واماله للأندلسيين.

وبعد نجاح المفاوضات والتأكد من الظروف والاجواء المناسبة لاستقبال عبد الرحمن بن معاوية عزم على العبور إلى الأندلس وذلك في غرة ربيع الاول سنة 138هـ/ 755م " وهو ابو الملوك، وكان خروجه من المركب بموضع يعرف بالمنكب (Almunecar)ثم نزل بقرية قرش من كورة البيرة من قبل اليه جماعة من الامويين، وقد اعد للامير ما يصلحه من المركب والمنزل والملبس فغلظ أمر ابن معاوية وأقبل الناس من كل مكان اليه، فكتب يوسف الفهري إلى جماعة الامويين، يحذرهم ويخوفهم "[1].

وتجمعت مع عبد الرحمن الاموي أعداد كبيرة من الفرسان والمشاة المتطوعين في كور الأندلس التي مر بها اثناء مسيره في ارض الأندلس من اجناد الشام " فخرجنا إلى جدار ابن عمرو والى جند الاردن اجتمعنا اليه فأتينا في ثلاثمائة فارس من جماعة الامويين ومن اقبل اليه من وجوه العرب ثم كاتبنا أهل قنسرين وفلسطين، فلما اقبلت الينا رسلهم بما اردنا، نهضنا اليهم وكنا قد واطنا على الموت، وعزمنا على أن نقتل دونه، وعقدنا له لواء، واقمنا معه ستة اشهر، نبرم له اموره، وتكاسب اليه الناس وكنا خرجنا اليه في زي حسن عند خروجنا اليه بساحل البحر ثم انتقل من البيرة إلى كورة رية، إلى شذونة، إلى مورور، إلى كورة أشبيلية، والناس يتلقونه بالبشرى والترحيب، ويعطونه من الانقياد والطاعة أو في نصيب قال تمام " فدخلنا رية Rayya في ستمائة فارس وخرجنا منها في الفي فارس، وخرجنا من أشبيلية إلى قرطبة في ثلاثة الاف فارس، فلما اجتمعت لنا الجموع، وبلغنا ما يريد الفهري من الخروج الينا"[2].

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص44: ابن الخطيب القرناطي، اعمال الاعلام، مجهول، فتح الأندلس، ص53: ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص46، برواية تمام بن عقبة ونقلها ابن عيسى.

وحدث اللقاء العسكري الحاسم عند المصارة[1] (Almazara) على نهر الوادي الكبير (Guadalqivir)بقرطبة واتخذ كل من الوالي الفهري وجنده والثائر عبد الرحمن الاموي صفة أو جهة من النهر وقد تجمعت عند كل منها اعداد من المتطوعين، وقد وضح ابن الكردبوس تلك الحالة بقوله: " ومن كان يجد على يوسف الفهري موجودة لمظلمة جرت عليه أو تقصير قصر به أو لعطاء حرمه قال عبد الرحمن فاجتمع عنده جمع كبير وقصد قرطبة دار امره الفهري فبرز اليه الفهري في جيش لا يحصى كثرة فاقتتلا وتحاربا مدة من عام إلى أن هزم الفهري وقتل واستبيح عسكره وقتل اكثره ودخل عبد الرحمن قرطبة، وطاعت له الأندلس بأسرها"[2].

حدثت معركة المصارة يوم الجمعة اول عيد الاضحى (138هـ/755م) بعد انتظار (3) ايام لانخفاض منسوب مياه نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) بقرطبة، وقد صرح عبد الرحمن الاموي في وصف المعركة واهميتها: " فقال عبد الرحمن في اي يوم نحن فقيل له في الخميس وهو يوم عرفة فقال يوم عرفة وغدا الاضحى والجمعة وامري مع الفهري أرجو أنها اخت يوم مرج راهط"[3].

---

(1) المصارة (Almazara) وتعني بالأسبانية المعصرة محل وموقع لعصر الزيتون والاعناب وكانت تقع خارج مركز المدن بالقرب من الانهار في المغرب والأندلس، كما كانت تقام فيها ألعاب الفروسية ومراسيم الاحتفالات والعروض العسكرية والصلوات العامة كالاستسقاء. انظر المقالات الأسبانية عن المعصرة في مجلة الأندلس الأسبانية بعنوان:

Torres Balbas.AL-Muzara. R. al-Andalus. 1959. fasc.ll.pp 425-433 Jaime Oliver Asin. Lasdos. R –al-Andalus.1962.fasc.l.

العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، حاشية (7)، ص59 وتعليق اخر في حاشية ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص56 حاشية (7).

(2) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص56: ابن الخطيب الغرناطي. اعمال الاعلام، ص8" واستجاب الناس إلى دعوته، ولما اكملت لديه الجيوش، عقد اللواء، ونهض نحو قرطبة، وكان الامير يوسف الفهري يومئذ غائبا عنها، محاصر مدينة سرقسطة".

(3) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص26، معركة مرج راهط محرم 56هـ حدثت بين مروان بن الحكم الاموي والضحاك بن قيس الفهري، انتقل بعدها الحكم الاموي من الفرع السفياني إلى المرواني وانتصر العنصر اليمني على المضري.

صفات عبد الرحمن الداخل:

استطاع عبدالرحمن الاموي أن ينتصر ويحقق احلامه وطموحاته بكل ما يملك من قوة وشجاعة ودهاء سياسي فاستحق أن يحصل على لقب الداخل بكل فخر واعتزاز، لأنه أول أمير أموي مشهور معروف من النجاح بالدخول إلى بلد الأندلس ويؤسس له إمارة اموية في الغرب الإسلامي بعد أن غابت في المشرق الإسلامي.

وصف المؤرخون الأمير عبد الرحمن الداخل بأوصاف حميدة وأشاد وبحسن سيرته ننقل نخب تاريخية من تلك النصوص الآتية:

1. "ابو الملوك"[1].
2. استوثق الامر لابن معاوية فجند الاجناد ودون الدواوين وقطع الدعاء لابي جعفر المنصور وكان الفهري يدعو لابي جعفر"[2].
3. " كان فصيحا بليغا (كاتبا) مرسلا (جيد) الفصول حسن التوقيع، مطبوع الشعر، وكان شاعراً مجيدا"[3].

"وكان عبد الرحمن من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل.. وكان عبد الرحمن بن معاوية فصيحا بليغا حسن التوقيع، مليح الفصول، معدودا من أهل العلم، وعلى سيرة حسنة من العدل"[4].

4. كما وصفه ابن حيان القرطبي بقوله: " كان عبد الرحمن راجح العقل وفاسح العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريئا من العجز، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى الراحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الامور إلى غيره ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه، شجاعا مقداما... "[5].

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص44، سبق وأن ورد اللقب.
(2) مجهول، فتح الأندلس، ص59.
(3) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص109 مشابه النص عند ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص10.
(4) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص10، أورد النص ايضا عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص30.
(5) عند المقري، نفح، ج3، ص37: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص109، (وقال ابن =

ووصفه الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بصقر قريش وقد سأل أصحابه بعد فشل مؤامرته على الأمير عبد الرحمن الداخل والتي قادها العلاء بن مغيث الجذمي الحضرمي من هو صقر قريش؟ قالوا امير المؤمنين الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الادواء واقاد الجيوش قال: ما صنعتم شيئاً، قالوا فمعاوية قال: ولا هذا قالوا فعبد الملك بن مروان، قال: لا قالوا فمن يا أمير المؤمنين قال: عبد الرحمن بن معاوية الذي تخلص بكيده عن سن الاسنة وظباة السيوف يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجمياً فمصر الامصار وجند الاجناد وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبير وشدة عزمه[1].

سياسته:

اتبع عبد الرحمن الداخل سياسة جديدة في الأندلس في ظل الإمارة الاموية حين انفصل الأندلس كليا عن المشرق الإسلامي وحصل على الاستقلال السياسي ولقب الداخل. " بالأمير أو بني الخلائف أو الإمام".

سعى الأمير الداخل بكل امكانيته إلى السيطرة على الاوضاع الداخلية وإحلال سلطة الإمارة بدلاً من نفوذ القبيلة ولذلك حرم رجال القبائل من التمتع بالصلاحية التي حصل عليها من الولاة حيث وقف الأمير الداخل بحزم امام نفوذ زعماء القبائل وقد ظهر ذلك اثناء معركة المصارة عندما قامت مجموعة من اليمانيين بنهب وسلب وعمل الفضائح في اسرة الوالي يوسف الفهري، فأمر

=

حيان، كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل راسخ العلم واسع الحلم كثير الحزم نافذ العزم، لم يرفع له لواء قط عدو الا هزمه، ولا بلد الا فتحه، شجاعا مقداما شديد الجد وقليل الطمأنينة، لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة، لا يكل الامور إلى غيره، كثير الكرم عظيم السياسة، يلبس البياض ويعتم به، وكان في خلافته يعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلي بالناس في الجمع والاعياد ويخلص في الاستسقاء ويبكي ويتضرع).

(1) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص118 - 119: ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة في نكت الاخبار الماثورة، تحقيق، د. محمود على مكي، مدريد، 1404هـ 1984م، الزهرة 82، ص127.

بمحاسبتهم ومعاقبتهم وأمرهم بإرجاع ما تم سلبه" ورد ما قدر على رده فغضبت اليمانية وساءهم... فانتصح ابن معاوية وأعلمهم بما تشاور فيه القوم من قتله وقتل مواليه"[1].

عمل الأمير الداخل على ضبط الامن والاستقرار في داخل الأندلس وإنشاء جهاز الشرطة[2]. ليتولى مهمة الحفاظ على الامن الداخلي وسلامة البلد ومطاردة المتمردين والعصاة، ووزع المناصب المهمة على المؤيدين له المقربين منه من الامويين كما احاط نفسه ببعض القادة والفرسان البارزين تحسباً للطوارئ والمخاطر الخارجية وبث العيون في داخل بلد الأندلس وخارجه وابدل ولاة المدن وعين ابا الصباح اليحصبي حاكما على مدينة أشبيلية[3].

كما اتبع سياسة ادخال البربر والاعتماد عليهم فضلا عن الجند العربي[4].

وبلغت جنوده مائة الف فارس[5] "كما ادخل الأمير الداخل عنصر العبيد السودانيين في جيشه من اجل تنويعه وتحسينه بمقاتلين اقوياء ووضع عليهم مسؤولاً يعرف بعرافة السود[6]، كما سعى الأمير الداخل على الاهتمام بجنده وتقديم الاكراميات للفرسان حيث منح الأشراف منهم ألف دينار ونصف المبلغ للعامة من الفرسان كما ورد في النص الآتي:

"وجعل عبد الرحمن في ذلك الموقف يطوف بعسكره ويشرف على احوال

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص90 - 91.

(2) المصدر نفسه، ص104.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص53" وفيها سنة 149هـ قتل الامير عبد الرحمن ابا الصباح بن يحيى اليحصبي وكان قد ولاه اشبيلية، ثم عزله عنها": مجهول، فتح الأندلس، ص63: مجهول، اخبار مجموعة، ص105. " وكان سبب ثورته أن الامير كان قد ولاه اشبيلية ثم عزله فنقم ذلك".

(4) مجهول، فتح الأندلس، ص66" امر الامير ابن معاوية باشتراء المماليك من كل ناحية فكان منهم في ديوانه من البربر والمماليك أربعون الفاً لأنه استوحش من العرب بسبب نبذهم لطاعته".

(5) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص110.

(6) مجهول، اخبار مجموعة، ص109.

رجاله في معتركهم فنظر إلى رجل من الفرسان وقد نزل عن فرسه وظهرت منه كفاية في مقامه فقال لفتى له انظر هذا الرجل فإن كان من اشراف الناس فأعطه الف دينار وإن كان من أفناء الناس فأعطه شطرها فلما ذهب اليه إذ به رجل من العرب يقال له القعقاع ابن زينم من أهل ريا فأعطاه الف دينار فلحق بالشرف[1].

واتخذ الأمير الداخل الاحتياطات في مواجهة المؤامرات والثورات والمخاطر الخارجية والداخلية والتصدي لها من ابرزها:

تمرد العلاء بن مغيث الجذامي الحضرمي في مدينة باجة بتحريض الخليفة العباسي المنصور ودعمه واسناده من اجل الاطاحة بالإمارة الاموية بالأندلس وتحدث عن ذلك المؤرخ ابن القوطية القرطبي بقوله: وبعث المنصور إلى العلاء بن المغيث الجذامي وكان من سكان باجة في الغرب وكانت له فيها رياسة وبعث اليه بسجل ولواء[2]. نجح الأمير الداخل من التصدي للمؤامرة العباسية بكل بسالة للتمرد واستطاع ملاحقته بعد أن هرب العلاء بن مغيث إلى مدينة قرمونة، واستطاع الأمير الداخل مع مولاه بدر من التخلص منه بعد أن سقط في يده وغشيتهم خيل بدر فانهزموا وقتلوا قتلا ذريعا وقتل العلاء فكان جملة من قتل معه عشرة آلاف فأمر الإمام بجز رأس العلاء بن مغيث ورؤوس اعيان وقرطت من اذانهم صكوك باسم كل واحد منهم "[3] وقد بعث برأس العلاء الجذامي إلى مكة حيث كان الخليفة العباسي المنصور ويحج في ذلك العام فاندهش الخليفة وتعجب عند سماعه الخبر وقال: " الحمد لله الذي جعل بيننا وبين أعدائنا هذا البحر"[4].

2. ثورة سعيد اليحصبي المعروف بالمطري سنة 149هـ/ 766م في كورة لبلة محرضا لليمانية ومطالبا بدم العلاء ومن قتل معه من اليمانيين، حيث سار إلى

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص119.

(2) ابن القوطية القرطبي، افتتاح. ص32: مجهول، اخبار مجموعة، ص102: وسعا لي طاعة ابي جعفر وكان قد بعث اليه بلواء أسود في سن قناة.

(3) مجهول، فتح الأندلس، ص62.

(4) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص115: ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص34: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص52.

مدينة أشبيلية وقد حاربه الأمير الداخل واستطاع التخلص منه[1].

1. كما نجح الأمير الداخل في صد تمرد عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي لشقرته في مدينة تدمير (Tudmir) عام 162هـ/778م[2].

2. وفي عام 165 هـ/ 781م ثار سليمان بن يقظان الاعرابي في سرقسطة ويساعد في تحرك الحسين بن عبادة الانصاري، وقد استغل شارلمان حاكم الافرنج تمرد هؤلاء العصاة على الأندلس واتصل بهم وأمدهم بالمال والتسليح[3].

تحدثت المصادر عن هجوم شارلمان وتصدي الأمير الداخل للتمرد الافرنجي على الأندلس في الثغر الاعلى للأندلس وقاعدته سرقسطة كما نقل لنا الرازي بقوله: " كان سليمان بن يقطان من نازل سرقسطة... فخرج من قرطبة ودخل سرقسطة... وتأهب الأمير عبد الرحمن بن معاوية لغزوه، فوثب حسين بن يحيى على سليمان بن يقطان وملك مدينة سرقسطة"[4].

ووصف لنا المؤرخ ابن الاثير صورة اخرى عن هجوم شارلمان على الأندلس بقوله: " سار عبد الرحمن الاموي إلى سرقسطة بعد أن كان قد سير ثعلبة بن عبيد في عسكر كثيف، وكان سليمان بن يقظان، والحسن بن يحيى قد اجتمعا على خلع طاعة عبد الرحمن كما ذكرنا، وهما بها، فقاتلهما ثعلبة قتالا شديداً وفي بعض الايام عاد إلى مخيمه فاغتنم سليمان غرته، فخرج اليه، وقبض عليه، واخذه وتفرق عسكره، واستدعى سليمان قارله ملك الافرنج. ووعده بتسليم البلد وثعلبة اليه، فلما وصل اليه لم يصح بيده غير ثعلبة فأخذه وعاد إلى بلاده. وهو يظن أنه يأخذ به عظيم الفداء، فأهمله عبد الرحمن مدة ثم وضع من طلبه من الافرنج، فأطلقوه "[5].

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص105: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص3.

(2) مجهول، فتح الأندلس وص67.: ابن الاثير، الكامل، ج5، ص60" منح الامير الداخل مكافأة الف دينار لمن يأتي برأس الصقلبي فقتله بربري وحصل على المكافأة.

(3) مجهول، فتح الأندلس، ص67: ابن عذاري المراكشي، البيان، ص56: المقري، نفح، ج3، ص48.

(4) العذري (ابن الدلائي)، ترصيع الاخبار، ص25.

(5) ابن الاثير، الكامل، ج6، ص63 - 64: ابن خلدون، العبر، ج4 وص24. تطلق الرواية العربية اسم قارلة على شارلمان ملك الافرنج.

فشل هجوم شارلمان ملك الافرنج على الأندلس ذات الطابع السياسي والعسكري والديني والأطماع بخيرات الأندلس وذلك بسبب انشغال شارلمان بثورات وتمردات القبائل السكسونية في بلاده وانسحاب جيشه خشية وخوفاً من استعدادات الأمير الداخل وتجهيزاته العسكرية المتطورة حتى أنه حاصر مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الاعلى ومعه (36) منجيقا[1].

فضلا عن الاحباط والحيرة واليأس الذي اصاب شارلمان مما اجبرته على التنازل وتغيير سياسته تجاه الأندلس بعد تشريد جيشه ومقتل قائد جيشه رولان (Roland) وصارت حادثة مقتله ومقتل قائد جيشه رولان (Roland) أنشودة ملحمية في فرنسا.

عاد الاعرابي والانصاري إلى الصف العربي الإسلامي وانضموا إلى جيش الأمير الداخل الذي اخذ يدافع عن ثغور الأندلس بكل حماسة واخلاص فاضطر شارلمان إلى طلب الصلح والتقرب من الإمارة كما أكد لنا المقري بنصه: "وخاطب عبد الرحمن قارله ملك الافرنج - وكان من طغاة الافرنج - بعد أن تمرس به مدة، فأصابه صلب المكسر، تام الرجولية، فمال معه إلى المداراة، ودعاه إلى المصاهرة والسلم، فأجابه للسلم ولم تتم المصاهرة"[2].

اما ابرز الاصلاحات العمرانية التي قام بها الأمير الداخل فهي:.

بناء سور وقنطرة لحاضرة الأندلس قرطبة كما ورد ذلك بالنص: " وفي سنة خمس ومائة أمر الإمام ابن معاوية ببناء سور قرطبة، فبنى ما كان جبر منه باللبن إذ بنيت قنطرة من صخرة فكمل بناؤه على حساب ما امر به"[3].

من اهم اعماله وانجازاته العمرانية هو بناء المسجد الجامع بقرطبة واتقانه سنة

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص115، نظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص218 - 226: خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص25.
(2) المقري، نفح، ج1 وص330 - 331.
(3) مجهول، فتح الأندلس، ص64.

169هـ/785م ويذكر عنه المؤرخ الرازي بقوله: " فلما دخل عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، وسكن قرطبة، نظر في امر الجامع، وتوسيعه وإتقان بنائه، فأحضر أعاجم قرطبة، وسألهم بيع ما بقي بأيديهم من الكنيسة المذكورة، واوسع لهم البذل فيه، وكان شروع عبد الرحمن الداخل في هدم الكنيسة وبناء الجامع سنة 169، وتم بناؤه وكملت بلاطاته، واشتملت اسواره في سنة 170"[1].

يذكر أن الأمير الداخل نزل في مدينة الرصافة من قرطبة وكانت فيها نخلة ذكرت الأمير بوطنه الشام وأرهفت مشاعره وأحاسيسه وأنشد أبياتاً شعرية نذكر منها:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت:

تشبهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بني عن اهل

نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الاقصاء والمشتاي مثلي

جدول بأسماء امراء الأندلس:

1. عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بالداخل و(صقر قريش) 138 - 172 هـ/755 - 788م (دام حكمه 33 سنة و4، 5 أشهر).
2. هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الاول والملقب بالمرتضى أو الراضي، حكم الاعوام: 172 - 180 هـ/788 - 796م (دام حكمه 7سنة و9 أشهر).
3. الحكم بن هشام الاول الملقب بالربضي 180 - 206هـ/ 796 - 822 (دام حكمه 26سنة و11شهرا).
4. عبد الرحمن بن الحكم الثاني أو الاوسط 206 - 238هـ/822 - 852م

(1) نقلا عن ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص229: ابن الاثير، الكامل، ج5، ص83، أحداث سنة 170هـ " وفيها امر عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة وكان موضعه كنيسة واخراج عليه مائة الف دينار ". مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص115 - 116" وفي سنة 170 اسس الامام الجامع بقرطبة واخذ في بنائه واتقانه من مال الاحباس وانفق في بنائه مائتي الف دينار... قال: وجعل للجامع سبعة ابواب لدخول الرجال وبابين لدخول النساء، وجعل طوله 225 ذراعا وعرضه 105 أذرع... ".

(دام حكمه 31 سنة و3 أشهر).

5. محمد بن عبد الرحمن الاول 238 - 273 هـ/ 852 - 886م (دام حكمه 34 سنة و11شهرا).

6. المنذر بن محمد 273 - 275هـ/886 - 888م (دام حكمه 2 سنة).

7. عبد الله بن محمد 275 - 300هـ/888 - 912م.

8. عبد الرحمن بن محمد الثالث والملقب (الناصر لدين الله) 300 - 350هـ/ 912 - 961 (دام حكمه 50 سنة و6 أشهر).

إصلاحات أمراء الأندلس:

امتاز عصر الإمارة بكثرة الانجازات والاصلاحات في جميع نواحي الحياة. وكان العهد بداية نهضة ضخمة وعميقة وشاملة لعصر ذهبي في الأندلس امتاز بلون وطابع خاص أما ابرز الاصلاحات الحضارية والاحداث المهمة التي اوردتها لنا المصادر الإسلامية في عهد الامراء يمكن انجازها بالنقاط الآتية:

1 - الجانب العمراني:

المساجد - كان امراء الأندلس مولعين بالعمران ومهتمين في إنشاء المساجد وإعمارها لما لها من اهمية في الإسلام وللحصول على الأجر والثواب وتخليد حكمهم. وقد ذكر بأن الأمير الداخل اول من أنشأ المسجد بقرطبة عام 170هـ/ 876م الامراء ومنهم ابنه الأمير هشام المرتضى وكان اول شيء نظر فيه اتمام الجامع الذي كان ابوه ابتدأ بناءه، وابتنى ميضاة للتصرف والوضوء وجلب اليها المياه"[1].

والأمير هشام " هو الذي شيد سقائف المسجد الجامع بقرطبة، ورفع منارته

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص119: ابن غالب الأندلسي، فرحة الانفس، ص28 - 30: الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص575 - 579 قدم لنا وصف كامل: ابن حوقل، صورة الارض، ص108: الحميري،. الروض المعطار، ص153 - 156.

القديمة "[1] كما اقام الأمير عبد الرحمن الاوسط بأعمال عمرانية في المسجد حيث " زاد في جامع قرطبة على ما كان زاد فيه جده عبد الرحمن الداخل زيادة كثيرة ورفع سمكه"[2].

اهتم الأمير عبد الرحمن الثاني بإنشاء المساجد في مدن الأندلس " وفي سنة 210 هـ امر الأمير عبد الرحمن ببنيان الجامع بمدينة جيان "[3] " وفي سنة (320) هـ امر ببناء الجامع بأشبيلية... وفي سنة 234 امر الإمام عبد الرحمن بن الحكم ببناء الجوامع الكبيرة بسائر الأندلس فبنيت وضع بها المنابر للخطباء، وتنافست جواريه في بناء المساجد وعمارتها واتخاذ الاوقاف لها اقتداء بفعله فبنى مسجد طروب ومسجد مجد ومسجد الشفاء ومسجد متعة"[4].

كما سار الأمير عبد الله على منوال اهله في زيادة المسجد الجامع بقرطبة وتوسيعه واصلاحه وذلك أنه " بنى الساباط بين القصر والجامع بقرطبة لمحافظته على الصلوات في الجماعة "[5].

2 - بناء القناطر والجسور والحصون والقلاع والأسوار والقصور:

استمرت الانجازات العمرانية في عهد الأمير الداخل الذي اهتم ببناء سور قرطبة " فبنى ما كان جبر منه باللبن إذ بنيت القنطرة من صخرة فكمل بناءه على

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص68: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص113 غنم هشام غنائم كثيرة من جنوب فرنسا مكنته من بناء عدة مساجد على شاطئ الوادي الكبير وتوسيع نطاق مسجد قرطبة.

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص141: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص84، سنة 218هـ " وفيها قامت الزيادة في مسجد الجامع بقرطبة من الارجل التي بين السواري إلى القبلة ". ابن القوطية، افتتاح، ص62" وامر بالزيادة في جامع قرطبة فتمت ايامه" .

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص82.

(4) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، 124: ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص45" وهو الذي بني جامع اشبيلية وسورها، وتولع جواريه ببناء المساجد وفعل الخير " .

(5) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص153 - 154.

حساب ما امر به "[1]. كما شملت العناية قنطرة قرطبة التي أنشأها الوالي السمح بن مالك الخولاني على نهر الوادي الكبير وقد جدد بناءها الأمير هشام الربضي وقد نظر في بنيان قنطرة قرطبة، وأنفق في صلاحها اموالا عظيمة. وتولى بناءه بنفسه، وتعطى الاجر بين يديه "[2] ومن الغريب والطريف أن الرعية في الأندلس كانت تتصور أن تجديد هشام للقنطرة كان لمصلحته الخاصة كما قال ابن وضاح: لما بنى هشام القنطرة، تكلم بعض الناس فيه، وقالوا: انما بناها لتصيده ونزهته - فحلف حين بلغه ذلك ألا يجوز عليها إلا لغزو أو مصلحة"[3].

اهتم الأمير عبد الرحمن الثاني بوسائل الحضارة من النظافة وتقديم الخدمة للرعية في قرطبة وجلب اليها المياه العذبة من الجبال[4].

وبنى الأمير عبد الرحمن الحصون والقلاع والأسوار حول عدد من مدن الأندلس منها أشبيلية وشيد مدينة مرسية Murcia عام 216 هـ/ 831م على يد عامل تدمير[5].

أما الأمير محمد بن عبد الرحمن فقد اهتم بتحصين المدن والأسوار ايضا وقد بنى السور على مدينة قلعة رباح وبنى قصبتها وبنى سور مدينة طبيرة[6].

وشيد الأمير محمد بن عبد الرحمن مدينة مجريط (وهي مدريد عاصمة أسبانيا

---

(1) مجهول، فتح الأندلس، ص64.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج1، ص66: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص120.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص: المقري، نفح الطيب، ج1، ص338 "... انه بناها لاموره الخاصة، فأقسم الامير هشام ألا يعبر عليها إلا للجهاد ولمصلحة عامة "ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص12 " بناها لتصديه ونزهته، فحلف، لما بلغه ذلك أن لا يجوز عليها إلا لغزو في سبيل الله أو مصلحة " المجهول ، ذكر بلاد الأندلس، ج1وص120.

(4) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص119: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص491، ابن الابار البلنسي، الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج1، ص114.

(5) العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص152.

(6) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص147 طبيرة Talavera قلعة رباح Calatrava. ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص95" سنة 241 شحن الامير محمد قلعة رباح وطلبيرة بالحشم، ورتب فيها الفرسان".

الحالية Madrid) وقد أكد لنا ذلك الحميري بقوله " مدينة بالأندلس شريفة، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن... وحصن مجريط من الحصون الجليلة... وذكر ابن حيان في تاريخه الخندق الذي خندق بخارج اسوار مجريط ... ومجريط مدينة صغيرة، وقلعة منيعة، وكان لها في زمن الإسلام مسجد جامع وخطبة قائمة، وهي بمقربة من طليطلة "[1] كما شيد طلمنكة[2].

3 - الإنجازات العامة:

شهد عصر الإمارة اصلاحات ادارية وقضائية ومالية سجلتها لنا المصادر الأندلسية منها أن الأمير هشام المرتضى " سرح السجن ورد المظالم ونظر في الصدقات "[3] وبذلك نرى أن غالبية حكام الأندلس قد اهتموا بشؤون الرعية ومتابعتهم ورد الحقوق لهم وبذلك مجدهم التاريخ العربي الإسلامي، كما عمل الأمير عبد الرحمن الثاني على سيرة جدة في أن "[4] سرح السجون ورد المظالم وأخرج خمسة الاف دينار من صلب ماله، ففرقها في أهل الحاجة والفاقة من أهل قرطبة "[5] وانتهج الأمير المنذر سيرة أسلافه في أن " أخرج الاموال وفرق العطايا في الناس وسرح السجون وتحبب إلى الناس بأن أسقط عنهم عشر ذلك ".

يعد الأمير الحكم الربضي هو أول من رفع الأعشار للمخازن... وهو أول من أحدث خطة المظالم في الأندلس[6]. ويذكر أن الأمير الربضي استمع إلى مظالم الرعية وكان لهم يومان في الاسبوع يقعد فيهما للعامة بنفسه وينظر في أمورهم

---

(1) الحميري، الروض، ترجمة رقم 169، ص179 - 180. د. محمود علي مكي، مدريد عربية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.

(2) الحميري، الروض، ترجمة رقم 120، ص128 " طلمنكة مدينة بغرب الأندلس، بناخها الامير محمد بن عبد الرحمن.... وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً".

(3) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص119.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص119.

(5) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج 1، ص150، ابن عذاري المراكشي، البيان، ج1 ص 11 (وتحببه إلى أهل قرطبه والرعايه بان اسقط عنهم عشر العام وما يلزمهم من جميع المغرم).

(6) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص126 - 128.

بإشرافه ويكون مظالمهم بإنصاف ويحضر مجلسه القضاة والفقهاء "[1].

أما الأمير عبد اللـه فيذكر عنه انه كان " يقعد للمظالم بلـب قـصره فترفـع اليـه الظلمات ويصل اليه الكبير والصغير[2].

حرص أمراء الأندلس على متابعة أخلاق المجتمع الإسلامي في الأنـدلس وتعـاليم الدين الحنيف وكان الأمير عبد الرحمن الثاني قـد امـر بتغـير المنكـرات وازار المكـوس وامر بهدم المروس الذي يبـاع فيـه الخمـر وهـدم ديـار الفـساد وضرب أهـل الفـساد وطردهم عن قرطبة، فأحبـه الخـاص والعـام وضـج النـاس لـه بالـدعاء واخـذ نفـسه بالاقتصاد والتواضع والاخذ بالعفو في كل الامور الا في إقامة حدود اللـه تعالى، فعتلى بذلك وعز سلطانه[3].

وكان الأمير عبد الرحمن الثاني " أول من ضرب السكة بقرطبة من بني أمية[4].

اعتنق أهل الأندلس المذهب الأوزاعي نسبة إلى الإمام عبد الـرحمن بـن عمـرو الاوزاعـي (ولـد في بعلبـك سـنة 88هــ/707م وتـوفي في بـيروت 157هــ/ 774م) ثـم اعتنقوا بعده المذهب المالكي (نسبة إلى الإمام مالـك بـن انـس إمـام المدينـة المنـورة وصاحب كتاب الموطأ في الحديث) وذلك في عهـد الأمـير الحكـم الربـضي كـما جـاء في النص الآتي: " كان أهـل الأنـدلس مـن حـين اسـتفتاحها إلى مـدة الخليفـة الحكـم بـن

---

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص128: ابـن خلـدون، العـبر، ج4، ص27. "وكـان لـه عيـون يطالعونه باحوال الناس وكان يقرب الفقهاء والعلماء والصالحين " .

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، 154.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص139: ابن سعيد المغربي، المغرب في حـلى المغـرب، تحقيـق، د. شـوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1964، ج1، ص114. " واستفتح دولته بهدم فندق الخمـر واظهار البر".

(4) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص114: ابن عـذاري المراكـشي، البيـان، ج2، ص91. "واتخـذ السكة بقرطبة"، ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهـرات المنثـورة في نكـت الاخبـار المـأثورة، تحقيق: محمود علي مكي، مدريد 1984، الزهرة 85، ص131، " سنة 125هـ إلى أن سبق هذا الخليفة عبد الرحمن إلى ضرب الدنانير والدراهم، فاتخـذت بقرطبـة سـكة ضربهـا منقوشـة باسمه فقرر لاعلى عياره " ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص46، وقـال الـرازي " إنـه الـذي احدث بقرطبة دار السكة".

هشام على رأي الاوزاعي ومذهبه، اقاموا على ذلك مدة من مائة سنة وعشر سنين ثم تحولوا عن ذلك إلى راي مالك بن أنس ومذهب أهل المدينة، فانتشر علم مالك ورايه بقرطبة وغمر بلاد الأندلس، وذلك برأي الحكم واختياره"[1].

اما اسباب اعتناق أهل الأندلس المذهب المالكي فيعود إلى عوامل أبرزها:

1. سعة معلومات الإمام مالك.
2. جلالة تقديره عند عامة الناس.
3. فضل الإمام مالك على الثقافة الدينية على علماء الأندلس الذين زاروا المدينة المنورة وتتلمذوا على يد الإمام وطلابه.
4. اقامة الإمام مالك في المدينة المنورة سهل اتصال الحجاج الأندلسيين بالإمام.
5. الصلات الطيبة بين الأمير هشام وابنه الحكم[2] بالإمام مالك واول من ادخل كتاب " الموطا " للإمام مالك في الأندلس هو الفقيه يحيى بن يحيى الليثي.

4 - الحركة الثقافية:

ازدهرت الحركة الفكرية في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني ووصلت إلى اوج ازدهارها ونضوجها، والأمير " هو اول من ادخل كتب الزيجات وكتب الفلسفة والموسيقى والحكمة والطب والنجوم إلى الأندلس[3]. ويعد عصره من ألمع العصور فكراً واتصالا بعلماء المشرق، حيث كان الأمير مولعاً ومهتماً في اقتناء امهات الكتب وفرائدها فكلف مندوبين عنه للبحث عن نفائس وذخائر الكتب في الاقاليم الإسلامية وكانت له همة في كتب العلوم والاداب فبعث ثقته عباس بن

(1) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة.، الزهرة 84، ص129 - 130: المقري، نفح، ج1، ص217 - 218: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص125.

(2) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص42 - 43: زيارة فتية الأندلس زياد بن عبد الرحمن اللخمي للامام مالك بالمدينة المنورة الذي سأله عن الامير هشام فأخبره عن مذهبه وحسن سيرته (فقال مالك لبيت الله زين سمعنا بمثل هذا).

(3) مجهول، ذكر بلاد الأندلس وج1. 138.

ناصح الثقفي إلى بغداد بالاموال والاداب والطلبات فاشترى له منها كل غريب من العلوم[1]. كما حصل الأمير عبد الرحمن الثاني على نفائس المجوهرات الثمينة والنادرة ويقال " وفي ايامه دخل الأندلس نفيس العطاء وغرائب الاشياء، وسيق ذلك اليه من بغداد وغيرها، وعند مقتل محمد الامين، ابن هارون الرشيد، وانتهب ملكه، سيق إلى الأندلس كل نفيس غريب من جواهر ومتاع، وقصد بالعقد المعرف بعقد الشفاء، وكان لزبيدة ام جعفر "[2].

وفي عصر الأمير عبد الرحمن الثاني ظهرت المؤثرات الحضارية الجديدة التي انتقلت من العاصمة العباسية بغداد إلى قرطبة الاموية بفضل تشجيعه وعزمه وذوقه واتساع افقه، فقد كانت بغداد ام الحضارة وفيها نهضة علمية ونشاط في صناعة الورق ونسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها مما ساعد على اجتذاب شيوخ الفكر الجديد من مختلف الامصار فأصبحت بغداد المورد والمزود للأندلس في العلوم والشيوخ[3].

وكان لقدوم الفنان العراقي علي بن نافع الملقب بزرياب (لقب نسبة إلى طائر اسود) وقد ولد بالعراق عام 73هـ/789م وهو تلميذ الفنان اسحاق الموصلي وحضوره بالأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني اثر بليغ في النهضة الفنية الأندلسية، وقد غنى زرياب في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد اطربه واعجبه مما اثار حسد معلمه اسحاق الموصلي الذي هدده بالقتل أو الرحيل وقد اختار زرياب الرحيل فخرج إلى افريقية فزار تونس وفكر في العبور إلى الأندلس والاتصال بالأمير الحكم الربضي فرحب بقدومه وخلال الفترة توفي الأمير الحكم الربضي ووصل زرياب إلى الأندلس اثناء تولي الأمير عبد الرحمن الثاني الذي

---

(1) المصدر نفسة، ج1، 138.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص91: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص139: ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص116 " وقد منح الامير عقد الشفاء إلى جارته طروب " فلامه بعض وزرائه وقال: " إن هذا حلي نفيس لاينبغي أن تخلى منه خزانة الملك " فقال له " إن لابسه انفس عندي منه خطرا وارفع قدرا واكرم منه جوهرا واشرف عنصرا ".

(3) العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص128 - 129.

استقبله بحفاوة واكرمه " وكملت لذته بقدوم زرياب غلام اسحاق الموصلي "[1] وكان الأمير يدعو زرياب في جلساته فيقال إن زرياب غناه يوما، فأطربه فأعطاه ثلاثة آلاف دينار[2].

وقد رحب الأمير عبد الرحمن الثاني بالفنان العراقي زرياب ورتب له ولأولاده مرتبات كبيرة كما خصص له حرساً خاصاً من الفرسان يصحبه في تنقلاته، وقد استغرق زرياب في رحلته من المشرق إلى الأندلس (13) عاما انتقلت معه الحياة العراقية بمظاهرها الفنية والاجتماعية[3].

أدخل زرياب إلى الأندلس طرقاً متطورة في الموسيقى وادواتها والغناء والوانه وفنون حضارية حديثة في فن الطعام والوانه وطريقة الترتيب الشعر وتصفيفه وارتداء الملابس وأنواعها والوانها في المواسم حيث اطلق على تلك المعلومات المشرقية اصطلاح " مراسيم زرياب"[4].

وظهرت في عهد الإمارة الأندلسية اول محاولة للطيران في تاريخ البشرية قام بها العالم ابا القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكرني (274هـ/887م) " وكان عالما متفننا وفيلسوفاً حاذقاً وشاعراً مغلقاً وكاتباً بليغاً ومنجماً محققاً جيد الاختراع كثير الابداع، احتال بقرطبة في تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش ومد لنفسه جناحين على ستة اميال من قرطبة، واستعلى في الهواء فحلق فيه حتى وقع من مكان مطاره على مسافة بعيدة، وساء على ذلك موقعه، لما تأذى من عجب ذنبه، إذ لم يحسن الاحتيال في وقوعه ولم يقدر أن الطائر انما يقع على زمكاه، فلها عن ذلك، وقد كان افزع من عاين مطاره من أهل قرطبة، فكثر تحدثهم عما عاينوه منه، ولا يعلمون

---

(1) ابن سعيد المغربي، المغرب ج1، ص47.

(2) المصدر نفسه، ج1. ص51 "وغنى زرياب بين يديه شعر طربه، فاعطاه الف دينار"، ابن القوطية، افتتاح، ص59 "وغنى زرياب عنده يوما".

(3) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص131 - 132.

(4) المقري، نفح، ج4 وص120 - 124: ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في أسبانيا، ترجمة الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1399هـ 1979م، ص66 - 72.

شأنه "[1].

وتحدث ابن حيان القرطبي عن عباس بن فرناس وقال عنه: " إنه نجم في عصر الحكم الربضي، ووصفه بأنه حكيم الأندلس الزائد على جماعتهم بكثرة الادوات والفنون "[2].

ومن اعمال عباس بن فرناس واختراعاته هي صناعة الزجاج من الحجارة، واول من فك كتاب العروض للخليل بن احمد الفراهيدي بعد دراسته المستفيضة للكتاب حيث منحه الأمير عبد الرحمن الثاني مكافأة مالية قدرها (300) على عملة تكريما على ابتكار علم العروض الأندلسي[3]، كما عمل المنقانة لمعرفة الاوقات وعمل بالكيمياء والتنجيم والفلك وصناعة نظام الشعر.

وشهد عصر الإمارة توطيد علاقات المصاهرة بين امراء الأندلس وحكام الممالك الأسبانية من اجل توثيق العلاقات والروابط الاجتماعية مع الجيران مثل زواج الأمير عبد الله بن محمد ونقة الأسبانية ابنة فرتون[4]، التي انجبت منه الأمير محمد والد الخليفة عبد الرحمن الناصر.

---

(1) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 86، ص132 - 133: ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص333: الحميدي، جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، 1372هـ/ 11952م، ص30.: ابن عذاري المراكشي ، البيان، ج2، ص11 - 112.

(2) نقلاً عن ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص333: المقري، نفح، ج1، ص101: ليفي بروفنسال، الحضارة، ص74: الياس ترس سادابا، عباس بن فرناس، مقالة بالأسبانية في مجلة الأندلس، العدد 24، (مدريد 1964) ص365 - 699.

Elias Teres Sadaba, "Sobre el Vuelo de. Abbas Ibn. Firnas. R.al – Andalus al – Andalus ومقاله اخرى للمؤلف Vol. XXIV.Madrid (1964) PP.365-699. Madrid (1960) PP. 239-249.

(3) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص153.

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص97 " سنة 246هـ قام الامير محمد بغزو إلى بنبلونة واسر الانقر واخذ فيه فرتون بن غرسية المعروف بالانقر، وقدم به إلى قرطبة، انظر: الحجي، الأندلسيات، المجموعة الاولى، ص75 (المصاهرات بين الأندلس وأسبانيا النصرانية): خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب، حضارتهم، ص143.

أبرز الأحداث التي ظهرت في عصر الإمارة:

واجهت عصر الإمارة احداث سياسية وعسكرية من تمردات وعصيان واضطرابات داخلية وهجمات خارجية من فئات وعناصر متنوعة استطاعت الإمارة أن تعالجها ومن ابرز تلك الاحداث التي نوجزها بالنقاط الاتية:

الأحداث الداخلية:

أولا: فتنة أو هيج حي الربض في قرطبة في عهد الأمير حكم الأول حيث وقعت الحادثة قرب المسجد الجامع بقرطبة عام 202هـ/818م وتعود أسبابها غير المباشرة إلى:

1. عدم احترام الأمير الآراء والأعراف لبعض الفقهاء والعلماء مما دفعهم إلى التحريض العامة عليه.
2. سوء سياسة الحكم الاول واستخدم القوة والعنف في معاملته للرعية، وامتاز بصرامته وكبريائه.
3. سعي بعض الفقهاء إلى تدبير مؤامرة للاطاحة بالأمير الحكم وتغيير نظام الحكم والعمل على تنصيب ابن عمه (ابن الشماس)[1].
4. شخصية الحكم وحبه لوسائل اللهو وتناول الخمر وهو امر غير مألوف ومخالف لتعاليم الشريعة الإسلامية منافية لسمة الحاكم العادل الناجح مما أثار حفيظة عامة المسلمين عليه.
5. دور المولدين ووضعهم الاجتماعي في الأندلس وسعيهم إلى تحريض الرعية للثورة على الأمير الحكم الاول.

---

(1) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص50" ثم حدث بقرطبة حادثة الهيج وذلك أن قوماً من اعلام قرطبة انكروا عليه الاشياء رابتهم فأردوا خلعه وقصدوا إلى ابن عم له يعرف بابن الشماس من ولد منذر بن عبد الرحمن بن معاوية وأرادوا تقديمه، وخلع الحكم فأظهر لهم الإجابة ". عنان، دولة الإسلام، ج1، 243 - 245.

أما السبب المباشر الذي أشعل فتيل الفتنة والتمرد الشعبي العارم في قرطبة فتمثل بمقتل صيقل (حداد) في سوق قرطبة من اهالي حي الربض (Arrabal) من قبل جندي أو حارس في قصر الأمير الحكم الاول وذلك بسبب مشادة حادة وقعت بينه وبين الحارس حول إصلاح السيف دفعت الحارس إلى ضرب الحداد بالسيف وقتله بالحال مما ادى إلى هيجان الحرفيين في سوق قرطبة للانتقام والقصاص من حارس القصر الذي هرب ليحتمي داخل القصر وقد تجمع أعداد غفيرة من الحرفيين وعامة الناس محيطين بأسوار القصر ومطالبين بدم الحداد والقصاص من القاتل، وقد أعلم الأمير بالأمر الذي واجه الموقف ببرود وعالجه بطريقة عجيبة وغريبة تحدثت عنها المصادر بألم وأسى وحزن عميق لما جرى وانتهى بالأندلس كما ذكر النص الآتي:

" لما ثار أهل الربض بقرطبة على الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وجاهروا بالمعصية، وحملوا السلاح عليه وزحفوا في جموعهم إلى باب القصر يقاتلونه ويبسطون ألسنتهم فيه، وهم كالجراد المنتشر كثرة على الكريه، والايقاع به واحاطوا بقصره فلم يشك هو ومن معه بأنهم مغلوبون، عرب في بأساء حربه هذه، عندما حمي وطيسها، واعضل خطبها بنادرة من نوادر الصبر والتوطين على الموت ما سمع لاحد من الملوك مثلها، وذلك أنه في مقامه بالسطح وعند بصره باشتداد الحرب وجثوم الكرب وقعقعة السلاح وانتماء الابطال، قال لخادم كان واقعاً على رأسه: جئني بقارورة غالية[1]. فكان الخادم يشك في طلبته واتهم سمعه، فتوقف عن المضي لما امره به. فصاح به واعاد عليه بطلبها، فلما أتاه بها غشى بها رأسه ولحيته، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له: واية ساعة طيب هذه يا مولاي وقد ترى مانحن فيه؟ فقال له: اسكت، قبحك الله، وكيف يعرف قاتل الحكم رأسه من رأس غيره اذا هو حزه؟ فعجب الخادم ومن حضره من قوة نفسه وطيبها على المكروه مع ابلاغه في حماية سلطانه. ثم شد على نفسه واستسلم للحرب وشمر عن ساعده، ورتب الكتائب، وعبا الردود، وكردس الكراديس، واخرج الجند

(1) غالية والغالية بالأسبانية Algalia صنف من العطور يصنع في الأندلس والمشرق الإسلامي.

والعبيد، فجالدوهم على باب القنطرة جلاداً شديدا فانهزموا اعظم هزيمة، وقتلوا مقتلة عظيمة، وكان أمرهم ما هو مشهور "[1].

ويذكر أن الأمير الحكم عمل الحيلة في أهل حي الربض بقرطبة في أن بعث بجماعة من جنده خرجت سرا من خلف القصر للقيام بحرق حي الربض وعند سماع المتظاهرين المحتشدين حول القصر هرعوا إلى الحي لإنقاذ عوائلهم وبيوتهم، فاستطاع الأمير أن يتصدى للبقية من المتظاهرين بالسيف والمطاردة وبذلك استطاع الأمير الحكم من أن يقضي على التمرد بحيلته.

نتائج حادثة الربض نوجزها بالنقاط الآتية:

حرق حي الربض وتهديمه بالكامل ويقال إن الأمير الحكم الاول استشار معاونيه كل من حاجبه وقاضيه حول الهدم حيث رفضوا العمل أما كاتبه فطيس فاشار عليه بالهدم وحثه على ذلك كما جاء بالنص الآتي: فأشار عليه فطيس بن سلمان بالاثخان في القتل واستباحة العامة وهدم الربض وتعقيبه اثره وتحريم البناء فيه ما كان لهم سلطان بالأندلس[2]. وبذلك صارت حادثة فتنة الربض اثراً في تاريخ أسبانيا لازال صداها قائما حيث يطلق على الحي اليوم بالأسبانية الربال (Arrabal) ويقع في أطراف مدينة قرطبة.

1. لقب الأمير الحكم الاول بالربضي نسبة للحادثة المأساوية في تاريخ الأندلس.
2. مقتل اعداد كبيرة من عامة الناس وعدد من العلماء والفقهاء.
3. هجرة اعداد كبيرة من العلماء والفقهاء والادباء من قرطبة إلى داخل الأندلس وخارجه كما وضح النص الآتي: " وخرجت منهم ثلاث طوائف كبار الطائفة الواحدة منهم فروا إلى طليطلة.... والطائفة الثانية توجهت إلى العدوة لبلاد

(1) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 74، ص113 - 114: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص15 - 16. وقال عن حادثة: ولقد باشرت بالأندلس اخا ونظيرا لهذا الموقف الحكمي النكد. اعظم الله به الاجر، وجعله اخر المواقف الكريهة في الدنيا.

(2) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 57، ص114 - 115.

البربر، ونزلوا بعدوة الاندلسيين من مدينة فاس، ومن حين نزولهم بها نسبت اليهم، فقيل "عدوة الأندلسيين" وبهم عمرت تلك العدوة وكثر اهلها وتمدنت، وكان ذلك سنة اثنتين ومائتين،... والطائفة الثالثة وكانت طائفة عظيمة ذات عدة وجلد بلغت خمسة عشر الفا ركبوا البحر من مرسى بجانة (Pechina) وصعدوا نحو الشرق حتى اتوا إلى الاسكندرية وعارهم اهلها فسقطوا بهم سطوة منكرة هزمهم غبها وبذلوا السيف فيهم فقتلوا منهم وملوكهم.. فاختاروا جزيرة قريطش (Creta)"[1].

وقد احدثت هذه الهجرات الأندلسية أثرا فعالاً في انتقال الحضارة الأندلسية في العمارة والعلوم والتقاليد الاجتماعية والدم العربي الأندلسي وبناء أحياء نسبت للأندلسيين.

ندم الأمير الحكم الربضي على ما فعله مع أهل الربض وأصابه الأسى والحزن والحسرة في أواخر أيامه ومرضه كما يبدو ذلك عليه في الوصية التي تركها لابنه عبد الرحمن الثاني ننقل منها العبارات الهامة التي تقول: "... يا بني، طب نفساً بما يصير اليك من سلطاني، وانبسط منه كيف شئت، فقد مهدت لك الملك، ووطأت لك الدنيا، وذللت لك الاعداء، وأمنت عليك الاختلاف والمنازعة... ولا تدعن مجازاة المحسن بإحسانه، ومعاقبة المسيء بإساءته، فإنك عند التزامك لهذين ووضعك لهما مواضعهما يرغب فيك ويرهب منك، وملاك ذلك كله أن تتقي الله ما استطعت وتعدل في احكامك وتتخير من حكامك، والى الله اكلك واياه استحفظك،

(1) المصدر نفسه، الزهرة 75، ص115 - 118: ابن خلدون، العبر، ج4، ص126 "سنة سبعين ومائة وقاتلهم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من ارض العدوة ولحقوا بالاسكندرية ونزل بها منهم جمع وثاروا بها عنان، دولة الإسلام، ج1، ص245 - 247 وقد انشد الامير الحكم الاول في حادثة الربض الابيات منها:

رأيت صدوع الارض بالسيف واقعا — وقد ما لامت الشعب مذ كنت يافعا

فسئل تغوري هل بها اليوم ثغرة — ابادرها مستضى السيف دارعا

تنبيك إن لم اكن في قراعهم — بوان وقد ماكنت بالسيف قارعا

وهل زدت إن وفيتهم صاع قرضهم — فوافو منايا قدرت ومصارعا

فقد هان الموت علي إذ خلفني مثلك[1].

ثانيا: حركة المولدين.

هم المسيحيون الأسبان الذين دخلوا إلى الإسلام واعتنقوه واختلطوا بالمجتمع الأندلسي وظهرت لهم حركات أو ثورات وتمردات على السلطة بتحريض بعض المتطرفين منهم مطالبين بالاستقلال بالحكم أو تحسين اوضاعهم الاجتماعية.

شارك المولدون (Muladies) في بعض التمردات الداخلية أو السعي على التحريض لها ضد السلطة، كما اشار ذلك هيج الربض، أو ما حدث من تمردات في الثغر الاعلى الأندلسي[2] أو في الثغر الاوسط وقاعدته طليطلة حيث ظهر بهذا الثغر اعنف واخطر تمرد للمولدين في عهد الأمير الحكم الاول عام (181هـ/ 797م) ويعرف بحادثة الحفرة وفيها ثار عبيدة بن حميد بطليطلة، فنصب الحكم عمروس بن يوسف لحربه من طليبرة (Talavra) فكان يتردد لحربهم، ثم إن عمروس كاتب رجالاً من أهل طليطلة، واستلطفهم حتى مالوا اليه، فدعاهم إلى القيام على عبيدة، والفتك به، ووعدهم على ذلك بمثوبة جليلة من الأمير، فبادروا اليه، وقتلوه، وتوجهوا برأسه إلى عمروس[3].

واستطاع عمروس بدهائه أن يدبر حيلة بدعوة وبأمر من الأمير الحكم بدعوة كبار اهالي طليطلة من المولدين لزيارة القلعة التي شيدها الأمير في اطراف طليطلة لتناول الطعام وعند باب الخروج تم عمل حفرة كبيرة وعميقة اعدت خصيصا للانتقام من المدعوين المولدين. يقول المؤرخ ابن القوطية القرطبي عن ذلك: " وأمر بإحضار وجوه أهل طليطلة في الحاضرة فحضروه وامروا بالدخول من باب وصرفت دوابهم إلى الباب الثاني ليخرجوا منه وقف السيافون على شفير الحفرة

(1) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة رقم 73، ص138 - 139.
(2) انظر عن ذلك: السامرائي، د. خليل ابراهيم صالح، الثغر الاعلى الأندلسي، بغداد، 1976.
(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص69.

وكل من دخل ضربت رقبته حتى إذ قتل منهم خمسة آلاف وثلاث مائة ونيف"[1].

وبذلك استطاع الأمير الحكم الاول من أن يقضي على تمرد المولدين بطليطلة بفضل دهائه السياسي وخبرته العسكرية من اجل ضبط الامن وتأديب الخارجين على السلطة مهما كلف الامر من تضحيات وخسائر بشرية ومادية.

ثالثا: تمرد عمر بن حفصون وأبنائه من المولدين:

اعنف التمردات الداخلية وأخطرها وأطولها زمنا واكلفها ثمنا على الإمارة حيث استمر التمرد اكثر من ربع قرن (267 - 305هـ) وشهد عهود ثلاث من امراء الأندلس وهم الأمير المنذر، الأمير عبد الله، الأمير عبد الرحمن الثالث.

وكلف التمرد الإمارة مبالغ طائلة من بناء التحصينات وتصنيع الاسلحة وتخريب وتدمير المنشآت، كما منح المجال للاعداء الخارجين من الممالك الأسبانية والفاطميين في شمال المغرب من تقديم العون والمساعدة للتمرد من اجل الانتقام والايقاع بالحكم الاموي بالأندلس المتمرد المولدي ابن حفصون هو عمر بن حفص بن جعفر الإسلامي ارتد عن إسلامه وسمى نفسه صموائيل، وشارك بتمرده أبناؤه: ايوب، جعفر، عبدالرحمن، حفص، وابنته.

رفع المتمرد السيف على السلطة الأندلسية في عهد الإمارة متحصنا في حصن ببشتر (Bobastro) من كورة رية (مالقة).

اوردت المصادر ملاحظات عن تمرد ابن حفصون نذكر ابرز النصوص منها:

1. قال عنه ابن حيان القرطبي بنصه: "فاولهم إمامهم وقدوتهم عمر بن حفصون اعلاهم ذكراً في الباطل واصخمهم بصيرة في الخلاف واشدهم سلطانا واعظمهم كيداً وابعدهم مدة واخباره لا تحصى كثرة قد مضى منها عند ذكر نجومه في ايام الأمير محمد صدر في كفاية "[2].

---

(1) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص48.

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق، ملشور انطوانية، باريس، 1937، ص9، ومنه ابن حيان القرطبي " ابن حفصون، المصطلحات التالية: " اللعين (ص94، 106، 108، ص140، 144، المارق، ص3، 109، 143، عميد المخالفين، ص10، عميد الشقاق، ص126، =

2. تحدث عنه ابن الخطيب الغرناطي ووصفه بقوله " وكان عمر كبير الثوار بالأندلس وغصص الخلفاء بها، وهو عمر بن حفص بن جعفر الإسلامي، ظهر بنفسه ونجدته وحدث أن تلقاه في أمر، وتحصن بمدينة بربشتر من كورة والبيرة واحواز قرطبة"[1].

3. ذكر ابن القوطية القرطبي أن تمرد ابن حفصون كان بدافع الانتقام والثأر بقوله: " وثار عمر بن حفصون ببشتر بدافع الانتقام والثأر بقوله: " وثار عمر بن حفصون ببشتر من كورة رية وكان ابوه من مسالمة أهل الذمة وكان سبب ثورته أنه ظفر به احد من بني خلدا المعروف (بدونكير) وكان عامل رية في فساد اخذه فيه فضربه بالسياط في اوز البحر في تيهرت... "[2].

4. روى ابن سماك العاملي الغرناطي عن مقاومة عبد الرحمن الثالث للمتمرد ابن حفصون في حصن شبالش (Jauviles) على سفح جبال البشرات إلى جنوب الشرقي لمدينة غرناطة بقوله: " اشرف عليه بعض السفهاء من رجال عمر بن حفصون بالذم والاحتقار...، وكان فيه جمهرة من رجال عمر بن حفصون لهم بأس وفيهم شدة تمنعوا حدا، وألحّ الناصر عليهم في قتالهم، وبنى رجلا عليهم نصب المنجنيق عليه، فأصابهم بأحجارها، وقطع الماء عنهم حتى قهرهم، وافتتح الحصن عنوة، وقتل من كان فيه من اصحاب عمر بن حفصون، وافتتح بافتتاحه حصون الشارة كلها"[3].

4. نقل لنا ابن عذاري المراكشي صورة تاريخية رائعة عن دوافع تمرد ابن

=

الخبيث، ص3، 5، 89، 93، 99، 104، 105، 127، 139، 141، 146، الفاسق، 199، 100، 121، 120، 129، الفاجر، ص103، امام المجرمين، 127، زعيم الفاسق، ص127، عدو الله، 128، عميد الفسقة، ص145، جرثومة الضلال، ص147، ابن عذاري المراكشي، البيان، برواية ابن حيان " وهو كبير الثوار بالأندلس ثم بلغ بعد ذلك بالشقاق والفتن مبلغا لم يبلغه ثائر بالأندلس ".

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص31.

(2) ابن القوطية القرطبي، افتتاح، ص90 - 91: مجهول، اخبارمجموعة، ص51.

(3) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 90، ص95 - 96.

حفصون بقوله: "... واتفق له زمان هرج وقلوب قاسية فاسدة ونفوس خبيثة متطلعة إلى الشر، مشرئبة إلى الفتنة، فلما ثار، وجد الناس انقيادا وقبولا للمشاكلة والموافقة، فتألبت له الدنيا، ودخل إلى الناس من جهة الألفة وقال: " طال ما عنف عليكم السلطان، وانتزع اموالكم وحملكم فوق طاقتكم، وأذلتكم الغرب، واستبعدتكم! وإنما أريد أن اقوم بثأركم، واخرجكم من عبوديتكم! "[1].

الوسائل والطرق التي اتبعها الامراء وتعاملوا بها تجاه تمرد ابن حفصون أبرزها هي:

1. استخدام القوة وشن الحملات العسكرية على الحصون التي تمركز بها واصحابه المتمردون.
2. المطاردة والمتابعة والملاحقة له ولجماعته في مدن الأندلس الجنوبية.
3. بذل الاموال للتخلص من العصيان المولدي.
4. توضيح مخاطر تمرد ابن حفصون وآثاره وشرحها لعامة الناس بوسائل اعلامية في المساجد والمراكز العامة.
5. بناء التحصينات الدفاعية كالحصون والقلاع والأسوار لمواجهة الخطر.
6. تحريض العامة والقادة العسكريين على التمرد ومحاربته.
7. اتباع اسلوب الدبلوماسية والمفاوضات من اجل كسبه وترغيبه للدخول للطاعة بالحيلة والدهاء كما حدث في عهد الأمير المنذر كما ورد بالنص " فلما رأى الأمير اخذ بمنجنيقه وسد افواه طرقه اعمل سوانح الفكر في الخديعة والمكر ليعتصم بذلك من تلك الجبال المنصوبة، والاشراك المعترضة، فأظهر الإنابة إلى الطاعة، وشهر النصيحة جهد الاستطاعة على أن يكون عند الأمير من خاصة جنده ويسكن قرطبة بأهله وولده وأن يلحق ابناءه في الموالي ويتابع الاحسان قبله ويوالي"[2].

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص114، 117واستمر اللعين ابن حفصون على ضلالته وغيه، ولم يثن عناناً عن عاديته وبغيه،... ص123.

(2) ابن عذاري، البيان، ج2، ص 117، ص131. طاعة ابن حفصون ايام الامير عبد الله: (رأى

=

نتائج تمرد ابن حفصون"[1]:

1. شكل خطراً عسكرياً هدد الأندلس اكثر من ربع قرن.
2. قتل اعداداً كبيرة من الناس الابرياء.
3. ضياع ثروات طائلة وجهود كان من الممكن الاستفادة منها واستغلالها للاعمار.
4. منح التمرد فرصة للاعداء من حكام الممالك الأسبانية والفاطميين في شمال افريقية لتقوية نفوذهم وشن هجماتهم من الشمال والجنوب للأندلس كما سنحت الفرصة لهم.
5. أعلن ابن حفصون النصرانية بعد أن كان يتظاهر بإسلامه وذلك عام 286 هـ فخرجت عنه جماعة كبيرة[2].
6. تخريب عدد من المنشآت العمرانية في الأندلس كالحصون والقلاع ودور العبادة والعلم.
7. مقتل المتمرد ابن حفصون وابنائه في عهد الأمير عبد الرحمن الثالث ما جاء بالنص الآتي: (وفي هذه السنة (305 هـ) هلك عمر بن حفصون عميد الكافرين وراس المنافقين، وموقد شعل الفتنة، وملجأ أهل الخلاف والمعصية، فعد هلاكه

=

عمر بن حفصون على فرط عناده وعتوه في الارض وفساده أن يدخل في جماعته ويلتزم بفروض طاعته فارسل ابنه حفصاً إلى قرطبة ومعه جماعة من اصحابه على أن يعقدوا مع الامير سلماً منتظماً وصلحاً مبرماً لا يحيله حال ولا يلحقه محال،... على ان يستقر عمر بن حفصون ببرشتر على الطوع، ص 195 طلب المتمرد حفص بن عمر بن حفصون من الامير عبد الرحمن الثالث عند محاصرته لحصن ببرشتر يسأله تأمينه والصفح عنه على أن يخرج عن الجبل مستسلماً لامره راضياً بحكمه)).

(1) حفصون ألب أهل حصون الأندلس كلها واقبل اليه في ثلاثين الفاً وعسكر الامير عبد الله في 18 الف فارس.

(2) ابن عذاري، البيان، ج2، ص 139 ((اظهر ابن حفصون النصرانية وكان قبل ذلك يسرها وانعقد مع أهل الشرك وباطنهم ونفر عن أهل الإسلام ونابذهم فتبرأ منه خلق كثير)).

من أسباب الإقبال وتباشير الصنع، وانقطاع علق المكروه)[1].

8. سنة (316 هـ/929 هـ) تمكن الأمير عبد الرحمن الثالث من القضاء على تمرد ابن حفصون وفتح حصن ببشتر (فاكثر من حمد الله عز وجل - على ما افتتح له منها ويسر له منها والتزم الصوم ايامه ومقامه بها ثم دبر بنيان قصبتها على احسن ما دبره واحكمه في غيرها وفرق رجاله على هدم كل حصن كان حواليها وعلى الديارات الخارجة عنها)[2].

9. على اثر انتصار الإمارة على التمرد، اعلن عبد الرحمن الثالث الخلافة الأندلسية عام 316 هـ/ 929 م ولقب بالخليفة الناصر لدين الله.

رابعاً: المستعربون الانتحاريون:

المستعربون (Mozarabes) المسيحيون الأسبان الذين اختلطوا بالمجتمع الأندلسي وظلوا على دينهم ولكنهم اعتنقوا تعاليم الإسلام في عدم اكل لحم الخنزير وارتداء الملابس العربية واحترام النظافة واستخدام الحناء والختان لأولادهم واتخاذ الجواري وعادات الزواج والمصاهرة مع المسلمين وتعاليم اللغة العربية وآدابها وظهرت منه طائفة متعصبة متطرفة تم تحريضها من بعض الرهبان والقساوسة والحاقدين على الإسلام ودفعهم وتشجيعهم لقذف أو شتم الإسلام وقادته وتغمدهم الله برحمته بالقرب من المساجد والاعتداء على المصلين وتهورا واستهتاراً واستخفافاً بتعاليم الإسلام السمحاء مستغلين بذلك العطف والحرية والمساواة والتسامح الإسلامي من اجل التحرش والمواجهة واستصغار الموقف الخطير بدافع التعصب الديني الاعمى ضد الإسلام وذلك في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني في قرطبة، وقد تم اشعار المسيحين بخطورة العمل ونتائجه الوخيمة على فاعليه وقد تزعم الفتنة والتمرد الديني بعض الغلاة ومنهم (ايلوخيو) و(الفارو) تدعمهم فئات متعصبة في الكنيسة المسيحية لا يزيد عددهم عن (40)

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 171.

(2) المصدر نفسه، البيان، ج2، ص 196؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص 30.

فرداً واخذت حكومة الإمارة الأندلسية تتعامل مع الحدث بصبر وتعقل وتوجيه الانذارات وتم تكليف اسقف قرطبة للتفاوض مع المسؤولين المسيحيين ولكنهم لم يقدموا ما ينفع وينقذ الموقف الخطير حيث تم إنزال العقوبة بحق المخالفين ومرتكبين الجريمة الشنعاء ضد الإسلام الحنيف وأهله وتم اعدام الرهبان وهم (برفتكو) و(اسحاق) و(ايلوخيو) و(الفتاة فلورا)[1]، بسبب تزعمهم حركة الانتحاريين وتحريضهم على الأعمال الدنيئة والاجرامية وتم اعتبار المقتولين هؤلاء ضمن قائمة حركة الاستشهاد من اجل المسيحية في نظر الكنيسة واخذت حركة الانتحاريين تضعف تدريجياً بعد أن شاهدوا النتائج الوخيمة جراء العمل.

أبرز الاحداث الخارجية التي اصابت الأندلس في عهد الإمارة:

1. هجوم شارلمان ملك الافرنج في عهد الأمير الداخل الذي فشل كما ذكرناه عند الحديث عن الأمير الداخل.
2. هجمات النورمانديين:

النورمان أو النورمانديون (Normandos) أو الفيكنج (Vikings) وهم سكان السواحل البحرية الاسكندنافية في الدانمارك والنرويج امتهنوا حرفة القرصنة واطلقت المصادر الأندلسية عليهم اصطلاح المجوس والاردمانيون ظناً منهم أنهم يعبدون النار التي يشعلونها على السواحل كإشارة تجارية لتبادل السلع ويقال أنهم كانوا يحرقون جثث الموتى من زعمائهم بسفنهم[2].

---

(1) انظر خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص 119 - 121؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص 144 - 148، فتنة المستعربين المتطرفين في قحطبة، عنان، دولة، ج1، ص 67 ((وكان اولئك الغلاة يبغضون اخوانهم من النصارى المعتدلين ويرمونهم بالمروق والخيانة وكان رجال الدين وهم في الاصل مبعث التعصب ودعامته، يبذرون بذور الشقاق ويضرمون نار الفتنة ويوغرون قلوب الغلاة والمتطرفين باسم الدين، وانظر: كتاب سيمونت، تاريخ المستعربين في أسبانيا وعنوانه بالأسبانية)).

Francisco Javier Simonet, Historia de los Mozarabes de Espana, ed. Tumer Madrid 1983, 4vols, I, 258.

(2) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص 138؛ مؤنس، حسين، غارات النورماند على الأندلس، القاهرة، 1949.

شن النورماند أولى هجماتهم البحرية على سواحل الأندلس في عصر الإمارة في حكم الأمير عبد الرحمن الثاني سنة (229 هـ/ 844 م) (وذكر أن في سنة تسع وعشرين ومائتين، ورد كتاب وهب الله بن حزم عامل الاشبونة ويذكر أنه حل بالساحل قبله اربعة وخمسون مركباً ومعها اربعة وخمسون قارباً فخرجت الكتب إلى العمال بالاحتراس)[1].

والهجوم النورماندي الثاني: حدث في عام (245 هـ/ 859 م) في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ذكره العذري بقوله: (وفي سنة خمس وأربعين ومائتين خرجت المجوس في الساحل الغرب في ثمانين مركباً فابدى الأمير بإخراج العساكر ومن انضوى اليهم من المطوعة وانقذ جميع تلك الجيوش...)[2].

والهجوم الثالث: وقع في سنة (247 هـ/ 861 م) وصفه العذري بقوله: (وفي سنة سبع واربعين ومائتين ظهرت مراكب المجوس في البحر فكتب إلى عمال الساحل بالاحتراس والتحفظ، فعطب بعضها في ناحية البحيرة من الجزيرة وكتب بذلك العامل على الجزيرة مطرق بن نصير إلى الإمام محمد ونجا باقي المراكب إلى جهة افرنجة)[3].

روى ابن حيان القرطبي قضية الهجوم الثالث بقوله (فيها كان خروج المجوس إلى الأندلس فلم يكن لهم في هذه الكثرة من الانبساط في البحر والإضرار بأهل السواحل ما جرت به عادتهم ولم يجدوا في السواحل مطمعاً لشدة ضبطها ولا

---

(1) العذري، ترصيع، ص 98؛ ابن عذاري، البيان، ج2، ص 87. النص الاول للهجوم مشابه للعذري. اما الثاني ((دخول المجوس اشبيلية في سنة 230 هـ فخرج المجوس في نحو ثمانين مركباً كإنما ملأت البحر طيراً جونا، كما ملأت القلوب شجواً وشجوناً فخلوا باشبونة ثم اقبلوا إلى قادس والى شلونة ثم قدموا على اشبيلية فاحتلوا بها اختلالاً ونازلوها نزالاً إلى أن دخلوها قسراً واستأصلوا اهلها قتلاً واسراً فبقوا بها 7 ايام. ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص 20؛ ابن سعيد المغربي، المعرب، ج1، ص 49؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 130 - 131؛ المقري، نفح، ج1، ص 345 - 346.

(2) العذري، ترصيع، ص 118؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص 96 (وفيها خرج المجوس ايضاً إلى ساحل البحر بالمغرب) (في 62 مركباً، فوجدوا البحر محروساً).

(3) العذري، ترصيع، ص 119.

قوامع ذلك من البحر هولا عطبت له من مراكبهم اربعة عشر مركباً بناحية البحيرة من الجزيرة...)[1].

ابرز الاستنتاجات عن هجمات النورماند هي:

1 - دوافع الهجمات النورماندية للسواحل الأندلسية هي غنى الأندلس، ووقوع اغلب مدنه على السواحل المفتوحة، أو قربها ثم استغلال ضعف الاسطول الأندلسي، وغيابه عن السواحل وعدم وجود حاميات وابراج مراقبة (المحارس) قرب السواحل، قوة الاسطول النورماندي وملافته واطلاعه على السواحل كما تم استغلال فرصة انشغال الإمارة بالفتن والاضطرابات الداخلية منها تمرد ابن حفصون.

2 - امتازت هجمات النورماند بالمباغتة، والسرعة، والخفة، وتحيين الفرص المناسبة.

3 - الدافع الاساسي لهجمات النورماند هو السلب والنهب والقرصنة من خيرات الأندلس وثرائه.

4 - امتازت هجمات النورماند بالتخريب والتدمير للمنشآت منها مسجد أشبيلية.

5 - امتازت الحملات البحرية النورماندية بكثرة السفن وزيادتها العددية المستخدمة في الهجوم الاول: (54) مركب الهجوم الثاني (62) مركب أو (80) مركباً (حسب الروايات) أما الهجوم الثالث فلم ترد إحصائية عنه في المصادر وإنما تم عطب (14) مركباً من المجموع الذي نتوقع أن يكون اقرب إلى (100) مركب.

6 - ظهرت استعدادات الإمارة الأندلسية لمواجهة الخطر وتحسباً للطوارئ من خلال تطوير الاسطول وزيادة قطعه البحرية وتم وضع اسوار حول مدينة أشبيلية وغيرها ووضع ابراج مراقبة وتطوير الاتصالات بين الساحل والحاضرة وقرطبة

---

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: د. محمود علي مكي، ص 311، 312.

للابلاغ عن وقوع حادث الهجوم.

7 - ارسال سفارة دبلوماسية إلى بلد النورماند الدانمارك رد على رسالة ملك الروم للتفاوض ووضع حد للهجمات ومعرفة اسباب حدوثها وترأس السفارة الإسلامية وفد رفيع المستوى برئاسة يحيى بن الحكم الغزال الجياني ولقب بالغزال لجماله واناقته على الرغم من بلوغه السبعين وكان هو امير شعراء الأندلس في القرن (3 هـ) ولد بمدينة جيان (Jaen) وفي عهد الأمير الداخل وعاصر الامراء هشام والحكم الربضي وعبد الرحمن الثاني والأمير محمد وتوفي عام (250 هـ/ 864) وبذلك قد عاش قرناً كاملاً وعايش خمسة من الامراء تتمتع شخصية الغزال[1] بالموسوعة وقد جمعت ألواناً بين الدبلوماسية وعلوم الشريعة والفلسفة والادب والفكاهة، وقاد الشاعر الحكم الغزال السفارة التي وفدها الأمير عبد الرحمن الثاني إلى ملك النورماند تيوفلس بعد أن تم تجهيز مركب خاص لهم ونقل لنا تلك السفارة "وحكى ابن حيان في المقتبس أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني وجه شاعره الغزال إلى ملك الروم، فاعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب منه أن ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر، وكان يوما جالسا عنده واذا بزوجته الملك (نود) فد خرجت وعليها زينتها وهي كالشمس الطالعة حسنا فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه، فأنكر ذلك عليه، وامر الترجمان بسؤاله فقال له: عرفه اني قد بهرني من حين هذه الملكة

(1) العدوى، د. ابراهيم احمد، الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط (القاهرة، 1963) ص 144 - 147؛ العبادي، احمد مختار وسالم عبد العزيز، تاريخ البحرية الإسلامية في البحر الابيض المتوسط، دار النهضة العربية (مصر، دت) ج2، ص 175 - 182؛ مؤنس، حسين، المسلمون في حوض البحر المتوسط، المجلة التاريخية المصرية، م1، ع1، 1951، ص 128 - 129؛ عثمان، محمد عبد العزيز، البحرية العربية في الأندلس، منذ بداية تأسيسها إلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ((مقالة في مجلة المورد، عدد خاص بالفكر العسكري عند العرب، العدد 4، المجلد 12 (بغداد 1404 هـ 1983)؛ الشيخلي، درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم (الاسكندرية، 1974) تحدث عن اصناف السفن الأندلسية ذات التسميات العربية معتمداً على المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة ومعاجم اللغة)).

فقاطعني عن حديثه، فإني لم ار قط مثلها اخذ في وصفها والتعجب من جمالها وأنها شوقته إلى الحور العين.... "[1].

وتحدث لنا المؤرخ ابن دحية الكلبي البلنسي الأندلسي عن دوافع سفارة الغزال بنصه:

ولما وفد على السلطان عبد الرحمن رسل ملك المجوس تطلب الصلح بعد خروجهم من أشبيلية، وايقاعهم بجهاتهم هزيمتهم بها، وقتل قائد الاسطول فيها، وإني أن يراجعهم بقبول ذلك، فامر الغزال أن يمشي في رسالته مع رسل ملكهم، لما كان الغزال عليه من حدة الخاطر، بديهة الرأي، وحسن الجواب والنجدة والاقدام والدخول والخروج من كل باب، وصحبته يحيى بن حبيب، فنهض إلى مدينة شلب، وقد أنشأ لهما مركب حسن كامل الآلة، ورجع ملك المجوس على رسالته وكوفئ على هديته، ومشي رسول ملكهم في مركبهم الذي جاءوا فيه مع مركب الغزال، فلما جادوا الطرق الاعظم الداخل في البحر الذي هو الأندلس في آخر الغرب، وهو الجبل المعروف بألوية هاج عليهم البحر، وعصفت بهم ريح شديدة... "[2]اجبر السفير الغزال السجود والركوع لملك النورماند عند دخوله لكن السفير رفض ذلك الطلب مدعياً أن ذلك ليس من تعاليم الإسلام وتقاليده وأن السجود لله تعالى، كما جاء ذلك بالنص الآتي: فاشترط الغزال عليه الا يسجد له ولا يخرجهما عن شي من سنتهما، فأجابهما إلى ذلك، فلما مشيا اليه قعد لهما عليه حتى لا يدخل عليه راكعا، فلما وصل اليه جلس إلى الارض وقدم رجليه وزحف على آليته زحفاً، فلما جاز الباب استوى واقفا، والملك قد اعد له واجعل في السلاح والزينة الكاملة فما هلله ذلك ولا ذعره، بل قام مثلا بين يديه، فقال: السلام عليك ايها الملك وعلى من ضمه مشهدك، والتحية الكريمة لك، ولا زالت تتمتع

---

(1) عند المقري، نفح، ج1، ص346.

(2) ابن دحية الكلبي البلنسي (ت 633هـ)، المطرب من اشعار أهل المغرب، تحقيق: الابياري واخرون، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1955، ص138/139، انظر:: مؤنس، المسلمون في حوض البحر المتوسط، ص65.

بأعز والبقاء والكرامة الماضية بك إلى شرف الدنيا والآخرة، المتصلة بالدوام في جوار الحي القيوم، الذي كل شيء هالك إلا وجهه، وله الحكم واليه المرجع، ففسر له الترجمان ما قاله فاعظم الكلام، وقال: هذا حكيم من حكماء القوم، وداهية من دهاتهم، وعجب من جلوسه إلى الارض وتقديم رجليه في الدخول، وقال: اردنا أن نذله، فقابل وجوهنا بنعليه!..."[1].

ومن الطرفة والهزل التي قام بها السفير الغزال بحضرة ملك النورماند لتلطيف الموقف نذكر منها: " أن الغزال كان في مرة اخرى في حضرة الامبراطور، وطلب ماء ليشرب فاحضروا له كأساً من الذهب المزدان بالاحجار الكريمة فلما شرب وارتوى سكب الماء الذي بقي في الكأس على الارض واخفى الكأس في عباءته، ورأى الامبراطور في ذلك ما لا يليق وصرح به على لسان ترجمانه فكان رد الغزال عليه: إن امراءنا الذين تبغون صداقتهم قد اعتادوا عندما يطلب احد السفراء أن يشرب في حضرتهم أن يطلبوا له كاساً ثمينة يمكنه الاحتفاظ به بعد شربه منها، فاذا كانت عادة سادتي هذه غير متبعة لديكم فإني مستعد لاعادة كأسكم اليكم، وهم السفير بإخراجها من كمه الا أن توفلس بادر فاشار اليه الاحتفاظ بها "[2].

نستنتج من سفارة الغزال في أنها تؤكد على سياسة الحكام المسلمين الجنوح إلى التفاوض والتفاهم والعودة إلى السلم بدل من اعلان الحرب، وفتح صفحته البيضاء من العلاقات الطيبة مع الدول المسيحية القريبة والبعيدة والاستجابة لتلك المفاوضات وعدولهم عن شن الغارات على الأندلس لمدة طويلة حتى عصر

---

(1) ابن دحية الكلبي البلنسي، المطرب، ص141: ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص57، ترجمة 375 (شاعر اديب حكيم ارسله عبد الرحمن الاوسط إلى صاحب القسطنطينية رسولا، وحصل له انس مع السلطان وزوجته ". الحجي، أندلسيات، المجموعة الاولى، ص65 - 67 (سفارة أندلسية في بلاط الدنمارك)، خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص129: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص143 - 144.

(2) ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1956، ص106 - 107البيداق: محمد صالح، يحيى بن الحكم الغزال امير شعراء الأندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت. 1979.

الخلافة وشهدت مدة الخليفة الحكم المستنصر بالله هجمات نورماندية خلال الاعوام 355هـ/ 360هـ/ 361هـ.

ويلاحظ من سفارة الغزال اعلى درجات التمثيل الدبلوماسي في اختيار شخصية الغزال المتميزة في الجانب العلمي والوفد المرافق له وما قام به الغزال من الالتزام بتعاليم الإسلام وعدم الركوع للامبراطور وإعجابه بشخصية الغزال وفكاهته وطرافته والشعر الذي أنشده بحضرة الملك والملكة نور يوحيان بعبقريته الشخصية والثقافة التي تمتع بها والنتائج الناجحة التي توصل اليها السفارة الغزالية.

شهد عصر الإمارة نشاطاً جهادياً ضد تهديدات الممالك الأسبانية وضد هجمات على الحدود الإسلامية وذلك ثمن حملات أو غارات عسكرية تطلق عن ثغور الأندلسية أو من الحاضرة قرطبة وابرز تلك الحملات الحربية هي:

شن الأمير الداخل حملة عسكرية بنفسه إلى شمال الأسباني لردهم وتأديبهم حيث " غزا بلاد الافرنج والبشكش ومن ورائهم ورجع بالظفر "[1] ومضى الأمير فدوخ بنبلونة وقلنبرة وكر على البقشيش ثم على بلاد الشرطانيس "[2].

كما قام الأمير هشام بن عبد الرحمن بإرسال حملة عسكرية عام (176 هـ/ 792م) إلى بريطانية (برطانية) في بلاد الافرنج خلف جبال البرت ويطلق عليها (الارض الكبيرة) وغيرها من المناطق، قاد الحملة الوزير عبد الملك بن مغيث الرومي " ثم بعثه في العساكر سنة سبع وسبعين إلى اربونة وجرندة فأثخن فيها، ووطئ أرض بريطانية "[3].

(1) المقري نفح، ج1، ص333: ابن خلدون، العبر، ج4، ص1245 "وسار إلى بلاد الفرنج والبكشنش ومن وراءهم ".

(2) مجهول، اخبار مجموعة، ص1444.

(3) المقري،، نفح، ج1، ص237: ابن خلدون، العبر، ج4، ص125، وفي سنة ست وسبعين بعث هشام وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدو فبلغ اليه والقلاع وأثخن في نواحيها ثم بعثه في العساكر إلى اربونة وجرندة فاثخن فيها ووطئ ارض سرطانية وتوغل في بلادهم بالغنائم لا تحصى واستمر الاغية بالبشكنس وجيرانه من الملوك فهزمهم عند الملك " .

تكررت الحملات على بريطانية ايام الأمير عبد الرحمن الاوسط ففي سنة 226 هـ/ 840م ارسلت " العساكر إلى ارض الفرنجة وانتهوا إلى ارض سرطانية "[1].

اهتم الأمير محمد بن عبد الرحمن بالجهاد في الارض الكبيرة " وبعث عساكر اخرى إلى نواحي برشلونة وما ورائها فعافوا فيها وفتحوا حصون برشلونة "[2].

استمرت الحملات الجهادية على مملكتي قشتالة وجليقية في الغرب ومناطق المقابلة للثغر الاوسط وقاعدته طليطلة ومدينة سالم والثغر الاسفل وقاعدته قورية فتمثلت بحملات على بنبلونة والبة والقلاع (قشتالة) وجليقية الاكثر خطراً وتحرك عسكريا على الحدود الإسلامية ومن ابرزها: حملة عام (229هـ/ 843م) بعث الأمير عبد الرحمن الثاني حملة عسكرية إلى بنبلونة قادها " ابنه محمد بالعساكر، وتقدم إلى بنبلونة، فأوقع بالمشركين عندها، وقتل غرسيه صاحبها، وهو من اكبر ملوك النصارى "[3].

وفي سنة (246هـ/ 877م) ارسل الأمير محمد ابنه المنذر ثانية إلى بلد بنبلونة ومر بسرقسطة فقاتل اهلها ثم تقدم إلى تطيلة وعادت في نواحيها وخرب بلاد بني موسى ثم مضى لوجهة إلى بنبلونة فدوخها ورجع "[4].

اما النشاط الجهادي في قشتالة فبرز في عهد الأمير هشام الاول حيث شن ثلاث حملات عسكرية في الاعوام 175هـ/ 791م 176هـ/794م كما ورد في النصوص التاريخية الآتية:

1. ثم دخل دار الحرب غازيا وقصد البة والقلاع فلقي العدو وظفر بهم

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج4، ص129: المقري، نفح، ج1، ص345 مشابه لنص ابن خلدون (سرطانية - برطانية).

(2) ابن خلدون، العبر، ج4، ص130.

(3) المقري، نفح، ج1، ص337: ابن خلدون، العبر، ج4، ص129، (وبعث ابنه محمداً في العساكر سنة تسع وعشرين وحاصر موسى بتطيلة حتى صالحه وتقدم إلى بنبلونة فأوقع بالمشركين عندها وقتل غرسية صاحبها.

(4) ابن خلدون، العبر، ج4، ص131: المقري، ج1، ص351.

وفتح الـلـه عليه وذلك سنة خمس وسبعين "[1].

2. وفي سنة ست وسبعين بعث هشام وزيـره عبـد الملـك بـن عبـد الواحـد بـن مغيث لغزاة العدو فبلغ البة والقلاع واثخن في نواحيها "[2].

3. ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد إلى البة والقلاع سـنة ثمـان وسبعين[3].

واهتم الأمـير عبـد الـرحمن بالجهـاد في قـشتالة فبعـث بحملـة عـسكرية سـنة (247هـ/861م) " وثم بعث الجيوش مع موسى بـن مـوسى صـاحب تطيلـة فعـاث في نواحي البة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع "[4].

اما مملكة جليقية التي كانت تشن هجماتهـا المتكـررة والخطـيرة عـلى الحـدود الأسبانية مستغلة بعدها عن قرطبة وقسوة مناخها ووعرتها وصعوبة مسالها ومنتهزة فرص انشغال الإمارة بإخماد الفتن الداخلية، لـذلك عـزم الامـراء عـلى مواجهـة خطـر جليقة التي بها قبر القديس شنت يعقوب احـد حـواري الـسيد المـسيح عليـه الـسلام وهي مكان مقدس عنـد المـسيحين في العـالم وبهـا كنيـسة عظيمـة تعـرف بالأسـبانية Santiago de Compestela ومن أبرز الحملات على جليقية ما يأتي:

1. سـنة 176هــ/792م وجـه الأمـير هــشام حملـة "بعــث بالعــساكر مـع عبد الكريم بن عبد الواحد إلى بلاد جليقية فاتخذوا في بلاد العدو وغنموا ورجعوا"[5].

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج4، ص124 - 125: المقري، نفح، ج1، ص337.

(2) ابن خلدون، العـبر ج4، ص125: المقـري، نفـح، ج1، ص337 - 338: ابـن الابـار، الحلـة، ج2، ص375.

(3) المقري، نفح، ج1، 337 - 338: ابن الابار، الحلة، ج2، ص375.

(4) ابن خلدون، العبر، ج4، ص130: المقري، نفح، ج1، 351" واسر فرتون بن صاحبها وبقي سـيرا بقرطبة عشرين سنة ". ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص97" وعمر فرتون 126 سنة ".

(5) ابن خلدون، العبر، ج4، ص125: المقري، نفح، ج1، ص337: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص63.

2. سنة 179هـ/795م بعث الأمير هشام الاول حملة ثانية على جليقية " وفي سنة 179 اغزى عبد الكريم بن مغيث بالائغة التي انتهى بها استرقة داخل جليقية، فهزم طاغية الروم، وقد احتشد له الشكنس، ثم اتبعه في الجبال ينسف كل ما مر به، ويتركه قاعا صفصفا.... فكانت غزاة شهيرة "[1].

3. وفي سنة 185هـ/801م ارسل الأمير الحكم الاول حملة ثالثة مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الجلالقة فاثخن فيها وخالفهم العدو إلى المضايق فرجع إلى التبعية وظفر لهم ورجع إلى بلاد الإسلام ظافرا"[2].

4. حملة في سنة 223هـ/837م "غزى الأمير عبد الرحمن بن الحكم اخاه الوليد بن عبد الحكم إلى جليقية، فدخل من باب الغرب مع قطيع من العسكر فدخلوها "[3].

حملة سنة 224هـ/838م "ثم سار عبد الرحمن في الجيوش إلى بلاد جليقية، فدخلوها، وافتتح عدة حصون منها وجال في ارضهم، ورجع بعد طول المقام بالسبي والغنائم "[4].

5. حملة سنة 226هـ/840م " غزا بالصائفة إلى جليقية من بلاد العدو مطرف بن عبد الرحمن "[5].

6. حملة سنة 231هـ/845م" وفي سنة احدى وثلاثين بعث عبد الرحمن بن عسكر إلى جليقية فدخلوها وحاصر مدينة ليون ورموا سورها فلم يقدروا عليه لان

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص13: ابن خلدون، العبر ج4، ص125: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص64.

(2) ابن خلدون، العبر، ج4، ص125.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص85.

(4) المقري، نفح، ج1، ص345: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص185، اوردها سنة 225هـ وغزا الامام عبد الرحمن بنفسه ارض جليقية ففتح حصونها وحالة في ارضها، وطالت غزاته، وتعب كثيرا": ابن خلدون، العبر، ج2، ص129.

(5) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص86.

عرضه سبعة عشر ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا "[1].

7. حملة سنة 251هـ/865م " ثم غزا الأمير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة فأثخن وخرب"[2].

8. حملة سنة 263هـ/876م على جليقية لمحاربة المتمرد عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي احتمى عند ملك جليقية[3].

(1) ابن خلدون، العبر، ج4، ص129: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص88.

(2) ابن خلدون، العبر، ج4، ص131: المقري، نفح، م ج1، ص351.

(3) ابن خلدون، العبر، ج4، ص31: ابن الاثير، الكامل، ج6، ص15 - 16.

ب - عصر الخلافة الأندلسية

1. إمارة عبد الرحمن الناصر وإعلانه الخلافة عام 316هـ (سياسته وإصلاحاته).

2.الخليفة الحكم المستنصر بالله (سياسته، جهاده، إصلاحاته).

3. الخليفة هشام بن الحكم (المؤيد بالله) والدولة العامرية الحاجب المنصور بن أبي عامر (العامري) وأولاده.

إمارة عبد الرحمن الناصر وإعلان الخلافة سنة 316هـ

سياسته – إصلاحاته – جهاده.

الأمير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ولد عام (277هـ/890م) من أم أسبانية، وتولى السلطة بالأندلس بعد جده عبد الله وعمره (23) سنة ودام حكمه (50) سنة و(6) أشهر وأياماً: وكان جده الإمام عبد الله يحظيه دون بنيه ويومي اليه ويرشحه لأمره، وربما اقعده في بعض الاعياد مقعد نفسه لتسليم الجند عليه، فتعلقت آمال أهل الدولة به، ولم يشكوا في مصير الامر اليه فلما مات جده أجلسوه مكانه في الخلافة دون ولده بصلبه"[1].

---

(1) مجهول، مدونة عبد الرحمن الناصر، تحقيق وترجمة إلى الأسبانية المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، تعريب المستشرق الأسباني اميليو كارثية كومث، مدريد، غرناطة، 1950، ص28 - 29.

للمزيد من المعلومات عن الحملات الجهادية في الشمال الأسباني يستفاد من مقاله: د. عبد الواحد ذنون طه، قيام الملك الأسبانية وعلاقتها مع العرب الأندلس، مجلة اوراق، مجلة ثقافية يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، أسبانيا، العدد 5 - 6، لعام 1983، 1982، ص89 - 98: د. احمد مختار العبادي، صور لحياة الحرب والجهاد في

=

اشادت المصادر بالأمير عبد الرحمن الثالث ووصفته بالخصال الحميدة وقالت فيه عند مبايعته للإمارة: " والله لقد اختارك الله على علم للخاص منا والعام، ولقد كنت أنتظر هذا نعمة الله ويظهر لنا صبيانا، فنسأل الله إبزاغ الشكر وتمام النعمة وإلهام الحمد "[1].

"بويع والأندلس جمرة نفاق تحتدم والآفاق نار الفتنة تصدم وكانت ولايته للخلافة شمس نافية لظلمات النفاق ومطراً وابلاغاً سلا للافاق فاشرأبت اليه النفوس وزايلت بسعده النحوس... فأخمد نيران الفتن وفتح الأندلس عوداً كما فتحها جده عبد الرحمن الداخل بدا وانفق له سعد لم يسمع بمثله فيما سلف فلم يزل يجزمه وعزمه يحارب الثوار حتى وطئ جميع بلاد الأندلس واستنزل منها الثوار"[2].

واعجب ابن خلدون بحكم عبد الرحمن الثالث وسياسته وقال فيه " اعظم ما كان سلطانه واعز ما كان الإسلام بملكه"[3].

كان لتنصيب الأمير عبد الرحمن الثالث لحكم الأندلس صدى كبير وارتياح عام، فقد كان الأمير رجل الساعة والموقف الذي يتنظره الأندلس لكثرة التمردات الداخلية والاعتداءات الخارجية عليه من الممالك الأسبانية " وتباشرت الرعية بها في جميع الجهات، وألقى الله لها في القلوب المحبة، واشربها مودة، ووضع في نفوس الخلق من الاستبشار بهذا الخليفة الميمون بطائره ثلجاً ارهص به بما قضى

=

المغرب والأندلس، مقالة مجلة البينة، الرباط 1962 - 1963، ص92 إن العلاقات الحربية في عصر الإمارة اتسمت بطابع روحي خاص فالمسلمون يعدون حملاتهم على الممالك النصرانية جهادا في سبيل الله، بينما كان نصارى الشمال يعززون من مقاومتهم بالمسلمين بتأجيج الروح الصليبية والتي تزعمها الراهب سان ناكو، جحافل الأسبان النصارى على المسلمين نقلا عن مقالة؛ ذنون ص95.

(1) المصدر نفسه، ص30.

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص160 - 161: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص223 - 224.

(3) ابن خلدون. العبر. ج4. ص144.

أنه لا بد بالغة من جميع فرقتهم، وغفران الذنوب التي اخلت عمارتهم، فقد كان من اجتبأ المكارم، واجتناب المحارم، وعلو الهمة ونزاهة النفس، وشجاعة القلب، وربط الجائش، وجودة الرأي، ونفاذ العزم، وإحاطة الإدراك، وفرط السخاء، وسعة البذل، وتمام الخصال، والمشاركة في فنون المعرفة، وإهانة المال لاقتناء الرجال، بحيث أدرك من قبله وفات من بعده، وبحيث يوجب التقصير على الجميع والاقتصاد على المعرفة "[1].

ويذكر أن الأمير عبد الرحمن الثالث تولى وهو يحمل فكرةً وخطةً ومشروعاً لإقامة حكومة ناجحة واتبع اسلوب الحزم والعزم محاولاً جمع كلمة البلاد وتوحيدها، ولهذا بدأ الأمير عهده بإصدار منشور وإعلان عام إلى الثوار المستغلين في نواحيهم في مدن الأندلس يعدهم فيه بكل انواع الوعود الطيبة من مال وسلطان إذا عادوا إلى الجماعة والوحدة والطاعة، ومن لم يرضَ ويرضخ لذلك بالحرب والمطاردة ومصادرة الاموال[2].

سعى الأمير عبد الرحمن إلى إجراء تبديلات حيث عين وزراءَ وعمالاً جدداً من ذوي الخبرة والامانة والالتزام بتعاليم الإسلام.

وخطى الأمير عبد الرحمن الثالث خطوة جديدة وتحمل معاني سامية إذ أعلن الخلافة عام 316هـ/929م وتلقب بأمير المؤمنين وبذلك منح حكمت حلة دينية وسياسية منافسا بها المشرق الإسلامي وبهذا الصدد يؤكد المقري بقوله: " والناصر اول من تسمى بأمير المؤمنين من بني امية بالأندلس، لأن الدولة عظمت في ايامه، حين اختل نظام ملك العباسيين بالمشرق، تغلبت عليه الأعاجم، ولم يتسم أحد من سلفه بالأندلس إلا بالأمير "[3].

والأسباب والدوافع الحقيقية لإعلان الخلافة الأندلسية هي:

---

(1) مجهول، مدونة الناصر، ص31 - 32.

(2) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص168.

(3) المقري، ازهار الرياض في اخبار عياض، اصدار لجنة احياء التراث الإسلامي عن طبعة القاهرة، الرباط، 1398هـ 1978م، ج2، ص258: المقري، نفح، ج1، ص343: ابن خلدون، العبر، ج4، ص137: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص160.

1. تدهور أوضاع الخلافة العباسية وضعفها في المشرق واستيلاء الاتراك على السلطة العباسية.

2. قيام الخلافة الفاطمية في المغرب ومصر ومنافستها الشديدة وعدائها للأمويين بالأندلس.

3. انتصار عبد الرحمن الثالث على تمرد وفتنة ابن حفصون وابنائه في الأندلس.

4. إعلاء منزلة الحاكم الأندلسي بعد الضعف الذي أصابه نهاية عهد الإمارة جراء الاضطرابات والفتن الداخلية التي قضى عليها الأمير عبد الرحمن الثالث ببسالته وسياسته وحنكته وبراعته الحربية - يظهر ذلك في الخطبة التي ألقاها الأمير عبد الرحمن الثالث اثناء تنصيبه نقتبس منها:

" بسم الله الرحمن الرحيم: فأنا أحق من استوفى حقه وأجدر من استكمل خطه، وليس من كرامة له ما لبسه، للذي فضلنا الله به، واظهر اثرتنا فيه، ورفع سلطاننا اليه، ويسر على ايدينا ادراكه، وسهل في دولتنا مرامه والذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعلو امرنا، واعلن من رجاء العاملين بنا واعاد من انحرافهم الينا، واستبشارهم بدولتنا، الحمد لله ولي النعمة والانعام بما انعم به، واهل الفضل بما نثق فضل علينا فيه؟ وقد رأينا أن تكون الدعوى لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا ووردها علينا بذلك "[1].

5. الاستجابة لطلب ورغبة أهل الأندلس في أن يكون عبد الرحمن خليفة للمسلمين ولقبوه "امير المؤمنين" و" الناصر لدين الله" حيث كانوا يخاطبونه بذلك قبل اعلان الامر رسميا وكذلك امر الناصر بإثبات عبارة الناصر ودراهمه ونفذ الامر بذلك[2].

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص198.

(2) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص168 - 171: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص300 - 301: خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص156 - 157.

سياسته الدبلوماسية:

اتبع الخليفة الناصر سياسة الاحترام والتبادل الدبلوماسي مع الممالك الأسبانية والدول المجاورة وتم تبادل السفارات والهدايا مع عدد من ملوك الدول المسيحية بسبب قوة جيشه، وغنى الأندلس، والازدهار العلمي، والامن والاستقرار، والمواقع الجغرافي المهم للأندلس "وكان ملكه بالأندلس في غاية ما يكون من ضخامة ورفعة الشأن، وهادته الروم، وأزلفت اليه، تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق امة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم، إلا وجرت إليه وأوفدت خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية "[1].

وتوجهت الوفود والسفارات من كل جانب قاصدة الأندلس، تخطب ود قرطبة وترغب في عقد اتفاقيات السلام معها وكسب صداقة الخليفة الناصر باعتباره زعيم الأمة الإسلامية[2].

وأبرز تلك السفارات وأهمها كما وردت في المصادر الإسلامية هي:

1. سفارة عام 322هـ/934م من الملكة طوطة (تودة Tode) اميرة نبارة التي عقدت اتفاق سلام مع الخليفة الناصر وحصلت على اعترافه بابنها كارثية سانجت الاول (Garcia Sanchez I) ملكا على نبارة(Navarra)[3] ولكن طوطة Toda رفضت الاتفاق وذلك في سنة 325هـ/937م فاستدعى الموقف القيام بتوجيه حملة عسكرية إلى الشمال الأسباني لتأديب نبارة.

سفارة عام 336هـ/973م وصلت قرطبة يذكر عنها ابن خلدون ذلك بقوله: "ووفدت عليها سنة ست وثلاثين رسل صاحب القسطنطنية وهديته وهو يومئذ قسنطين بن ليون بنشل واحتفل الناصر للقائهم في يوم مشهود وكتب فيه العساكر

(1) المقري، ازهار الرياض، ج2، ص258: المقري، نفح، ج1، ص343: ابن خلدون، العبر، ج4، 137.
(2) الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص74 - 75.
(3) ابن خلدون، العبر، ج4، ص142: الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص75.

في اكمال هيئة وزي وزين القصر الخلافي بأنواع الزينة "[1] وقد جاب الناصر على هذه السفارة بوفد رفيع المستوى لتوطيد العلاقة مع القسطنطنية وبعث الناصر معهم هشام بن كليب الجاثليق ليجدد الهدنة ويؤكد المودة ويحسن الاجابة ورجع بعد سنتين "[2].

تحدث لنا ابن خلدون عن عددٍ آخر من السفارات المسيحية إلى قرطبة دون إعلامنا عن تفاصيل تلك السفارات كما جاء بالنص : "ثم جاء رسل ملك الصقالبة وهو يومئذ (هوتو) وآخر من ملك اللمان وآخر من ملك الافرنج وراء المغرب وهو يومئذ كلدة واحتفل السلطان لقدومهم وبعث مع رسل الصقالبة ريفا الاسقف إلى ملكهم هوتو وراجعوا بعد سنتين، وفي سنة اربع واربعين جاء رسول (اردوان بن رذمير) وابوه وهو الذي سمل اخاه (اذفونش) وقد مر ذكره بعث يخطب السلم فعقد له ثم بعث في سنة خمس واربعين يطلب ادخال فردلند بن عبد شلب قومس قشتلية فردلند وقد ذكره ومال إلى اردوان بن رذمير كما ذكرناه... ووفدت على الناصر سنة سبع واربعين ولقيه في عقد السلم لها ولولدها سانجة بن رذمير الملك واعانه حاكمها غرسية بن سائحة على ملكه ونصره من عدوه وجاء ملك جليقية فرد عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة اردون.. ولما وصل رسول كلدة ملك الافرنجة بالمشرق كما تقدم وصل معه رسول مغيرة بن شبير ملك برشلونة وطركونة راغبا في الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رومة يطلب المودة فأجيب"[3].

ويؤكد النص اعلاه على عدد كبير من السفارات التي وفدت على قرطبة اثناء عصر الخلافة، من ولايات عديدة في المشرق والمغرب حضرت إلى قرطبة لأغراض عديدة، بفضل ما وصل اليه الأندلس من مكانة سياسية وعسكرية وثقافية فتطلبت حاجة ملوك العالم أن تطرق أبواب الأندلس لتسد حاجاته واغراضه.

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج4، ص142: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص215 (اوردها سنة 338هـ): المقري، نفح، ج1، ص324: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص37.

(2) ابن خلدون، العبر، ج4، ص143.

(3) ابن خلدون، العبر، ج4، 143.

سياسته:

اتبع الأمير عبد الرحمن الثالث سياسة اظهار القوة والسيطرة على الاوضاع الداخلية مجهز اول ايام حكمه سنة 300هـ/912م بحملة عسكرية "واول غزوة غزاها الناصر لدين الله الغزوة المعروفة بغزوة المنتلون افتتح فيها سبعين حصنا "[1].

وتحدث ابن حيان القرطبي عن الحملة الاولى بقوله: كانت غزاة المنتلون اول غزوات الناصر لدين الله المؤذنة بسعده... فكان اول من استجاب لامره وصحح طاعته أهل جند دمشق الذين هم أهل كورة البيرة فتبادروا بالمجيء إلى باب سدنة وألقوا بمقاليدهم إلى الخليفة وتخلوا له عن حصونهم ومعاقلهم والسياسة دون امان طلبوه ولا عهد اعتقدوه"[2].

كان للنصر الذي حققه الأمير عبد الرحمن الثالث في حملة المنتلون أثراً كبيراً وصدى عميق ومردود عظيم على نجاحه وسمعته العسكرية وفتحت امال طيبة في استقرار الاوضاع العامة في الأندلس وازدهارها حضاريا.

تابع الأمير عبد الرحمن الثالث ادارة بلد الأندلس شخصيا كما اكده لنا الخبر الآتي: "الامور التي كانت تجارة فيها خلفاء بني امية بالأندلس لا ينفذونها الا عن مشاورة ثلاثة من الناس وهم: قائد الجند بسرقسطة قاعدة الثغر الاعلى لعظم ذلك الموضع وكونه الثغر ومحل الدفاع عن الأندلس فلم يكونوا يقدمون له، الا من اشتهرت نجدته وغناؤه، وكان فيه انتهاض بما حمل من ذلك الوظيف، والقاضي بقرطبة حضرة الخلافة وموضع توفر العلماء، لما كان يحتاج فيمن يتقدم لقضائها استجماع شروط الكمال وكريم الخلال ورسوخ القدم في العلم والدين والحكمة، وقائد الاسطول بالمرية لأنها كانت دار صنعة الانشاء بالأندلس، ولتوسطها في

---

(1) مجهول، مدونة الناصر، ص33.

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق: جالميتا، د. محمود صبيح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979، ص85، انظر: مجهول، مدونة الناصر، ص34: ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 60، ص64، انتهت فتوحه إلى ما يجاوز ثلاثمائة حصن، كل حصن منها عالي الاسم بعيد الصيت ملجا لذوي الخلاف والمعصية، وكان فتحا لم يسمع بمثله لملك من ملوك الارض قضاء في غزوة واحد في سالف الازمنة".

بلادهم، فكان في مدة بني امية قائدا اسطولها قسيم الخلافة في ملكه: ذلك ملك البر وهذا ملك البحر"[1].

اتخذ الناصر اسلوبا رائعا في تقسيم اموال الأندلس وصرفها لكثرتها بفضل الرخاء وخيرات الأندلس وازدهار الحياة بيت المال، والثلث ينفقه على الاجناد والثلث يهبه على الشعراء والخطباء والقصاد"[2].

اتبع الناصر سياسة التسامح والعطف والرحمة والتعقل في اصدار اوامره ويظهر ذلك في حوادث تاريخية عديدة كما ورد في حادثة اعتداء تعرض لها الخليفة الناصر اثناء خروجه بموكب استعراض عسكري كما ورد بالنص: " يوما في بعض مخارجه من القصر بالزهراء في موكب له رجل معتوه تكمن له في بعض جنبات طريقه، فثار في وجهه وصاح عليه صياحا منكرا، وهرول نحوه، ومديده إلى شكائم عنانه، يريد القبض عليها، فنفر الفرس الذي كان تحته، ووقع على مؤخرة، فكاد يلقي عنه الخليفة لولا جودة واستمساكه على سرجه، فابتدر المعتوه اكابر فتيانه الصقالبة الحافون به يحسبونه خارجيا قصده، فخطبوه بأسيافهم، ووخزه بأسنتهم، فقتلوه، والناصر مشتغل بدهشته، فلما عاين إسراعهم وعرف بافته وحمقه ساء شديدا وانساه دهشه، وسب الخصيان، فواداه لهم، وتعهدهم بالاحسان حياته"[3].

اتصف الناصر باحترام وحب العلماء والفقهاء وكان معجبا اشد الاعجاب بالقاضي منذر بن سعيد البلوطي الذي انّب الخليفة الناصر وحذره وذمه في إحدى خطب الجمعة وذلك بسبب الإسراف والتبذير لاموال المسلمين اثناء بنائه لمدينة الزهراء" فأراد القاضي منذر أن يغض منه، بما يتناوله من الموعظة، بفضل الخطاب

(1) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 83، ص128 - 129.

(2) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص59: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص231، وكان الناصر قد قسم الجباية على ثلاث مرات: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدخر: المقري، نفح، ج2، ص271: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص38، قسم للجند، وقسم للبناء، وقسم مدخر للضرائر: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص163 - 164" ثلث ينفقه في بناء الزهراء" .

(3) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 57، ص92.

والحكمة، والتذكير بالانابة والرجوع... ووصل ذلك بكلام جزل، وقول بفضل، ومضى في ذم تشييد البيان والاستغراق في زخرفته، والاسراف في الانفاق عليه... واتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت، والتحذير من نجاته، والدعاء الزهد في هذه الدار الفانية، والحض على اعتزالها. والرفض لها، والذب إلى الاعراض عنها، والاقصار عن طلب اللذات، ونهى النفس عن اتباع هواها، فأسهب في ذلك كله، واضاف اليه من ابى القرآن ما يطابقه، وجلب من الحديث والاثر ما يشكله، حتى اذكر من حضرة من الناس، وخضعوا ورقوا، واعترفوا وبكوا وضجوا ودعوا، واعلنوا التضرع إلى الله التوبة، والابتهال في المغفرة، واخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ وقد علم انه المقصود، فبكى وندم على ما سلف له من فرطه. واستعاذ بالله من سخطه، إلا أنه وجد على منذر بن سعيد لغلط ما تقرعه به، فشكا ذلك إلى ولده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وما عنى بها غيري، فارف علي، وافرط في تقريعي، ولم يحن السياسة في وعظي، فزعزع قلبي، وكاد بعصاه يقرعني، واستشاط غيظا علي، فاقسم ألا يصلي خلفه الجمعة خاصة.... "[1].

استمر القاضي البلوطي في تأنيب وتذكير الخليفة الناصر على إسرافه وذلك اثناء حفلة أقامها الخليفة والناصر لكبار رجال دولته عند إكمال بناء الزهراء وافتتاحها للتفاخر والتباهي والتعرف عليها، وكان القاضي يجلس في آخر الصف للحاضرين " فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة، فاخذ القوم يتأملون ذلك المجلس والقصر وإتقان بنائه واحكامه ويثنون عليه وعلى امير المؤمنين ويظنون في ذلك ومنذر مطرق برأسه إلى الارض لا يتكلم بكلمة فقال له الناصر: وانت ايها القاضي كيف رأيت هذا المجلس؟ قال: " يا أمير المؤمنين ماذا أقول لك والشيطان

---

(1) المقري، ازهار الرياض، ج1 / 79: ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1/ 79، قال ابن سعيد المغربي "وكان منذر بن سعيد قاضي الناصر وخطيبه كثيرا ما يقرعه فيما اسرف فيه من مبانية، ويعظمه ودخل يوما وهو منكب على البنيان، فوعظه ": ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص79: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص165 الفقيه منذر بن سعيد البلوطي وكان رجلا صالحا لا تأخذه في الله لومة لائم، فلما رأى الناصر لدين الله قد خرج إلى الصلاة ذلك اليوم أراد عظته وتوبيخه على تركه شهود الجمعة واشتغله بالبناء".

قد أملى لك وزين لك فعلك ولم ترض منك إلا أن يجعلك كافراً " فاسود وجه الناصر وغضب وقال: "بماذا" قال: " يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز:(**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ** {33/43} **وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ** {34/43} **وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**) قال: فأطرق الناصر وقام عن مجلسه خجلا وافتراق الناس "[1] خيانة الدين والارض جريمة لا يغفر عنها في الإسلام وقد التزم الخليفة الناصر بتعاليم الإسلام فكان يرحم ولا يتهاون مع مرتكبي الجرائم بحق الدين الإسلامي وبلد الأندلس فقد امر الخليفة بإنزال عقوبة الموت بحق ولده عبد الله لخيانته كما اكد ذلك النص الاتي "قتل امير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ولده عبد الله وسبب ذلك انه كان أراد القيام عليه وبايعه اكثر أهل قرطبة على قيام الخلافة.... بايعه الناس على انكار جور ابيه واقدامه على سفك الدماء، فوصل الامر إلى ابيه قبل استحكام أمره فحبسه اياما وقتل كل من زاره على ذلك فلما اتى عيد الاضحى أمر به فأخرج إلى المصلى ثم صرح وذبح بين يديه، وكان قتله لولده في سنة 308هـ"[2].

بذل الناصر جهودا كبيرة في متابعة دولته ولم يخلد إلى راحة وكان يتشرف بنفسه على الانجازات العامة طيلة مدة حكمه نحو نصف قرن وقد صرح لنا الخليفة بنفسه عن ايام راحته وسرور في حكمه خلال اكثر من نصف قرن بقوله" وحكى غير واحد انه وجد بخط الناصر رحمه الله: ايام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا ومن سنة كذا، ويوم كذا من كذا وعدت الايام، فكانت اربعة عشر يوما"[3].

وصلت الأندلس في عصر الناصر إلى اوج وقمة الازدهار الذهبي إذ شاع بريق

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص166.
(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص161 - 162: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص39.
(3) المقري، ازهار الرياض، ج2، ص282: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص232: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص40.

شمس الحضارة الأندلسية إلى اقصى ولايات العالم من خلال الاصلاحات وانتشار الامن والسلام والعلم وعمت الرفاهية وفاض الرخاء وتحلت ابهة الخليفة، وعظمت هيبته كحاكم مثالي ملأ الرهبة قلوب الامراء في الداخل، وملأ الرعب والشوق ملوك أوروبا وحكامها في العصور الوسطى اجراء العمران والتطور الاقتصادي والنهضة الفكرية[1].

وتمثلت الاصلاحات العمرانية بجوانب منها:

مسجد قرطبة: اهتم الخليفة الناصر بإعمار المسجد الجامع بقرطبة واصلاحه وتوسيعه " وكان الناصر امر ببناء الصومعة العظيمة في سنة (340هـ) وشرع في بنائها، وهي الشهيرة التي لا صومعة تعدلها... وفي اعلى ذروة المنار ثلاث رمانات تغشى النواظر شعاعها، وتخطف الابصار بالتماعها: الاولى مفرغة من الذهب، والوسطى من فضة، والثالثة من ذهب... وكان ايضا زاد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته المشهورة "[2].

1. تشييد مدينة الزهراء عام 325هـ/936م: تقع مدينة الزهراء في غربي قرطبة، وبينها وبين قرطبة خمسة اميال عند إقدام جبل العروس[3] وكان الخليفة ينفق ثلث الجبايات في بناء الزهراء من عجائب الدنيا "وبنى في قصرها المجلس المسمى بمجلس الخلافة كان سمكه من الذهب والرخام الغليظ في جرمه الصافي في لونه الملون في أجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك، وفي وسط هذا المجلس البديع اليتيمة التي اتحفه بها (ليون) ملك القسطنطينية، وكانت قراميد هذا المجلس من الذهب والفضة، وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق "[4].

وكان في كل جانب من هذا المجلس "ثمانية ابواب قد انعقدت على اقواس من العاج والابنوس المرصع بالذهب واصناف الجواهر قامت على اسوار من الرخام

---

(1) راضي، علي محمد، الأندلس،... والناصر، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، 1970، ص34.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص228.

(3) الحميري، الروض، ترجمة، رقم 85، ص95.

(4) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص164.

الملون والبلور الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في سمك المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار فكان الملك اذا أراد أن يفرغ أهل المجلس أومأ إلى احد صقالبته فيحرك ذلك البرق فيظهر في المجلس نور كلمعان البرق يأخذ بجميع القلوب فيخيل لمن كان في المجلس أن المجلس قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرك وقد قيل أن هذا المجلس كان يدور يستقبل الشمس، وقيل: كان ثابتا على صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدم لبنائه أحد لا في الزئبق عنده، فكان بناء الزهراء في غاية الحصانة والاتقان والحسن بالمرمر والعمد واجرى فيها المياه واحدق بها البساتين "[1]. ضمت مدينة الزهراء منشآت ومرافق عديدة إذ تتكون من ثلاثة مرافق أو اجزاء مدرجة على سفح جبل العروس: القسم الاعلى فيه قصور الخلافة والقسم الاوسط عبارة عن بساتين ورياض، والقسم الاسفل يحتوي على المسجد ومنازل الخاصة والحراس، وكل قسم له سور وابواب"[2]. وقدم لنا المؤرخ ابن عذاري المراكشي تفاصيل وتوضيحات وأرقام مفيدة عن مدينة الزهراء فيذكر عنها أن عمدة الرخام جلبت من قرطاجنة افريقية وتونس وعددها (4313) سارية منها افريقية (1013) سارية ومن ملك الروم في القسطنطينية (140) سارية والبقية الباقية من الاعمدة من الأندلس واما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع، فإنها كانت من تحف قيصر اليوناني صاحب القسطنطينية بعث بها للناصر مع تحف كثيرة سنية "[3]. استمر العمل ببناء الزهراء زهاة اربعين سنة وأكمل بناء الزهراء في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله واستنفدت ثلث ايراد الأندلس لمدة (17) سنة، وانتقل اليها الناصر سنة (336هـ/947م) ونقل لها بيت المال وأهله وجلب اليها المياه العذبة الصافية من

---

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج11، ص163 - 164: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص231 (تفاصيل هامة عن مواد البناء والتكاليف التي انفقت على المدينة التي سميت بالزهراء نسبة إلى جارية الناصر).

(2) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص206.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص231 - 232: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص38.

عيون الجبال بواسطة أنابيب من الأجر المغلفة أو المدورة حفاظا على الماء الجاري من التلوث بالأتربة، وهي اول شبكة مياه صافية ظهرت في العالم[1].

2. تشييد مدينة سالم: Medinaceli (قاعدة الثغر الاوسط) وتقع إلى الشمال الشرقي من حصن مدريد وفي سنة 335هـ كان ابتداء بناء مدينة سالم بثغر الاوسط"[2] فتح العرب أسبانيا عمر هذه المدينة قائد مغربي اسمه سالم بن ورعال المصمودي التي نسبت اليه، واشرف على بنائها في خلافة الناصر مولاه القائد غالب الناصر فارس الأندلس وغيره من قواده الثغور[3].

مدينة المرية: (Almeria) شيدها الخليفة الناصر في الجنوب الأندلسي على البحر المتوسط وذلك سنة 344هـ وذكرها الجغرافي الحميري بقوله بالأندلس مدينة محدثة امر ببنائها امير المؤمنين، الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة 344هـ.. وكان المجوس لما قدموا المرية، وتطوفوا بساحل الأندلس والعدوة، فاتخذوها العرب مرأى، وابتنت بها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويربطون منها وهي اليوم أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ومن أجل أمصارها وأشهرها، وعليها سور حصين منيع بناء أمير المؤمنين عبد الرحمن... "[4].

---

(1) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص201. عن تقنيات اثار الزهراء التي قام بها المهندس الاثري الأسباني ريكاردوا بلاثكت باسكو، الخرائط والرسومات والجداول للحفريات والاثار للزهراء وقصورها انظر:

Ricardo – Velazques Bosco. Excavaciones en Medina Azahara.Madrid-1923.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، 213: الحميري، الروض، ص163 " قلعة ايوب بالأندلس بالقرب من مدينة سالم وبينها وبين مدينة سالم خمسون ميلاً.

(3) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص208، الحجي، تاريخ الأندلس، ص304.

(4) الحميري، الروض، ترجمة رقم 175، ص183: انظر: سالم، عبدالعزيز، تاريخ مدينة المرية الإسلامية (قاعدة اسطول الأندلس، ط1، دار النهضة، بيروت، 1969: ابو الفضل د. محمد احمد وسالم، د. عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، الهيئة المصرية، الاسكندرية، 1981:

Jose Angel Tapia Garrido, Historia de Almeriay su Provincia, Vitoria, 1979.

الإصلاحات الاقتصادية:

شهد الأندلس تطوراً اقتصادياً وازدهاراً في الزراعة والصناعة والتجارة في قرطبة وغيرها، وقد اشار إلى ذلك ابن حوقل النصيبي واعجب بما شاهده من تحول حضاري رائع بقوله: " ليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر وما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة ومسحة اسواق ونظافة محال، وعمارة مساجد وكثرة وحمامات وفنادق وهي فخمة واسعة الحال بحسن الجدة وكثرة المال والتصرف في وجوه التنعيم بجيد الثياب، والكسى من لين الكنان وجيد الخز والقز والمتعة بفاره المركوب والمأكول والمشروب"[1].

أشادت المصادر بالنهضة الاقتصادية التي شهدها الأندلس في خلافة الناصر كما اكد لنا على ذلك ابن الخطيب الغرناطي بقوله "ومن آثاره التي ضربت بها الأمثال، قضيت منها العجائب، حال الطراز ببابه لنسيج ما يحتاج اليه من الخلع والكسي وملابس الحرم وغير ذلك، فقد كان على عهده مدينة تشمل على آلاف الخلق، قد اتخذت فيها المرافق والمساجد والحمام والسوق، ولو تتبعنا اصنافهم، وما كانوا يحاولونه من صناعتهم، ويناغون به المشرق من بضائعهم ومقدار جراياتهم ونفاقتهم"[2]. وقد التزمت الدول المسيحية المجاورة في اداء الجزية للخلافة الأندلسية بكل احترام وتقدير كما ورد بالنص الآتي: " ودام ملك الناصر خمسين سنة وكان الروم يؤدون له الجزية عن يد وهم صاغرين على مسيرة اربعة اشهر ولم يتجرأ أحد من الروم طوال أيامه أن يركب فرسا ذكراً ولا يحمل سلاحاً"[3]. احصى بعض المؤرخين حالة الرخاء في مدينة الزهراء ايام الناصر وما يستهلك من أنواع

---

(1) ابن حوقل، صورة الارض، دار الحياة، بيروت، 1979، ص107 - 108: د. عبدالواحد ذنون طه، الأندلس من خلال كتاب صورة الارض لابن حوقل، مقالة في دراسات أندلسية (للمؤلف ذنون (بغداد، 1986، صفحات المقالة 105 - 123: د. محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في ق، 5هـ/، 11م الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، 1984، ص82.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص40.

(3) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص168.

وألـوان الطعـام يوميـا لخدمـه " وقـال بعـض المـؤرخين: وكـان عـدد الفتيـان بـالزهراء (13750) فتـى ودخـالتهم مـن اللحـم كـل يـوم حـاشى انـواع الطـير والحوت، (13) الف رطل، وعدد النساء بقصر الزهراء، الصغار والكبار وخدمة الحزمة 6314"[1]. أما إحصائية الجباية السنوية للأندلس في عصر الخلافة مـن الكـور والقـرى، فبلغت خمسة ملايين واربعمائة وثمانية الف دينار، ومن المستخلص 765.000[2].

الازدهار الثقافي:

ادخل عبدالرحمن الثالث إلى الأندلس إصلاحات ثقافية واسعة وشاملة ساعدت على نهضة فكرية في مختلف فنون المعرفة وكان تأثير الآباء عـلى الأبنـاء وحـثهم عـلى التعليم والتزويـد بمناهـل الثقافـة كـان لـه دور بـارزا وأثـر واضـح عـلى الأمـراء عنـد وصولهم إلى السلطة، فيذكر لنا عن ذلك ابن حيان القرطبي عن حرص امراء الأنـدلس واهتمامهم بذلك كولده الأمير محمد بالمتابعة بقوله: ومن تعجيله النظـر بـذلك لكـل واحد منهم اول ترعرعه بقصر يسكنه وضياع تغل له وعقار بداخل البلد يجري عليـه خرجه إلى رزق هلالي ومعروف سني يجريها عليه تتأكد بهما ملوكيته.... "[3].

وبذلك نلاحظ حرص الحكـام الأندلـسيين عـلى تربيـة الابنـاء وإعـدادهم فكريـا وتشجيعهم على التعلم تحت أمهر المعلمـين مـن اجـل مواصـلة الحركـة العلميـة لأن

---

(1) المقري، ازهار، ج2، ص268 - 269: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص40 - 41: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج2، ص166.

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص164: المقري، ازهار، ج2، ص271: ابـن عـذاري المراكـشي، البيـان، ج2، ص231 - 232 راجـع: الحبيـب الجنحـاني، الحيـاة الاقتـصادية والاجتماعيـة في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لابن حيان القرطبي، مقالة في مجلة المناهل المغربية، العدد 29، السنة الحادية عشرة: الرباط، 1404هـ 1984م، ص343. انظـر: احمد بدر "الحياة الفكرية في الأندلس، مقالة في مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العـدد 19، 20 نيسان - تموز 1985، ص106 - 129.

(3) ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق جالميتا، ص14 - 15.

ذلك واجبا فرضه الإسلام على عباده، كلف الخليفة الناصر ابنه وولى عهده الحكم المستنصر بالله الذي كان يمثل به وزيره للشؤون الثقافية في مواصلة الحركة العلمية ومتابعة القضايا المتعلقة بتشجيع تأليف الكتب أو الحصول عليها من أرجاء العالم الإسلامي.

وفي عهد الخليفة الناصر ظهر (كتاب العقد الفريد) " لابن عبد ربه الأندلسي " (328هـ/940م) وهو من المصادر المهمة والاساسية في الادب والشعر والتاريخ والمعارف العامة.

وفي سنة 330هـ/942م وفد على الأندلس ويحمل معه اصول الثقافة المشرقية العراقية، فضلا عن عدد كبير من المصادر المهمة ونظريات ومبادئ وعادات وتقاليد في الفكر، تحدث لنا عنه ابن حيان القرطبي بقوله: " القالي العالم المستبحر في علوم اللسان، الجامع لضروب الادب، المحتوي على دواوين الثقات، الرواية عن جلة أهل العلم، الملتقى للثقات طرأ من اقصى ارض العراق، قاصداً باب عظيم الخلفاء بأسنى البضاعات "[1].

وقد تم استقبال الضيف العراقي الاديب اللغوي أبي علي القالي البغدادي في الأندلس من الحكم المستنصر بالله عند عبوره إلى ارض الأندلس وحتى وصوله مدينة قرطبة، أبهى استقبال " تلقى اسماعيل هذا وتبشيره واكرامه واقدامه معه إلى قرطبة، والتقدم إلى كل عامل يمر به في طريقه بالاحتفال في مبرته، والانتهاء في تكريمه ففعل ذلك إلى أن وصل إلى قرطبة في اليوم المذكور، فأكرم الناصر لدين الله مورده وأحسن تقبله وأكرم مثواه[2].

ومما يذكر أن الامبراطور البيزنطي حينما بعث بسفارة إلى الناصر في قرطبة أهداه كتاب (ديسقورديس) Dioscords في الاعشاب الطبية، فكلف الناصر احد

---

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق: جالميتا، ص479 (احداث عام 330هـ).

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق: جالميتا، ص479 - 480. انظر: د. خليل ابراهيم الكبيسي " أبو علي القالي البغدادي وأثره في الفكر الأندلسي " مقالة مجلة المؤرخ العربي، العدد 25، بغداد، 1404هـ 1984م، ص321 - 360: بدر، الحياة الفكرية في الأندلس، ص115 - 116.

علمائه إلى ترجمته إلى العربية[1]. وظهرت في خلافة الناصر طبقة من مشاهير الاطباء والحكماء كما اخبرنا عن ذلك ابن جلجل[2].

ونذكر من ابرزهم:.

1. عمران بن أبي عمر (ألف الناصر حب الاديسون).
2. يحيى بن اسحاق (كان طبيباً نبيلاً عالما حاذقا بيده، وكان في بداية خلافة الناصر، واستوزره وولى الولايات والعملات وكان قائد بطاليوس زمانا وكان له من امير المؤمنين الناصر محل كبير، ينزل له منزلة الثقة، وله في الطب كتاب من خمسة اسفار، ألفه على مذهب الروم يسمى (الابريشم)، وله كتاب نادر محفوظ في علاج الناصر كما كان للخليفة الناصر وجع في أذنه والوزير قائد بطليوس فعولج منه).
3. ابو بكر سليمان بن باج: وكان في دولة الناصر رحمه الله، وخدم الطب، وكان طبيباً نبيلاً، وعالج امير المؤمنين الناصر، رضي الله عنه من رمد عرض له من يومه بشياقة، وطلب منه نسخته بعد ذلك، فأبى أن يمليا، وعالج شسيفا صاحب البرد من ضيق النفس بلعوق من يومه بعد أن أعيى علاجه، وكان يعالج وجع الخاصرة عجب من حينه، وكان خبيراً بنسخ الادوية، وله نوادر في الطب محفوظة في البلد كثيرة، وكان اديباً وولاه الخليفة الناصر قضاء شذونة.
4. ابن ام البنين: إنما سميناه بالاعرف، وكان من أهل قرطبة، وخدم الناصر بصناعة الطب، وكان ينادمه، وكانت له فطنة في الطب ابو حفص عمر بن بريق وكان طبيباً نبيلاً، قارئا للقرآن، وهو ادخل الأندلس كتاب "زاد المسافر" ونبر الأندلس، وخدم بالطب الناصر.
5. اصبغ بن يحيى الطبيب كان متقدماً في صناعة الطب وخدم به الناصر رحمه الله، وهو ألف لأمير المؤمنين الناصر حب الانيسون.

---

(1) د. مكي، محمود علي، تاريخ بلاد الأندلس السياسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980 (ص55 - 150)، ص89.

(2) ابن جلجل القرطبي، ابو داود سلمان بن حسان الأندلسي، الفه سنة 377هـ طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة 1955، ترجمة ارقام: 41، 43، 4، 45، 47، 49، 50، 53، 54، الصفحات 98 - 112.

6. محمد بن تمليخ: وكان من سكان ربض مسجد طاهر، وخدم الخليفة الناصر بصناعة الطب، وكان قد تقدم له نظر في الادب والعروض.

7. ابو الوليد محمد بن حسين المعروف بالكتابي: أدرك أخا دولته الناصر، وخدم بالطب... محبوبا من العامة والخاصة، لسخائه بعلمه ومواساته بنفسه، ولم يكن يرغب في المال ولا في جمعه، وكان لطيفا في علاج المرضى.

8. ابو عبد الملك الثقفي خدم الخليفة الناصر وابنه المستنصر بالله بصناعة الطب وكان أعرج، وله في الطب نوادر.

10.أبو موسى هارون الاشوتي طبيب خدم بيده، وخدم الخليفة الناصر وابنه المستنصر بالله وكان ملحقا للحرم والنساء، وكان من شيوخ الاطباء وخيارهم.

الإصلاحات العسكرية:

أدخل الناصر إصلاحات عسكرية عديدة شملت جوانب عديدة منها ادخال عنصر الصقالبة[1]. إلى جيشه لتحسينه والحد من المنازعات بين القبائل العربية والبربرية ومن اجل زيادة أعداد المقاتلين، اهتم الخليفة بالصقالبة واعتنى بهم وبذل لهم الاموال وأسكنهم في الزهراء، واصبح الصقالبة مكانة هامة في المجتمع الأندلسي وظهر منهم الادباء والشعراء، وصنف احدهم هو حبيب الصقلبي كتابا في فضائل الصقالبة بعنوان " الاستظهار والمغالبة على من انكر فضائل الصقالبة" ويتحمل الصقالبة مسؤولية نكسة الخليفة الناصر في معركة الخندق عام 327هـ /939م مع مملكة قشتالة ويتهم القائد نجدة الصقلبي بالخيانة، حيث امر الخليفة الناصر بعد خسارته بالمعركة بقتل نجدة عقوبةً لذنبه، وقرر الخليفة أن لا يخرج بنفسه في الحملات بسبب ما لحقت به من الآلام والماسي للنتيجة كما ورد

(1) العبادي، احمد مختار، الصقالبة في أسبانيا "مدريد" المعهد المصري للدراسات الإسلامية 1953 وتم ترجمته إلى الأسبانية من المستشرق الأسباني فرنادوا دي لاكرانخا Ferendo de la Granja ثقافة الصقالبة بالأندلس، مقالة مجلة اوراق الأسبانية، العدد 5 - 6، مدريد، 1982 - 1983، ص21 - 29: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص197 - 300.

بالنص فهزم فيها اقبح هزيمة... فلم تكن له بعدها غزوة بنفسه[1].

إنشاء الاسطول البحري في القاعدة في مدينة المرية في الجنوب الأندلسي على ساحل البحر المتوسط وذلك لمواجهة المتمثلة بالنورمانديين والفاطميين اعداء الامويين والمتحالفين مع المتمرد عمر بن حفصون وإمداده بالذخيرة والعسكرية والمؤونة بالإضافة إلى المخاوف من الممالك الأسبانية والاوروبية عن طريق البحر.

اهتم الخليفة الناصر بالأسطول في إعداده وتسليحه بقطع بحرية متطورة، وكانت لقائد الاسطول منزلة خاصة نظرا لأهميته والحاجة اليه في مسؤولية الدفاع عن حدود الأندلس البحرية لكونه محاطا بالمياه من جميع الجهات ما عدا الجزء الشمالي الشرقي مع لد الافرنج، ويؤكد لنا النص منزلة القائد كانت دار صنعة الانشاء بالأندلس، ولتوسيطها في بلادهم، فكان في مدة بني أمية قائداً لأسطولها قسيم الخليفة في ملكه: ذاك ملك البر وهذا ملك البحر "[2].

حقق الاسطول الأندلسي انجازات وانتصارات عسكرية ناجحة تستحق الفخر والاعتزاز وذلك في منع وصول الامدادات إلى المتمرد ابن حفصون من الفاطميين وفتح مدن ساحلية كما جاء في كتاب اخبار مجموعة بالنص:... حتى فتح الله ماوراء البحر من المدن الجبلية والمعاقل المنيعة كسبته وطنجة وغيرها ودان له اهلها فاستعمل عليها القواد وحصنها بالرجال وامدهم بالجيوش الكثيفة في الاساطيل حتى وطئت بلاد البربر "[3].

وقد نجح الأمير عبد الرحمن الثالث في التصدي للتمردات بوسائل عديدة من شن الحملات العسكرية وهدم حصون التمرد بوسائل دبلوماسية في اقناع المتمردين وتقديم التصالح والوعود بالعفو، ويوضح لنا المؤرخ ابن الخطيب

---

(1) مجهول، اخبار مجموعة، ص156.

(2) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 83، ص129 (ورد النص سابقا بالكامل).

(3) مجهول، اخبار مجموعة، ص153 - 154.

الغرناطي عن اسباب كثرة التمردات بالأندلس أواخر عصر الإمارة بقوله: والسبب في كثرة الثورات بالأندلس يومئذ ثلاثة وجوه الاول: منعة البلاد وحصانة المعاقل، وبأس اهلها بمقاربتهم عدو الدين، منهم شوكة، وحد لخلاف سواهم والثاني: علو الهمم وشموخ الانوف وقلة الاحتمال لتقل الطاعة، إذ كان من يحصل بالأندلس من العرب البرابرة اشرافا يأنف بعضهم من الاذعان لبعض، والثالث الاستناد عند الضيقة والاضطرابات إلى الجبل الاشم والمعقل الاعظم من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم بعض[1].

شرعت العمليات العسكرية ضد المتمردين حسب خطة حربية مرسومة محدودة الاهداف ومتوقعة بالنتائج الناجحة في شن الحملات على قلعة رباح (Calatrava) واخرى على مدينة استنجة (Ecija) واسترجاعها من المتمرد ابن حفصون، وكان لقيادة الأمير عبد الرحمن الثالث الجيش ومشاركته للحملات بنفسه أثر عميق أسهم في رفع معنويات الجند وحقق النصر واثار الخوف والفزع في نفوس الأعداء وارهابهم[2].

تمكن الأمير عبد الرحمن الثالث من استعادة النفوذ والسيطرة على الأندلس وإعادة الحصون والقلاع من المتمردين ودمر اوكار الاعداء في عدد من مدن الأندلس، وكان للنصر الكبير الذي حققه الأمير في غزوة المنتلون - كما بينا سابقا - أثر بالغ في كسب ثقة جيشه ورعيته واستعادة الامن والاستقرار إلى الأندلس، ومكن الإمارة الأندلسية من السيادة على اقاليم البلاد بعدما تمكن بكفاءة عالية من إدامة عوامل النصر بفضل تنظيمه العسكري وإعداده وتطوير أسلحته وعزمه ومتابعة واخلاصه لدينه[3].

أورد لنا المؤرخ ابن حيان القرطبي اخبارا مفصلة عن التمردات الداخلية في المدن الأندلسية والحملات التي قام بها الناصر للقضاء عليها وفتح مدن وحصون

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص36.

(2) خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص151.

(3) المرجع نفسه، ص156.

الصوائف والشواتي السنوية وتعرف تلك الحملات بأسماء المدن والحصون في حملات المفتوحة والمحررة[1].

اخطار الممالك الأسبانية:

استغلت الممالك المسيحية في الشمال الأسباني انتقال السلطة إلى الأمير عبد الرحمن الثالث بالتحرش والاعتداء على الثغور الأندلسية. وقد اعتمدت سياسة الخليفة الناصر الخارجية على عدم الاعتداء على الجيران والاستعداد للدخول في مفاوضات سلمية وتوثيق علاقات الصداقة مع الممالك الأسبانية، ولكن عندما تحدث اعتداءات أو عدوان حربي على حدود الأندلس كان لابد من توجيه الحملات العسكرية لردع العدوان وتأديب المعتدي.

اهتم الخليفة الناصر بتطوير الاسطول البحري وتنظيم جيشه وادخال عناصر جديدة إليه فضلا عن تطوير اسلحته لمواجهة المخاطر الخارجية والاستعداد تحسبا للمستقبل، وهذا قد تبين لحكام الممالك الأسبانية تلك الاجراءات الجديدة التي ادخلها الناصر في الجانب الحربي، لذا نرى انهم تقربوا اليه واحترموه وهابوه ومع ذلك نلاحظ أن الناصر اهتم بإعداد الحملات الصوائف والشواتي السنوية ضمن حركة الجهاد الإسلامي ضد الأعداء، وقد تحدث المؤرخ ابن حيان القرطبي عن تلك الحملات طيلة سنوات حكم الناصر، ومن اهم تلك الحملات كانت حملته على مملكة جليقية (Galicia) سنة 303هـ/915م منتهزة جليقية ظروف الأندلس الداخلية كما جاء بالنص: والمسلمون يومئذ في طحنة من الفتنة... "[2].

وفي سنة 306هـ/918م هجم النصارى بقيادة ملك جليقية ومؤسس بنبلونة (Pamplona) على الثغر الاقصى وقاعدته مدينة قورية (Coria). وفي سنة 312هـ/924م[3] حدثت غزوة بنبلونة "بلد اعداء الله الكفرة البشكنس، فبرز

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق: جالميتا، (يشمل سنوات حكم الناصر من 300 - 333هـ).

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق: جالميتا، ص120.

(3) المصدر نفسه، ص143.

الخليفة الناصر الصائفة عليهم قبل موعدها"[1].

وفي عام 323هـ/934م عقد الناصر اتفاق سلام مع ملك جليقية الذي نقضه الملك بعد سنة واحدة مما استوجب الموقف إلى شن حملة عسكرية تكللت بالنصر المؤزر للمسلمين[2]. وفي عام 327هـ/938م وقعت معركة الخندق التي استعد لها الخليفة الناصر واهتم بها قبل أوالها وبعث رسائل إلى قبائل يحثهم ويرغبهم بالجهاد ويشدد على اعماله الولاة واستكثر من الآلات السفرية والعدد الحربية والاسلحة الشاكة وانفق الكثير من الاموال لذلك[3].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت للمعركة لكن الحظ لم يحالف المسلمين الأندلسيين وذلك لخيانة قائد الجند نجدة الصقلبي - كما ذكرنا كان للخسارة بالمعركة وقع كبير على الخليفة الناصر ومن آثارها " نالت السلطان والمسلمين فيها حطمة عظيمة، وقتل فيها خلق واسر كثير، وملك سواد العسكر وعدة السلطان وسرادقه وآلاته السلطانية وفيها مصحفه الخاص به ودرعه الاثير لديه، فلم يكن يتأسى على شيء من ذلك اساه عليها، بعد أن أغرق في الوقوف والتياب بنفسه في طائفة خاصة به "[4]. وقد انزل الخليفة الناصر عقوبة القتل بحق الخونة من القادة في معركة الخندق نجدة الصقلبي وفرتون بن محمد الطويل[5]. كما أقسم الناصر بأن لا يخرج بنفسه في الحملات الحربية بسبب خسارته المعركة وأسفه على الخسارة المؤلمة " ومن لدن هذه الغزاة، لم يباشر الغزو بنفسه"[6].

---

(1) المصدر نفسه، ص189.

(2) المصدر نفسه، ص365 - 379.

(3) المصدر نفسه، ص148.

(4) ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق": جالميتا، ص436.

(5) المصدر نفسه، ص444 - 445: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص73" وانفذت امره باتخاذ الخشب والمصالب على ضفة نهرها، ولحين وصوله، تقبض على ما يناهز ثلاثمائة من الفرسان فصلبهم، وامر بالنداء عليهم، هذا جزاء من غش الإسلام، وكاد اهله، واخل بمصاف الجهاد ".

(6) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص37: ابن خلدون، العبر، ج4، ص42"ولم يغز الناصر بعدها بنفسه"، ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق: جالميتا، ص473. سنة 330 تم استعادة وارجاع مصحف الخليفة بفدية كبيرة.

وفي عام 303هـ/ 915م تعرض الثغر الاعلى الأندلسي وقاعدته سرقسطة إلى هجمات من القبائل ذات اصل تركي اسيوي رعوي من المجريين أو الهنكاريين[1].

الخليفة الحكم المستنصر بالله 350 - 366هـ/961 -976م.

يعد الخليفة الحكم بن عبد الرحمن بن محمد لقب بالمستنصر بالله " من أهل الدين والفضل والورع ومن أعدل الملوك وأتقاهم وأعلمهم وأخملهم وأحسنهم سيرة وأرفعهم قدراً وأعلاهم ذكراً، وكان معتنيا بالعلم مقتنيا بالدفاتير مستجلبا للرواة مواظبا للجهاد مؤيدا منصوراً لم تلحق الرعية في أيامه مذلة ولا نالتهم مظلمة، وكان مع ذلك عالماً ثبتا ذكيا وافيا وكان فقيهاً في المذاهب عالما بالانساب أو السير حافظاً للتواريخ عارفا بأيام الناس جمع أهل أعلم من كل مصر "[2].

وصف المؤرخ والوزير الأندلسي ابن الخطيب الغرناطي الخليفة الحكم الثاني بقوله: "عالما فقيهاً بالمذاهب، إماما في معرفة الانساب، حافظاً للتاريخ، جامعاً للكتب مميزا للرجال من كل عالم وجيل، وفي كل مصر وأوان، تجرد لذلك وتهمم به، فكان فيه حجة وقدوة واصل يوقف عنده"[3].

سياسته:

اتبع الخليفة سياسة والده الخليفة الناصر لدين الله في التعامل مع احداث داخل الأندلس وخارجه إلا أن صفة سياسته امتازت إلى الميل إلى السلم

---

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تحقيق: جالميتا، ص473، ص481 - 482. فصل " خبر ظهور الترك في الثغر الأندلسي الاقصى أو الاعلى في سنة 330ه، 942م " مقالة في مجلة المناهل المغربية، العدد (29) الرباط السنة 11جمادى الآخرة 1404هـ مارس 1984م، ص332 - 342، ص339.

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، 169.

(3) ابن الخطيب الغرناطي،. اعمال، ص41.

والعلاقات الدبلوماسية المتطورة مع الممالك الأسبانية - كما سنرى - واهتمامه بالحركة العلمية وإنشاء المكتبات الخاصة بقصر الخلافة والعامة للرعية والسعي إلى تعليم أولاد الفقراء والمساكين القرآن الكريم وإنشاء 27 مكتبة في قرطبة وثلاثا منها حول المسجد الجامع (الجماعة aljama) لنشر التعليم بشكل اوسع نظرا لاستقرار الاوضاع الداخلية ولطموحاته الشخصية وولعه بالعلوم والمؤلفات.

جهاده:

اهتم الخليفة الحكم الثاني بتنظيم حملات جهادية ضد المخاطر الخارجية على حدود الاندلس وسواحله والتي تمثلت:

أ- هجمات النورماند على سواحل الأندلس.

ب - هجمات الممالك الأسبانية في الشمال الأندلسي.

1. هجمات النورماند على سواحل الأندلس.

استأنف النورماند هجماتهم على السواحل الأندلسية في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله مستغلين الظروف الداخلية وانشغال حكومة قرطبة في مواجهة الخطر في شمال المغرب وانصراف الخلافة في الاصلاحات العمرانية والفكرية، وحاجة النورماند القراصنة إلى الاموال والثروات مستغلين قربهم من الأندلس بعد إنشاء قاعدة ثابتة لهم في ولاية نورماندية غرب فرنسا[1].

تعرضت الأندلس في عهد الخليفة الحكم الثاني إلى أربعة غارات بحرية من القراصنة النورمانديين رصدتها لنا المصادر الأندلسية هي:

الهجوم الاول: عام 351هـ/ 962م أورد الهجوم النورماندي البحري لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي بقوله " وفي ايامه (الحكم الثاني) ظهرت المجوس المجلدة على المسلمين من بحر الجوف فتحرك إلى المرية، وقد حصروا حصن القبطة من حصونها، فأوقع بهم، وأنشاء الاسطول لغزوهم، فكان عدده ستمائة جفن

---

(1) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص219.

بين غزوي وغيره"[1].

الهجوم الثاني: سنة 355هـ/ 966م، أورد لنا هذا الهجوم المؤرخ ابن عذاري المراكشي بقوله: في اول رجب (سنة 355هـ) ورد كتاب من قصر ابي دانس على المستنصر بالله يذكر فيه ظهور اسطول المجوس ببحر الغرب من هذا المكان واضطرب أهل ذلك الساحل كله لذلك لتقدم عادتهم بطروق الأندلس من قبله فيما سلف، وكانوا في ثمانية وعشرون مرتبا، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم، وأنهم قد اضروا بها، ووصلوا إلى بسيط اشبونا، فخرج اليهم المسلمون، ودارت بينهم حرب استشهد فيها من المسلمين وقتل فيها من الكافرين[2].

كما امر الخليفة بوضع الاسطول في نهر الوادي الكبير وصناعة مراكب تشبه مراكب النورماند لمواجهة الخطر ومقاومته[3].

الهجوم الثالث: وفي عام 360هـ/ 971م وقع الهجوم النورماندي الثالث على سواحل الأندلس كما اورده ابن حيان القرطبي بقوله " وفي صدر رمضان منها وقع الارجاف بتحرك المجوس الاردمانيين - لعنهم الله - وظهورهم في البحر الشمالي ورومهم سواحل الأندلس الغربية على عاداتهم، فانزعج السلطان لما سيق اليه خبرهم وعهد إلى عبد الرحمن بن رماحس قائد البحر وهو حاضر بقرطبة بالخروج إلى المرية والتأهب للركوب إلى ناحية الغرب..... "[4].

الهجوم الرابع: حدث سنة 361هـ/ 972م وذكره المؤرخ ابن حيان القرطبي بنصه: "احتل الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن بمحلة فحص السرادق افاد من

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص41 - 42: لم يعين ابن الخطيب سنة الحادثة لكنه ذكر في كتابه الاحاطة، ج1، ص478 - 479. بأن الخليفة الحكم الثاني زار المرية عام 353هـ: الحجي، تاريخ الأندلسي، ص309.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص238 - 239.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص238 - 239: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، 171" سنة 354هـ انر الحكم بعمل الاجفان الغزوانيه في جميع سواحله ".

(4) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص23 - 24: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص241.

غزاته إلى سد الغرب التي تجول فيها واشرف على المجوس الاردمانيين الجاثمين في هذه السنة، فاستركب اليه الجيوش يوم السبت بعده من قصر قرطبة في التعبئة المنتظمة بالعدد الفخمة.[1]

يلاحظ على الهجمات النورماندية بأنها لم تحقق اهدافها كما لم تحصل على ما تسعى اليه من الثروات بسبب يقظة الاسطول الأندلسي واستعدادات الخليفة لذلك وبراعة قائد الاسطول ابن رماحس وتقصي الخليفة لاخبار النورماند وتحركاتهم بواسطة جواسيس وعيون يرسلهم إلى المناطق البعيدة في جليقية وأن الجواسيس الذين ارسلوا لامتحان اخبارهم عادوا اليها بعد بلغوهم شنت ياقب من قاصية بلد العدو "[2].

شهد عصر الخليفة الحكم الثاني نشاطاً جهادياً على الممالك الأسبانية له فضلاً عن العديد من الانجازات العامة الاخرة.

ومن أبرز الحملات البحرية التي حدثت مع الممالك الأسبانية هي:

حملة عام 352هـ/963م تعرف المعركة بشنت اشتبن قام بغزوها الخليفة الحكم المستنصر بالله في مملكة قشتالة (البه والقلاع)[3].

حملة عام 355هـ/ 965م في شمال الأسباني " امر الخليفة الحكم الثاني القائد غالب الأندلسي ففتح الله له في المشركين وانصرف سالما غانما منتصراً على الاعداء "[4].

---

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص66 - 67.

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص93.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص236.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص239.

حملة عام 356هـ/966م غزوة قشتالة "وفيها كانت غزوات للمسلمين انجلت عن هزائم المشركين[1].

ويؤكد المؤرخ ابن عذاري المراكشي على اهمية المعركة بقوله: قرئ كتاب فتح ورد من قبل القائد غالب، يذكر ما هيأ اللـه له في كفرة قشتيلة من القتل والأسر، فسر الخليفة بذلك "[2].

حملة عام 357هـ/ 367م غزوة حصن قلهرة (Calahorra) في قشتالة حيث "احتل الوزيران القائدان غالب ابن عبد الرحمن وسعيد بن الحكم الجعفري بجيوش الثغر بالصائفة على حصن قلهرة "[3].

حملة عام 364هـ/974م غزوة حصن غرماج Gormaz في الثغر الاوسط قرب مدينة سالم، يروي ابن حيان القرطبي الحملة العسكرية بقوله: "توالت الاخبار من الثغر الاوسط باحتلال جيش العدو من - اهلكهم اللـه في جمع كثير من الجلالقة والبشكتس أهل قشتيلة وبنبلونة - دمرها اللـه - بحصن غرماج من ثغر مدينة سالم واحاطتهم، ناقضين لعهدهم..."[4]. واهتم الخليفة الحكم الثاني بالامر بمواجهة الخطر وكلف قائده غالب بن عبد الرحمن فارس الأندلس الذي قلده شارة تشريفية لقب "ذي السيفين "[5]. لحرب المتمردين في حصن غرماج Gormaz الذين استغلوا فرصة انشغال الخلافة الأندلسية لمواجهة الخطر الماثل بابن كنون بالمغرب، وقد حقق القائد غالب انتصارات باهرة على الاعداء في الشمال الأندلسي.

إصلاحاته:

تنوعت إصلاحات الخليفة الحكم الثاني وتعددت في مجالات متنوعة مختلفة ومن أبرزها جهوده في مجالات النشاط الفكري ونوجزها في الأبواب الآتية:

(1) المصدر نفسه.
(2) المصدر نفسه، ج2، 240.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص241.
(4) ابن حيان القرطبي، المقتبس: تحقيق: الحجي، ص218، 226 - 234.
(5) المصدر نفسه 226.

1. نشر التعليم بين عامة الناس بالأندلس وذلك بفتح الكتاتيب في المساجد العامة والبيوتات وذلك ضمن حملة التعليم المجاني للطبقة الفقيرة حسب ما يورده المؤرخ ابن عذاري المراكشي بقوله: "ومن مستحسنات افعاله وطيبات اعماله اتخاذه المؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حول المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة، وإجراء عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح، ابتغاء وجه الله العظيم، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا، منها حوالي المسجد لجامع ثلاثة وباقيها في كل ارباض المدينة"[1].

2. اهتمام الخليفة الحكم الثاني بإنشاء المكتبات العامة والخاصة المتطورة بتنظيم الفهارس، وتضم تلك المكتبات نفائس الكتب في العلوم المختلفة، ويتحدث لنا عن ذلك العلامة الفقيه ابن حزم القرطبي عن المكتبة الخاصة للخليفة الحكم الثاني بقوله: "إن عدد الفهارس المحتوية بتسمية الكتب أربعة وأربعون فهرساً في كل فهرس خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط، وإن عدد كتبها بلغ أربعمائة ألف مجلد "[2].

3. اهتم الخليفة بجمع فرائد الكتب ونفائسها ونوادرها في شتى العلوم، فقد كلف الخليفة الحكم الثاني وكلاء أو مندوبين ثقافيين مختصين بالبحث عن الكتب والحصول عليها بالشراء من المشرق الإسلامي ومغربه منهم محمد بن طرخان وراق الخليفة في بغداد والمندوب محمد بن محمد المعروف بابن الوفي الذي قام بالبصرة قرابة عشرين سنة وقد انفق مائة وعشرين الف دينار لشراء الكتب[3]. ويؤكد ابن بشكوال عن حب الخليفة الحكم الثاني وولعه في الكتب بقوله: "ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها، أفاء على العلم، ونوه بأهله، ورغب الناس في طلبه ووصلت عطاياه وصلاته إلى

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص240.

(2) ابن حزم القرطبي، جمهرة انساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ص100: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج11، 169: ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص203نقلاً عن ابن حزم القرطبي.

(3) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص57، ج4، ص573: ابن بشكول، الصلة، ج1، ص202.

فقهاء الامصار النائية عنه: ومنهم ابو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان بمصر.

وابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن الكندي وغيرهما، جرى ذكر هذا في كتب تواريخهم "[1].

حاول الخليفة الحكم الثاني منافسة الحكام العباسيين في الحركة العلمية والحصول على اثمن وانفس الكتب التي تصدر في بغداد حيث "بعث إلى ابي الفرج الاصفهاني القريشي المرواني الف دينار عينا ذهبية، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الاغاني، وما لاحد مثله، ووصل بذلك المال رحمه.... فارسل اليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق أو ينسخه احد وارسل به لبني امية إلى قرطبة وأنفذ معه قصيدة حسنة منقحة من شعره - وكان محسن - يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني امية وفخرهم على سائر قريش، فجدد له عليه الصلة الجزيلة "[2].

4 - سعى الخليفة الحكم الثاني على تشكيل " المجمع العلمي الأندلسي في قرطبة " يجتمع فيه كبار العلماء ومشاهيرهم في الأندلس، وكان يقع على نهر الوادي الكبير بقرطبة يدعى "بدار الملك وكان معروفا عند امراء الأندلس"[3].

5. بذل الخليفة الحكم الثاني جهودا ووقتاً كبيراً في المطالعة للكتب والتعليق عليها أو الاضافة اليها كما اكد لنا ابن بشكوال بنصه: " وكان مع هذا كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها من اي فن كان من فنون العلم يقرؤه ويكتب فيه بخطه، أما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه - نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به، ويذكر أنساب الرواة له، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن، وكان موثوق به مؤمناً عليه، صار كل ما كتبه حجة عند الشيوخ الأندلسيين وأمتهم ينقلونه من خطه ويحاصرون به. قلت وقد اجتمع لي من ذلك

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص201.

(2) المصدر نفسه: ابن خلدون، العبر، ج4، ص146.

(3) بدر، الحياة الفكرية في الأندلس، ص110.

جزء مفيد مما وجد بخطه، ووجدت أنه يشتمل على فوائد جمة في أنواع شتى"[1].

6. سعى الخليفة الحكم الثاني على تشجيع حركة التأليف في مختلف فنون المعرفة واستقدم العلماء ورحب بهم واغدق عليهم الاموال والهبات منهم محمد بن حارث الخشني من علماء سبتة صاحب كتاب "قضاة قرطبة" ومحمد بن يوسف الوراق من المغرب ومحمد بن الازرق من مصر وصاحب كتاب بدائع السلك في طبائع الملك" ومحمد بن العباس من حلب في الشام وغيرهم كثيرون[2].

الإصلاحات العمرانية:

بذل الخليفة الحكم الثاني جهودا طيبة في العمران بالمسجد الجامع في قرطبة واضاف عليه زيادات وتوسيعات هامة وبارزة: " واحضر لها الاشياخ والمهندسين، فحدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد إلى آخر الفضاء "[3]. واستمر التعمير بالمسجد الجامع وتحسينه وتوسيعه وتجيله بالثريات " وارتفعت الزيادة عند كماله (56) ثرية في كل ثرية (20) كاسا و(6) ثريات كبار في كل ثرية (1045) كاسا كانت كلها مذهبة"[4].

وفي عام 353هـ/964م اهتم الخليفة بتعمير المدن وتحصينها كما جاء عند ابن عذاري المراكشي بقوله: انفذ المستنصر بالله احمد بن نصر لبنيان مدينة بثغر طليطلة، وتشييدها، وتوثيق امورها، وجعل بين يديه احمال اموال "[5].

وتابع الخليفة الحكم الثاني شخصيا تحصين مدينة المرية قاعدة الاسطول الأندلسي وذلك في سنة 353هـ/964م "تحرك الحكم من قرطبة إلى المرية توقعا كما يصدر من صاحب افريقية المحاد لأهل الأندلس ولمعاينة ما استكمله بها من

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص202.
(2) بدر "الحياة الفكرية في الأندلس" ص114.
(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص233 - 234: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص170..
(4) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص173.
(5) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص236.

الحصانة ومطالعة حال رابطة القبطة"[1].

تؤكد المصادر الأندلسية أن مدة حكم الخليفة الحكم الثاني امتازت بسمات خاصة من حيث الهدوء والاستقرار والازدهار الفكري والعمراني والدبلوماسي، وأكد لنا على ذلك المؤرخ المجهول بقوله: وكانت ايامه كلها اعياداً"[2].

ومما يجدر الإشارة إليه أن عهد الخليفة الحكم الثاني شهد نشاطا دبلوماسيا حيث استقبلت قرطبة عدداً من السفارات الاجنبية نوجزها بالسنوات الآتية:

سفارة عام 35هـ/962م وصول اردونيو الرابع (Ordono IV) حاكم جليقية إلى قرطبة بصحبة (20) رجلاً من خاصته بصحبة غالب الناصري قائد الثغر الاعلى الأندلسي طالبا العون والمساعدة العسكرية من خليفة قرطبة[3].

استقبل الخليفة السفارة بحفاوة وتقدير بالغين تحدثت النصوص عن ذلك الاستقبال الرائع بقوله: "... فدخل بين صفي الترتيب، يقلب الطرق في نظم الصفوف، ويطيل النظر في كثرتها، وتظاهر اسلحتها، ورائق حليتها، فروعهم ما ابصروه وصلبوا على وجوههم، وتأملي ناكسي رؤوسهم، غاضبين من جفونهم قد سكرت ابصارهم...."[4].

وكان اول ما زار الملك الضيف (اردنيو) قبر الخليفة الناصر، مظهرا الحزن لفقده، حتى خلع قلنسونه وانحنى أمام قبره زيادة الاحترام[5].

سفارة عام 355هـ/966م من الملك سانجو الاول (Sancho I) ملك ليون لطلب الصلح والسلام مع حكومة قرطبة فضلاً عن موافقة الخليفة بنقل رفاة القديس بلايو (Pelayo) إلى ليون فاستجاب الخليفة لذلك الطلب وتم نقله في

---

(1) المصدر نفسه.

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص173.

(3) ابن خلدون، العبر.، ج4، ص145، نقلا عن وصف ابن حيان القرطبي: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص235: المقري،. ازهار الرياض، ج2، ص228: الحجي، أندلسيات، المجموعة الاثنية 'ص84.

(4) المقري، ازهار الرياض، ج2، ص289 - 293.

(5) الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص84.

حفل ضخم[1].

سفارة عام 360هـ/971م من الملك بون فليو بن سندرايط (Enneco Bonfill Sinderedo) سفير حاكم برشلونة بريل نير ((Borerell Suner)343هـ - 382هـ/954 - 992م) ومعه عشرون من الفرسان إلى قرطبة، يذكر ذلك ابن حيان القرطبي بنصه: ".. من التقرب إليه بإهدائه إليه ثلاثين أسيراً من اسارى المسلمين جميعهم في قاعدته واطراف عمله من ذكر وانثى اذا علم ذلك افضل ما يسر به امير المؤمنين ويبتهج به ويكافئ عليه"[2].

واظهر الخليفة الحكم الثاني استعداده ورغبة حكومة قرطبة في توثيق العلاقات الطيبة والسلام الدائم مع برشلونة، ويؤكد ابن خلدون على أن هذه السفارة تضم وفود: "طركونة وغيرهما يسألان تجديد العهد واقرهما على ما كانا عليه"[3].

ويذكر المؤرخ ابن حيان القرطبي سفارة في السنة المذكورة نفسها من جليقية "وفي يوم السبت بخمس بقين منه دخل قرطبة سلس رسول القومس عند شلب بن مسرة بكتبه من مدينة لسترة من اداني جليقية"[4].

وفي سنة 360هـ /970م استقبلت قرطبة سفارة من الممالك الأسبانية "وصلت رسل غرسية بن سانجة ملك البشكس في جماعة من الاساقفة والقوامس يسألون الصلح بعد أن توقف فعقد لهم الحكم ورجعوا"[5].

وفي السنة المذكورة (360هـ) قدمت سفارات عديدة إلى قرطبة تطلب الاتفاق وعقد السلام اوردها المؤرخ ابن حيان القرطبي بروايته "وفي يوم السبت خلون منه (ذي الحجة 360هـ) قعد الخليفة الحكم قعود احتفال بقصر الزهراء فأوصل إلى نفسه ملح العباد، رسول حلويرة بنت الملك الهالك رزمير، حاضنة الملك المملك

---

(1) المرجع نفسه، ص89.
(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص21.
(3) ابن خلدون، العبر، ج4، ص145.
(4) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص27.
(5) ابن خلدون، العبر، ج4، ص145.

بعده، رذمير بن شانجة بن رزمير، صاحب جليقية يومئذ ففيهم منهم وخرج، ثم توصل بعده الفومس اسمه بن شانجة المرتهن عن اخيه شامجة بن غرسية صاحب بنبلونة، ثم توصل خميس بن أبي سليط صاحب قشتيلية وديرقة بن شريط رسول ابن الشور وتوصل مع العجم من كبار نصارى قرطبة..[1].

وفي سنة 362هـ/973م استقبلت قرطبة عدداً من سفراء الممالك الأسبانية كما جاء بالنص، قعد امير المؤمنين على السرير بقصر الزهراء قعودا فخما حافلا تام الترتيب حسن التهذيب لرسل وفود اكتملوا ببابه شهده الوزراء وحجبه الحجاب وقد اشعر القصاد فحضروا... واذن بعدهم لرسل الملوك العجم فتوصل اولهم رسل شانجة بن عرسية بن شانجة صاحب بنبلونة ثم رسل فردناند بن الشور ثم رسل بني غومس ثم رسل لذريق بن بلشك قومس الغرب فأنهوا ما تحملوا من مرسليهم واقتضوا اجوبتهم ودفعت اليهم صلاتهم[2].

وفي عام 336هـ/973م استقبلت حكومة قرطبة سفارة مملكة جليقية كما جاء بالخبر الآتي:

" وتوصل اليهم بعدهم رسل حلويرة عمه الطاغية امير جيليقية وكافلته فتكلموا عن مرسلتهم بكلام بدأ فيه محضر الخلفاء...[3] وتضمنت الرسالة عبارات غير لائقة بالمفاهيم الدبلوماسية ومكانة الخلافة ذكرها المترجم اصبغ بن عبد اللـه مما اغضبت الخليفة المستنصر باللـه ودفعته إلى طرد المترجم ومعاقبته على فعلته.

وبنفس السنة (363هـ) استقبل الخليفة قرطبة ثلاث سفارات هي: 1 - سفارة برشلونة 2 - سفارة الافرنج 3 - سفارة قشتالة.

ارسل حاكم برشلونة غيتار (Guitardo) من صاحب برشلونة بوريل Borrel

---

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص63 - 64.

(2) المصدر نفسه، ص138 - 139، والملوك المذكورون هم: نبارة (ancho Garces II قواميس الغرب جليقية Rodiqo Velazque، Fernand Ansurez الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص98 - 100.

(3) ابن حيان القرطبي، المقتبس: تحقيق: الحجي، ص146: الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص101.

فأرسل إلى نفسه برسول طاغية برشلونة غيتار صاحب مدينة برشلونة لأميرها بريل شنير فأوصل كتابه وتألى عليه بالتزامه الطاعة واستقامة طريقته[1].

اما سفارة ملك الفرنج اودو (هوتو): وتوصل اثره اشراكه رسول هوتو ملك الافرنج فاوصل كتابه ايضا مجددا لعهده ومؤكدا العقدة"[2].

سفارة الاسقف رسول مملكة قشتالة: " ثم توصل اشتبين بن ابيكة رسول اسقف جرنس ونونة بن عند شلب صاحب قشتيلة وبلبيس بن شريط رسول فرفلند ابن الشور فأرسلا بكتابهما للخلافة وقالا ما امر به من الاختباط باستمرار السلم "[3].

وفي سنة 363هـ/ 974م وصول سفارة من حاكم قشتالة كالثيه فرندث Garcia Fernandez تعرض السلم والصداقة في الوقت الذي قام بالهجوم على حدود الأندلس ما أغضب خليفة قرطبة جراء تلك اللعبة السياسية الأسبانية مما دفع الخليفة إلى طرد السفارة حسب ما جاء برواية ابن حيان القرطبي: "فعند ورود هذا الخبر أمر أمير المؤمنين باستطراف رسل اللعين غرسية الوافدين كانوا عليه في توكيد امر السلم الراجعين بجوابه يوم الجمعة "[4].

وفي سنة 366هـ/976م سفارة حاكم برشلونة بوريل Borrell لتوطيد الإسلام والصداقة بين قرطبة وبرشلونة[5].

السفارات المذكورة تؤكد لنا أن العلاقات الدبلوماسية الطيبة بين الأندلس وأسبانيا النصرانية والاحترام والتسامح الديني وحاجة أسبانيا إلى الأندلس في نواحٍ عديدة ليؤكد عصر الخليفة الحكم الثاني تمتع بالإسلام والتطور الثقافي فضلاً عن انجازات عديدة ذكرت سابقاً لتبرهن للتاريخ بكل فخر واعتزاز التعايش الحضاري الذي يسود التقدم والأمن والاستقرار والتفاهم المتبادل بين الجيران المسلمين

---

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس: تحقيق: الحجي، ص182.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر نفسه، ص182 - 183.
(4) المصدر نفسه، ص188 - 189: الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص103 - 104.
(5) الحجي، أندلسيات، المجموعة الثانية، ص102 - 103.

والنصارى في عصر الخلافة الأندلسية.

الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله 366 - 399هـ/973 - 1008م

أهم أحداث عصره:

تولى الخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن ويكنى المؤيد بالله الخلافة عام 366هـ/973م وذلك بعد وفاة والده الحكم المستنصر بالله وكان عمره 11سنة ورعته وكفلته أمه صبح الأسبانية Ayrora وكانت حظية عند الحكم، وكان بها مولعاً وكانت غاية في الفضل والدين.. وأمه صبح من البشكنس وكانت مغنية محظية عن الحكم وغلبت على قلبه فكان لا يخالفها فيما تريده[1].

نظراً لصغر سن هشام الثاني وتدخل أمه صبح الأسبانية بأمور الخلافة، حاولت عناصر سياسية وعسكرية استغلال الوضع العام وانتهاز الفرص، وفي هذه الاجواء السياسية ظهرت شخصية متميزة بالدهاء والقدرة وتحين الفرصة تدريجياً إلى سلم الحكم واذا تصبح أقوى شخصية عسكرية وسياسية تمثلت في محمد بن أبي عامر المعافري العامري لتلعب دوراً بارزاً ومهماً في الاحداث التاريخية في عصر الخلافة كما سنتحدث عنه في مكانه قدم المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي وصفاً للخليفة هشام الثاني وصفاته وسلطته بالأندلس بقوله: "ولما كان هشام مندرجاً بخطى كافله الحاجب المنصور - رحمه الله - بحيث لا ينسب اليه تدبير، ولا يرجع اليه من الامور قليل، ولا كثير إذ كان في نفسه وأصل تركيبه وضعيفاً مهيباً مشغولاً بالتنزهات ولعب الصبيان والبنات، وفي الكبر بمجالسة النساء، ومحادثة الإماء"[2].

---

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص173 - 174.

(2) ومن الطريف ذكره عن صغر الخليفة هشام الثاني الف المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي كتاباً بعنوان اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام، نشر بعنوان تاريخ أسبانيا الإسلامية، وذلك بعد اربعة قرون من حكم الخليفة هشام الثاني، والكتاب مصدر هام واساسي في دراسة التاريخ والادب الأندلسي، سبق ذكره واعتمدنا عليه في تأليفنا هذا. انظر: ص58 الحديث عن هشام الثاني. ابن خاقان، المطمح، ص209. اما ابن عذاري المراكشي فنقل لنا صفات

=

تولى الحاجب المنصور العامري مقاليد الامور العامة بالأندلس وصارت بيده الكلمة في الامر والنهي، وأصبح هشام الثاني خليفة الأندلس شرعياً ووراثياً في بني أمية، كما أكد لنا المؤرخ المجهول بقوله: "ولما ولي المنصور بن ابي عامر حجابة هاشم المؤيد قام بالأمر بالعدوة والأندلس وجبايات البلاد وأقام الغزو وانفرد بالأمر بدونه خمساً وعشرين سنة إلى أن توفي فحجبه بعده ولده عبد الملك المظفر ستة أعوام وأربعة أشهر وحجبه اخوه الناصر أربعة اشهر"[1].

وتحدث المؤرخ ابن حيان القرطبي عن دور الحاجب المنصور العامري في خلافة هشام الثاني بروايته: "واستطال عليه محمد بن أبي عامر بكفايته ودفاعه العدو المتكالبة، لأول ولاية هشام ووفاة الحكم "[2].

محمد بن أبي عامر (المنصور العامة) وصوله إلى الحكم، سياسته/ حروبه اصلاحاته:

نسبه ووصوله للحكم

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، وجده عبد الملك هو الداخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد[3].

=

حميدة عن الخليفة هشام.

الثاني بقوله: "مائل إلى العبادة والانقباض، مقبل على تلاوة القرآن ودرس العلوم، كثير الصدقات على أهل الستر من الضعفاء والمساكين " ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص53.

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص175.

(2) عند ابن الابار. الحلة، ج1، ص259.

(3) انظر: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص59: الضبي، بغية الملتمس، طبعة مدريد 1484، ص19: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: جامعة فؤاد الاول، القسم الرابع، المجلد الاول، ص17: ابن الابار، الحلة، ج1، ص268: مجهول، ذكر بلاد الأندلس ج1، ص175: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص256: المقري، نفح، ج1، ص376: العذري، ترصيع، ص74.

ظهر المنصور العامري على مسرح السياسة لأول مرة عندما كلفه الخليفة الحكم المستنصر بالله بخدمة ولده عبد الرحمن السيدة صبح الاسبانية ثم لخدمة ابيه هشام الثاني وبعدها تدرج في مناصب عديدة هي: امين دار السكة، والخزانة، وخطة المواريث، ووالي عن كورة أشبيلية ولبلة، ووظيفة الشرطة الوسطى، وقاضي القضاة في غرب العدوة المغربية، والنظر في الحشم.

نجح الحاجب المنصور في الوصول إلى تلك المناصب بفضل سياسته وشجاعته وطموحه في تحقيق رغباته بواسطة صبح الأسبانية " وكانت اقوى اسبابه في تنقيل الملك ...

فإنه استمال هذه المرأة بحسن الخدمة ومواقفه المسرة وسنة البذل في باب الاتحاف المهادات حتى استهواها وغلب على قلبها وكانت الغالبة على مولاها وابن ابي عامر يجتهد في برها والمثابرة على ملاطفتها، فيبدع في ذلك ويأتيها بأشياء ولم يعهد مثلها، حتى لقد صاغ لها قصراً من فضة وقت ولايته للسكة عمل في مدة وأنفق فيه مالاً جسيماً، فجاء بديعا لم تر العيون اعجب منه "[1].

تمكن الحاجب المنصور العامري من تحقيق النجاح في حياته بواسطة ذوقه الرفيع في اختيار انفس الهدايا واجملها لنساء القصر من اجل التقرب إلى السلطة حتى شعر الخليفة الحكم المستنصر بالله بتلك اللعبة والخدعة السياسية "وقال الحكم يوما لبعض تقاته: ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى ملاك قلوبهن مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن حتى صرن لا يصفن الا هداياه، ولا يرضيهن الا ما أتاه؟ إنه لساحر عليم أو خادم لبيب أو إني لخائف على ما بيده؟ "[2].

وكان الخليفة الحكم الثاني معجبا اشد الإعجاب بشخصية محمد بن ابي عامر وشجاعته ونباهته ونسبه حتى انه "يستحق في محمد بن ابي عامر اكثر الصفات

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص252.

(2) المصدر نفسه.

المجتمعة إلى النسب والبلدة"[1] وصف ابن الابار دوافع الحاجب المنصور ووسائل قبوله للسلطة بقوله: " وكان للمنصور همة ترمي به المرامي، ويحدث نفسه بإدراك معالي الامور، ويريد ذلك حتى كان يتحدث من يختصر به بما يقع له من ذلك فتم له مراده وكان احد اعاجيب الدنيا في تلقيه والظفر بتمنيه:

تصرف اول امره في الوكالة لصبح ام هشام في اموالها وضياعها، والجد ينهض به والاقدار تساعده"[2].

اتبع الحاجب المنصور العامري سياسة ذكية امتازت بالدهاء والعبقرية من اجل السيطرة على زمام الخليفة الأندلسية، وقد اتبع وسائل واجراءات عديدة من اجل تحقيق طموحاته ومجده السياسية والعسكري من ابرز تلك الاعمال التي قام بها.

1. إسقاط ضريبة الزيتون المفروضة على زيت الزيتون في قرطبة من التداول يوم تولى هشام الثاني الخلافة من اجل كسب الرعية والتخفيف عن كاهلهم الاقتصادي كما اكد لنا النص:

"وكانت الضريبة مستكرهة الى الناس ، فسروا بذلك اعظم سرور، ونسب شأنها إلى محمد بن ابي عامر وأنه أشار بذلك، فأحبوه لذلك"[3].

تصفية القادة البارزين والمتنفذين والمناوئين للسلطة من أجل أن يبرز ويكون اقوى رجل في الأندلس بعد الخليفة. فوضع خطة ناجحة للتخلص منهم: جعفر بن علي الملقب بابن الأندلسي والحاجب جعفر بن عثمان المصحفي تدبير السيدة صبح الأسبانية ومساعدة نساء القصر لمحمد بن ابي عامر في التخلص من المصحفي بمؤامرة دبرت له هي تبذير الاموال: وذكر أن المصحفي استأثر بالأموال وبنى المنازل، وهدم الرجال"[4]. وعمل محمد بن ابي عامر على قتل المغيرة بن

(1) المصدر نفسه.
(2) ابن الابار، الحلة، ج1، ص268 (ترجمة رقم 101).
(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص259.
(4) ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص200: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص40 - 43: ابن الابار، الحلة، ج1، ص268: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص178 - 179ك ابن عذاري المراكشي، البيان، ج1، ص259 - 261.

عبد الرحمن الناصر شقيق الخليفة الحكم الثاني خشية من معارضته وتحريضه على ابن اخيه الخليفة هشام الثاني[1]. كما سعى محمد بن ابي عامر على التخلص من الوزير أبي تمام غالب الناصري، صاحب مدينة سالم قاعدة الثغر الاعلى وشيخ الموالي وفارس الأندلس وعمه (والد زوجته اسماء)[2].

أكد على الجهاد وجهز حملة عسكرية في السنة نفسها التي توفي فيها الخليفة الحكم الثاني وبداية حكم الخليفة هشام الثاني وعند اعتلائه منصب الحجابة ولا حملة إلى حصن الحاقة في ارض جليقية، فحاصروه واخذ ربضة وغنم وسبى وقفل بالسبي والغنائم إلى قرطبة إلى 53 يوما، معطم السرور به واخلص الجند له، لما روي أن كثرة جوده، وكرم عشيرته، وسعي فائدته، فأحبوه والتقوا به، وكثرة إحسانه اليهم، وافضالهم عليهم"[3].

علما أن جليقية قد استعصت على الامراء والخلفاء ومن فتحها بأسباب فيها بعدها، وعرة ارضها، وقسوة مناخها، ومناعتها، ومساندة الممالك الأسبانية والكنيسية لها، ونجح حاجب المنصور بالحملة عليها والتي تكللت بالنصر المبين وكسب بها السمعة والشهرة العسكرية التي خلدته كقائد عظيم وسياسي بارز ومحنك أنجبته الأندلس لهذه الظروف والمحن والمصائب بتولي الخليفة الصغير والقاصر سياسيا وعسكريا. تحدث المؤرخ المجهول عن الحملة العسكرية الاولى للحاجب المنصور موضحا بنصه: "... تقدم الناس من الثغور يشكون ما حل بهم فقره على المنصور بن ابي عامر وعرض نفسه على جعفر المصحفي ليجاهد العدو بنفسه ووعد من نفسه الاستقلال بأمر العدو والقائم بحروبه على أن يختار الجند

(1) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، ج3، ص41: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج261، 2: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص65.

(2) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص44: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص267: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص61: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص179.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص264: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص44: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص186: العذري، ترصيع، ص74.

ويجهز معه العساكر ويعطيه مائة الف دينار للنفقة على الجند فأعطوه ما أراد من المال وجهز معه من الجيوش ما شاء فتوجه إلى غزوا جليقية وهي اول غزواته ففتح فيها فتوحات عظيمة "[1].

حاول الحاجب المنصور العامري كسب ود الفقهاء وعامة رجال الدين ورضاهم وتقريبهم من خلافة قرطبة واعترافهم بالحكم الجديد، فعمل على إحراق وإتلاف كتب الفلسفة التي تعارض فيها تعاليم الدين الإسلامي التي ظهرت في عهد الحكم الثاني "وكان المنصور اشد الناس في التغير على من علم عنده شيئاً من الفلسفة والجدل في الاعتقاد والتكلم في شيء من قضايا النجوم وادلاتها والاستخفاف بشيء من امور الشريعة، واحراق ما كان فيها خزائن الحكم من كتب الدهرية والفلاسفة، بمحضر كبار العلماء منهم الاصيلي وابن ذكران والزبيدي وغيرهم واستولى على حرق جميعها بيده "[2].

2. سعى الحاجب المنصور العامري إلى عزل الخليفة هشام الثاني بعد تجريده كليا من السلطة، واخذ يتصرف شخصيا بعزل وتنصيب من يشاء كما أورد لنا ابن عذاري المراكشي بقوله: " الفرد بشأنه، ورمى الغرض الا بعد من ضبط السلطان والحجر عليه والاستبداد بالمملكة وامور الدولة، جرى في ذلك مجرد المنقلبين على سلطان بني العباس بالمشرق من امراء الديلم"[3]. واصبح الخليفة هشام الثاني في حالة عزلة تامة عن الرعية، كما جاء بالخبر "واقام الخليفة هشام مهجور الفناء، مجحور الغناء، خفي الذكر، عليل الفكر، مسدود الباب، محجوب الشخص عن الاحباب، لا يرى حاصراً ولا عاماً، ولا يخاف له بأس ولا يرجى منه إنعام ولا يعهد منه الا الاسم السلطاني في السكة والدعوة"[4].

3. عمل الحاجب المنصور العامري على تنصيب أقاربه وأصدقائه في

---

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص176: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص264.
(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص292 - 293.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص273: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، ج1، ج3، ص43.
(4) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص276 - 280.

الوظائف المهمة في الأندلس فعين ابن عمه (عمر بن عبد اللـه بن ابي عامر) بوظيفة صاحب المدينة، كما عين أصدقائه على السوق والقضاء[1]. ومساندتهم ودعمهم لسياسته، ولثقة الحاجب بهم.

اتبع حاجب المنصور العامري سياسة صارمة مع المخالفين لتعاليم الإسلام وخيانتهم للأندلس، فكان لا يرحم في انزال اشد العقوبات بهم التي تصل إلى الموت، وقد امر بقتل ابنه عبد اللـه بن المنصور بسبب خيانته والتحاقه بالعدو إذ "فر عبد اللـه بن المنصور من العسكر في ستة نفر من غلمانه، فلحق بعدو اللـه غرسية بن غرولند صاحب، فقبله واجره على ابيه، فتحرك المنصور بغزو غرسيه ومطالبته بتسليم ابنه إليه... فضرب عنقه صبرا عند غروب الشمس.. سنة 380 وأنفذ المنصور رأس ابنه إلى الخليفة مع كتاب الفتح، ودفن جسده في الموضع الذي قتل فيه وكان سنه يوم قتل 23 سنة، وذلك في غزوته خمس واربعين "[2]. كما امر الحاجب بقتل جندي بسبب مخالفته للتعليمات العسكرية عند قيام الحاجب في التفتيش واستعراض جنده قبل خروجه للغزوة خلال العرض العسكري (بالأسبانية alarde) حيث شهر ذلك الجندي سيفه من غمده بدون سبب وعذر مشروع ومقبول خوفاً وإعجاباً ورهبة لمنزلة الحاجب ومقامه العسكري بين الجند "ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سنه بعض الجند بأقصى الميدان لهول اوجد ظن أن لاحظ المنصور لن ينال. فقال علي بشاهر السيف. فمثل بين يديه لوقته فقال: ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه إلا عن إذن؟ فقال: إني اشرت به إلى صاحبي مغمدا فانزلغ من غمده. فقال: إن مثل هذا لا يسوغ لدعوى. وامر به فضرب عنقه بسيفه، وطيف ونودي عليه بذنبه"[3]. كما امر الحاجب بن المنصور

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص78: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص226: النباهي المالقي، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (نشر بعنوان قضاة الأندلس(نشر المكتب التجاري، بيروت،، د. ت، ص81.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص284: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص75.

(3) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 84، ص86 - 87: المقري، نفح، ج1، ص19: نقلا عن الزهرات.

العامري بقتل عبد الرحمن بن مطرف صاحب مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الاعلى الأندلسي، وذلك لمحاولته الفاشلة بالتآمر على الحاجب المنصور وتحريض ابنه عبد الملك بن المنصور وتشجيعه على الهرب إلى مملكة قشتالة "لما فكر عبد الرحمن في شأن من أتلفه ابن ابي عامر من كبار رجال الدولة، علم أنه لم يبق غيره، وخشي أن يلحق بالجماعة، فسول له القدر المتاح التدبير على محمد وقلب عليه فأخذه ولده عبد الله بن المنصور"[1].

اما السياسة العسكرية التي جاء بها الحاجب المنصور العامري في فتح باب التطوع بالجيش الأندلسي وإصدار العفو للرعية لمن لا يرغب العمل والمشاركة والخلفة في حملات الجهاد على الممالك الأسبانية مصمما على كسب النوعية الفريدة الجيدة المخلصة الراغبة في القتال من اجل الإسلام على الكثرة وذلك ضمن خطة لإصلاح الجيش الأندلسي وتطويره لتنفيذ مشروعه الحربي في التحرير والتأديب لمعارضين والحاقدين والمعتدين على حدود بلد الأندلس في الشمال الأسباني وفي "سنة 388، صدر الامر من المنصور باعفاء الناس من اجبارهم على الغزو استغنى بعدد الجيش واستظهار باصيل العز، واسمعهم الخطباء، وذلك باثر قراءة كتب الفتح، وعزمهم بأن من يتطوع خير، فهو خير، ومن خف اليه، فمبرور ومأجور، ومن تثاقل فمعذور، فتمت على الناس النعمة "[2]. كما ادخل الحاجب عناصر جديدة إلى الجيش الأندلسي من البربر والسودان المرتزقة وقد أطلقت عليهم المصادر لقب الرقاصة لطولهم وسيرهم بطريقة الراقص، والحاجب " كان يقول: إن زمامي يشتمل على عشرين الف مرتزق ما فيهم أسوأ حالا مني، وددت أن اقال زلتي وانا كبعض هؤلاء السودان الحاملين سريري، وكان تحمل سريره السودان الرقاصة للين مشيهم، وكان يتأذى بصنن ريحهم مع من كان حولهم من الطيب "[3]. اهتم الحاجب المنصور بمتابعة أوضاع الأمن العسكري وحرصه على

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص282 - 283.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص68.

(3) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص55. يستفاد من مقالة: ذنون، د. عبد الواحد

=

توفيره للأندلس بواسطة جهازه الخاص بالمخابرات أو العيون يعتمد عليهم في كل الأوقات ينقلون إليه الأخبار بدقة وفي الحال والسرعة الممكنة لهم وكانت للحاجب المنصور العامري في ايامه عيون بالليل والنهار، لا يقع من الامور حتى يعلم به حالا "[1].

جهاد(حروب) الحاجب المنصور العامري:

اتسمت حقبة حكم الحاجب المنصور العامري بالنشاط الحربي المتميز في كثرة الحملات الحربية التي تكللت بالنصر في الشمال الأسباني، ووصلت الأندلس إلى ذروة قوتها العسكرية من حيث العدة والتسليح والتطور والتنظيم وإعداد المتطوعين في الجيش الأندلسي بذل الحاجب المنصور جهوداً كبيرة في إصلاح الجيش الأندلسي وتنظيمه لتنفيذ خطة الحربية في التوسع ورد العدوان وإبراز شخصيته وطموحاته كرجل حرب قادر على تحدي المصاعب والازمات التي تواجه بلد الأندلس وقهر الممالك الأسبانية، ومن اجل كل ذلك أدخل إصلاحات وتنظيمات جديدة في الجيش ومن أبرزها وأهمها:

1 - تحسين نوعية الجند وادخال عناصر جديدة لوحداته العسكرية كالصقالية والبربر والرجال السودانيين (الرقاصة) وقد فسر لنا الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري في مذكراته عن دوافع الحاجب في تعدد عناصر بقوله:

وتوقع المنصور العامري من أجناده الانفاق إلى بعض ما يخل بدولته اذا كانوا صفاً واحداً، وتأديبهم على عدم معصية امره، متى امر بما احبوا وكرهوا، منظر في ذلك بعين اليقظة، وسول لهم رأيه أن تكون اجناده قبائل مختلفة وأشتاتا متفرقة"[2].

=

"تنظيمات الجيش في الدولة العربية في العصر الاموي "مقالة نشرت في كتاب دراسات في التاريخ الأندلسي، للمؤلف د. عبد الواحد ذنون طه، ط1، الموصل، 1987 (الصفحات 35 – 88) ص45 - 48.

(1) النباهي المالقي، المرقبة، ص80.

(2) الامير عبد الله بن بلقين، اخر ملوك بن زيري، كتاب التبيان (نشر بعنوان: مذكرات الامير عبد الله) تحقيق: ليبي بروفنسال، دار المعارف، مصر 1955م، ص16، له ترجمة فرنسية

=

2. ادخل الحاجب المنصور العامري نظام الفروسية المتطور في أساليب القتال واختيار الفرسان الشجعان كما حصل على اجود اصناف الخيول العربية "واستجلب من رؤساء البربر وحماتها وامجادها من بلغت فروسيته وشدته "[1].

كان الحاجب المنصور العامري مولعا بالخيل ومهتماً بتربيتها وتحسين اجناسها " وكان المنصور يزرع كل سنة الف الف "مليون" قداً من الشعير قصيلا لدوابه الخاص به، إذ أقدم في كل غزوة من غزواته لا يبخل على نفسه حتى يدعو صاحب الخيل، فيعلم ما مات منها وما عاش[2]. عمل الحاجب المنصور على ادخال كل جديد من التنظيمات إلى جيشه من اجل كسب الموقف وتحقيق النصر وقد امتدح سيرته الأمير عبد الله قائلا: "فسار المنصور بأحسن سيرة وأحمد طريقة وكانت له بلاد العدو فتاكات، نال الإسلام في ايامه عزاً ما كان بالأندلس مثله، واذل ما كان النصارى عليه "[3].

3. قدم الاهالي الأندلسيون الميسورين الدعم والاسناد والمال والضيافة المميزة لقطعات الجند في الحملات العسكرية المارة عبر اراضيهم تقديراً للدور الجهادي للمقاتلين، وذكر أن المنصور محمد بن ابي عامر وصل إلى مدينة مرسية باستضافة والي المدينة وجميع عسكره اياما، وصنع له فيما صنع حماما كان ماء الحمام من ماء الورد الطيب الغاية[4].

اهتم الحاجب المنصور بالإعلام الحربي المتمثل بالشعر والشعراء والحكايات الملحمية، وقد رافق الحاجب المنصور 40 شاعراً في حملته على برشلونة عام

=

وأسبانية قام بها اميليو كارثيه كومث: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص293"استبدال جند الأندلس بالبربر فأقام لنفسه جنداً احتظنهم باستضاعة واسترقهم بإحسانه ".

(1) الامير عبد الله، التبيان، ص16: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص70"وعامتهم فرسان البربر ".

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص98: ابن الخطيب الغرناطي، أعمال "أتباع المنصور" في حملته 35 (منتي مور(في 7 أيام 3 آلاف راس من جواد الخيل.

(3) الامير عبد الله بن بلقين، التبيان، ص155.

(4) العذري، ترصيع، ص15 (الخازن احمد بن عبد الرحمن المعروف بدحيم ابن مروان).

374هـ/984م، ومن أبرزهم الشاعر ابن دراج القسطلي وصاعد بن الحسن البغدادي اللغوي صاحب كتاب (الفصوص)[1]، قاد الحاجب المنصور سبعاً وخمسين حملة عسكرية على الممالك الأسبانية المتمردين في الداخل خلال مدة قاربت من 27 عاما من حكمه و"لم يهزم قط في غزاه منها، وكان منها مؤيدا منصوراً عند اسمه"[2].

أما أهداف الحملات الجهادية نوجزها بالنقاط الآتية:

1. تلبية لنداء وواجب الجهاد لنشر الإسلام.
2. الدفاع عن حدود الأندلس وثغوره.
3. تأديب الممالك الأسبانية والناكثة للعهود والمواثيق مع المسلمين في الأندلس.
4. تحقيق طموحات الحاجب المنصور بالتوسع وتحرير الاراضي وإبراز قوته الحربية.
5. الحصول على المكاسب الاقتصادية كنتيجة حتمية بعد الانتصارات العسكرية كالغنائم والجواري والخبرة.

السمات العامة للحملات:

امتازت سنوات حكم الحاجب المنصور العامري بالنشاط الجهادي المتميز والمستمر لتجهيز الحملات على مدار فصول السنة وتعرف بالمصطلح الحربي بالصائفة (بالأسبانية Aceifa) والشتائية والربيعية والخريفية وكانت الصائفة تفضل على غيرها من الحملات في الأندلس وذلك لانعدام الأمطار صيفا، جودة المناخ،

(1) ابن دراج القسطلي، ديوان، تحقيق: د. محمود علي مكي، ط2، مدريد، 1961، ص38.

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص185. أحصى الحملات برقم 57 حملة، اما ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص58 فأحصاها 57 حملة"واطرد له النصر العزيز في نحو 57 من الغزوات ". ابن الابار، الحلة، ج1، ص269 وغزواته في كل صائفة متصلة، أو زيد من خمسين، عدها ابن حيان القرطبي في كتابه الموضوع في اخبار الدولة العامرية. المراكشي، المعجب، ص60 (نفس نص ابن الابار).

طول ساعات النهار وضوح القمر والنجوم ليلا لاستدلال عليها في سير الحملة، خفة ما يلبسه المقاتل ويحمله من الكسوة. وعلى الرغم من الجهود العسكرية والاقتصادية والبشرية لكننا نرى أن عددا كبيراً من الحملات حدثت في الفصول الآخرة كما أحصاها لنا العذري[1] في 25 حملة أوردها في كتابه (ترصيع الأخبار) حسب الترتيب الزمني لها بالجدول الآتي:

أوقات فصول الحملات برواية العذري حسب الترتيب والترقيم واسم الحملة (10صوائف/8شواتي +3ربيعات+4خريفات).

اسم الصائفة	رقمها	اسم الشاتية	رقمها	اسم الربيعية	رقمها	اسم الخريفية	رقمها
مولى	2	الحمة	1	الغدر	8	سمورة الاولى	13
القابرة	4	سلمتقة	3	المعافرين	11	ليون الاولى	16
بطمشة الثانية	6	بطمشة الاولى	5	قلنبرية	25	شمنلقة الثانية	18
شنت دبق الاولى	7	المنية	9			قندبخشة	241
النصر	12	قنيلش	10				
الثلاث امم	15	طركوثة	14				
شنت	17	شقرفية	19				
مانكش	21	سمورة الثانية	20				
شنت بليق	22						
برشلونة	23						
المدائن							

2 - تكررت عددا

3 - من الحملات على بعض المناطق إما لخطورة المدينة أو تحريضها ودعمها للمتمردين وعدم التزامها بالعهود والمواثيق المبرمبة مع المسلمين، نذكر منها بالجدول أدناه حسب الترقيم والاسم الذي أورده المؤرخ الأندلسي المجهول[2].

(1) العذري، ترصيع، ص74 - 80.

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص186 - 194.

جدول حملات الحاجب المنصور المتكررة على الممالك الأسبانية حسب ترتيبها الزمني:

اسم الموقع للحملة التي قادها الحاجب المنصور العامري	تسلسل أو ترقيم
سمورة Zamora:	6، 141، 21و25و30.
شنت اشتبين San Esteban:	39و41.
بنبلونة Pamplona:	51، 54.
استورة Astorja:	31و47، 42.
قلمرية Coambra:	16، 17، 34.
شلمنقة Salamanca:	3و19، 49.
وفي داخل الأندلس: الجزيرة Algeciras:	8، 49.

4 - تباينت وتنوعت معلومات النصوص التاريخية في سرد المعلومات على زمن ومدة الحملة وعدد القتلى والأسرى والغنائم، وكثير ما تبالغ المصادر في ذكر الأرقام العالية للتأكيد على أهمية الحدث ونتائجه فمثلاً استغرقت حملة جربيرة (قشتالة) 109أيام[1]. ويذكر المؤرخ الأندلسي المجهول[2] عدد الاسرى والجواري التي حصل عليها المسلمون في 229'000 أسير في 11 حملة عسكرية وحصة الأسرى في الحملة 23 على برشلونة كان 70 ألف أسير من الأسبان. أما عن خسائر المسلمين فالمعلومات نادرة ومن الجدير ذكره أن في حملة 44 (غزوة بطريسة) فيها مات من عسكر المنصور 700 رجل عطشاً بسبب قطع مياه النهر عنهم من الاعداء[3].

مشاركة العلماء والفقهاء ورجال الدين في الحملات الجهادية وعملوا على تقديم العون المادي والمعنوي وقد استشهد عدد كبير منهم في ساحات المعارك كما أوردت لنا المصادر الخاصة في علم الرجال نذكر منه القاضي ابن ذكوان الذي

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص72.

(2) ذكر بلاد الأندلس، ص168 - 194، ارقام الحملات (1، 5، 6، 17، 18، 23، 30، 36، 47، 53، 54).

(3) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص192.

قلده الحاجب المنصور العامري ولاية القضاء بالأندلس "قال عياض في مداركه: لن يتخلف عنه في غزوة من غزواته"[1].

امتازت حملات المنصور العامري بالتطور التقني الحربي في السلاح وفنون القتال واستخدام الاسطول البحري كما يظهر ذلك في حملته الحربية الصائفة رقمها 48 على جليقية عام 378هـ/997م والتي أشادت فيها المصادر بأهميتها في العدد والعدة والنتائج حيث استعصى على حكام الأندلس اقتحام جليقية لوعورته ومناعتها وقسوة مناخها وبعدها عن قرطبة كما اوردنا ذلك سابقا - وكان لدعم الكنيسة المسيحية ودعمها مملكة جليقية لأن فيها قبر القديس يعقوب (بالأسبانية شنت ياقوب Santiago de Compostela احد الحواري للسيد المسيح (عليه السلام) ويزور الكنيسة سنويا اعداد كبيرة من المسيحيين للحج، وقد تطرق ابن عذاري المراكشي عن المعركة بقوله: "وقد كان المنصور تقدم في إنشاء اسطول كبير في الموضوع المعروف بقصر ابي دانس من ساحل غرب الأندلس، وجهز برجاله البحريين وصفوف المترجلين وحمل الاقوات والاطعمة والعدد والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة، إلى أن خرج بموضع برتقال على نهر دوبرة، فدخل في النهر إلى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه، فعقد هناك من هذا الاسطول جسرا، يقرب الحصن الذي هناك، ووزع المنصور ما كان فيه من الميرة على الجند، فتوسعوا في التزود منه إلى ارض العدو، ثم نهض يريد شنت يعقوب فقطع الارضين متباعدة الاقطار، وقطع بالعبور عدة انهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر، ثم افضى العسكر إلى بسائط جليلة من بلاد في الطارش ومباسطية والدير وما يتصل، ثم افضى إلى جبل شامخ الوعر لا مسلك فيه، ولا طريق لمن تهتدي الادلاء إلى سواه، فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسيعه شعابه وتسهيل مسالكه، فقطعه العسكر وعبروا بعده... "[2]. استطاع الحاجب المنصور العامري أن يحقق

---

(1) النباهي، المرقبة، ص85.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص295 - 296: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص67 - 68: المقري، نفح، ج1، ص392 (يطابق نص ابن عذاري المراكشي).

نصراً كبيراً على جليقية التي كان لها معانٍ ودروسٌ في تحقيق غاياته وطموحاته متحدين كل المصاعب والمخاطر لإثبات قوته الحربية، عند وصول الجيش ونزوله بالمدينة "وقد فرض بها، وهي خالية فغنم ما بها، وكانت مصانعها آية من آيات الله في الإحكام والإتقان، وتركت وكأن لم تغن بالامس وامر بصون القبر ودفع الاذى عنه، ولم يجد بالكنيسة إلا رجلاً واحداً من شيوخ الرهبان جالسا عند القبر، فسأله عن مقامه: " اوونس ياقوب! " فامر بحفظه والكف عنه"[1]. تابع الحاجب المنصور العامري شخصيا الحملات وقدم النصائح والتوجيهات الحربية السديدة للمقاتلين مستفيدا من التوصيات العربية الإسلامية والحوداث التاريخية ففي حملته الحربية على جليقية أمر بالتعتيم وعدم إيقاد النار ليلا من أجل إيهام العدو كما اكد لنا النص الآتي: "وفي ليلة نهى ابن ابي عامر امر عن عدم وقود النار ليخفى العدو مكانه "[2]. استفاد الحاجب من توجيهات وزيره وصاحبه جعفر بن عثمان المصحفي وكان ينقله المنصور معه في غزواته"[3] في البحث عن أهل الشجاعة والبسالة في حملاته ويقال: " بينما المنصور بن ابي عامر في بعض غزواته إذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين في يديه ومن خلفه وعن يمينه ويساره قد ملؤوا السهل والجبل، فالتفت إلى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفي، فقال كيف ترى العسكر ايها الوزير؟ قال ابن المصحفي أرى جمعاً كثيراً وجيشا واسعاً، فقال المنصور لا يعجزنا أن يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص296 - 297: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص67 - 68: المقري، نفح، ج1، ص392: الحميري، الروض، ص115"وغزا شنت ياقوب عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر سنة 387، واوسع اهلها قتلا واشرا وقراها هدما واحراقا، ومن انشاء القسطلي رسالة إلى الخليفة هشام "ابن دراج القسطلي، ديوان، ص46.

(2) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4م1، ج3، ص49: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص271، نفح، ج1، ص90: ابن خاقان، مطمع الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: هدى شوكت بهنام، ط1، دار الغصون، بيروت1409هـ 1989م، ص20 (نفس النص الذي اورده ابن بسام وابن عذاري المراكشي).

(3) ابن خاقان، مطمع ص15، 20 (فلم تطل مدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله، ونقله معه في الغزوات واحتمله....).

والبسالة؟..."[1] وكان الحاجب يبحث عن النوعية الجديدة في القتال لا الكثرة وبهذه العقلية العسكرية حقق الحاجب المنصور العامري انتصاراته في حملاته الحربية.

نتائج حملات المنصور العامري:

(1) حققت انتصارات باهرة على العدو في الشمال الأسباني أكسبته شهرة وهيبة عسكرية في بلد الأندلس وخارجه.

اكسبت الانتصارات الساحقة الأندلس الحاجب المنصور احتراماً وتقديراً من الممالك الأسبانية التي تقربت الممالك بإرسال السفارات إلى قرطبة تطلب عقد المعاهدات والاتفاقيات والتقرب منه حيث حضر إلى قرطبة ملك نبارة Navarra سانجو كارثية الثاني اباركة Sancho Jarces II Abarca (حكم 970 - 995م) وقدم ابنته للحاجب المنصور الذي تزوجها واعتنقت الإسلام وسميت (عبدة) وأنجبت له عبد الرحمن شنجول ولقب سانجوا الصغير Sanchuelo نسبة إلى جده. وفي عام 383هـ/ 993م ارسل برمودوا الثاني Barmudo حاكم ليون Leon (حكم عام 982 - 999م) ابنته Teresa تريسا إلى الحاجب المنصور الذي قبلها كجارية له ثم أعتقها كي يتزوجها لكنها ظلت على مسيحيتها وترهبنت ملتجئة إلى احد أديرة ليون بعد وفاة زوجها الحاجب المنصور العامري عام 392هـ/1200م[2].

(2) الازدهار الاقتصادي الذي اصاب الأندلس وحصل عليه من كثرة جزية الغنائم السبي، يؤكد لنا ذلك ما اورده المؤرخ المراكشي بقوله: "وملأ الأندلس غنائم وسبي من بنات الروم واولادهم ونسائهم، وفي ايامه تغالى الناس بالأندلس

---

(1) الطرطوشي، سراج الملوك، طبعة المكتبة المحمودية، مصر، 1354هـ/1935م، ص331، 332 " رواية القاضي أبي الوليد الباجي تحدثت المراجع الأسبانية عن شخصية الحاجب المنصور العامري واعتبرته دكتاتورا عسكريا ومن تلك الروايات والمؤلفات: خفير سيمونيت، المنصور اسطورة عربية

Francisco Javier Simonet / Almanzor. un Leyeneda Arabez .Madrid 1986

عن طبعة قديمة بمدريد عام 1858.

(2) عنان، دولة الإسلام، ج2، ص583: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص247.

فيما يجهزونه بها بناتهم من الثياب والحلي والدور، وذلك لرخص أثمان بنات الروم... بلغني أنه نودي على ابنة عظيم من عظماء بقرطبة، وكانت ذات جمال رائع فلم تساوي اكثر من عشرين ديناراً عامرياً "[1]. ومن الطريف ذكره أن سوق تجارة الجواري اصبحت رائجة ايام الحاجب المنصور العامري جراء ما حصل عليه في حملاته من جاريات كأسرى حرب، حتى عكف عدداً كبيراً من الرجال عن الزواج، وقد حزن أهل الأندلس عند سماع خبر موت الحاجب المنصور العامري في معركة قلعة النسور عام 392هـ/1002م.

وتعالت الصيحات في اسواق قرطبة تنادي بخبر موت الحاجب قائلا: مات الجلاب مات الجلاب!! يقصدون بالذي يجلب الجواري.

سياسة الحاجب المنصور العامري في عدوة المغرب نوجزها بالنقاط الآتية:

1 - اتبع الحاجب المنصور العامري سياسة الخلفاء الأندلسيين في متابعة المغرب والحفاظ على مدن المناطق الساحلية التي سيطر عليها الخلفاء الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله وهي سبتة وطنجة ومليلة كدرع عسكري لحماية الأندلس من الهجمات البحرية من الفاطميين والطامعين بخيرات الأندلس.

2 - حرص الحاجب المنصور العامري على تقوية الاسطول الأندلسي وقاعدته الحربية بزيادة عدد قطعه وتطور سلاحه بالاضافة إلى اصلاح اسطول مدينة بجاية، حيث امر الحاجب بن رماحس صاحب بجاية بتجديد الاسطول من ناحية بجاية في البحر وقدر معه ما يحتاج اليه "[2].

3 - اتخذ الحاجب المنصور العامري مدينة الجزيرة الخضراء Algeciras كقاعدة عسكرية لمواجهة المخاطر والاشراف على العمليات الحربية في العدوة

---

(1) المراكشي، المعجب، ص61: ابن الاثير، الكامل، ج7، ص813 (احداث سنة 366). "وامتلأت بلاد الأندلس بالغنائم والرقيق " .

(2) مجهول، مفاخر البربر، ص18: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص234 - 240.

المغربية.

4 - اعتمد الحاجب المنصور العامري على عدد من القادة العسكريين البربر وزعمائهم ومنهم زيري بن عطية المغراوي ومنحه لقب وزير وقدم الدعم العسكري والمادي.

جهز الحاجب المنصور العامري الحملات العسكرية لردع المتمردين بالمغرب وتأكيد اهتمامه وضبطه للاراضي التابعة للأندلس منها حملته الثامنة عام 368هـ/978م. " قال ابن حيان خرج محمد بن ابي عامر من حضرة قرطبة بعساكره إلى الجزيرة الخضراء في اخر صفر من سنة 368هـ وهي الثامنة من غزواته، وضبط مجاز الأندلس على غير نحوها من اعداء الدولة ومقارعة من نجم بأرض المغرب"[1]. وقد رافق الحاجب المنصور العامري القائد جعفر بن علي المعروف بابن الأندلسي " وخرج معه جعفر بن علي ورجال الدولة وحمل معه مائة حمل من المال معدودة ومن العدد ما لا يحصى كثرة فأقام بجزيرة وجواز جعفر بن علي إلى سبتة في أتم القوة واظهر عدة فانضمت اليه ملوك زناتة"[2]. أما الحملة الثانية التي قام بها الحاجب المنصور العامري في المغرب في سنة 375هـ/ 985م لمحاربة المتمردين حسن بن كنون " فأنقذ محمد بن ابي عامر ابن عمه عبد الله عسكلاجة إلى الجزيرة الخضراء كيما يشارف القصبة على عادته وذلك في ربيع الاول سنة 375 هـ واخذ في تجويز الناس إلى العدوة "[3] وبهذه الحملة تم التخلص من ابن كنون وقتله.

حرص الحاجب المنصور العامري على اختيار خيرة قواده ووزرائه وتنصيبهم ممثلين عنه بالمغرب كما ورد بالنص " وقلد ابن ابي عامر المغرب الوزير حسن بن احمد بن عبد الله الودود السلمي وجمع اعماله له وقوى يده واكتفى عدده فنفذ اليه في سنة 376 فضبط البلاد لم يقدر إليه من قبله احد وهب البربر باسمه وامره وذل

(1) مجهول، مفاخر البربر، ص3.
(2) مجهول، مفاخر البربر، ص17.
(3) المصدر نفسه، ص20.

مدينة فاس بعد مد يده وجعل فيه مقدمه فعز هناك سلطانه وكثر جمعه وانضم اليه ملوك النواحي حتى تحذرا من ابي عامر منه"[1].

7 - حاول الحاجب المنصور العامري كسب ود زعماء البربر في المغرب ومنهم القائد زيري بن عطية المغراوي فاستجاب زيري لمحمد فوافي بابه قبل الثمانين وثلاثمائة تستمر العلاقة الطيبة بين القائد زيري بن عطية والحاجب المنصور العامري مدة طويلة على الرغم من الهدايا الثمينة التي بعثها زيري إلى قرطبة حيث نظمت عجائب وغرائب الحيوانات ففي سنة 386هـ/996م تمرد زيري مستغلاً سوءَ علاقة الحاجب بالخليفة هشام الثاني: فأخرج ابن ابي عامر كاتبه الاخص عيسى ابن سعيد اليحصبي إلى العدوة في جيش ضخم ضمه اليه وتلاه النظر في شأن زيري فسار اليها ورام استصلاح زيري فاستعصى عليه فأقام في وجهه بقية سنة 386"[2][3].

8 - سعى الحاجب المنصور العامري إلى تعيين كبار قادة الصقالبة في المغرب للاعتماد عليه كلياً في حرب زيري واستقدم ابن عامر غلامه واضح الصقلبي الكبير من مدينة سالم وكان أوثق غلمانه عنده فعقد له على كور المغرب وقلده حرب زيري وشرط إليه واضح انتخاب الجند فأجابه إلى ذلك فانتقى الحماة من سائر الطبقات وأزاح ابن أبي عامر على أصحابه بالعطاء والصلات ونفذ واضح بذلك العسكر فسلخ شوال المؤرخ وحمل مولاه أموالاً عظيمة وعدة واسعة وكسى جمه... فنزل واضح مدينة طنجة "[4]. فتقابل جيش الحاجب المنصور العامري بقيادة واضح وشعره الحربي "يا منصور" وجماعة زيري بن زاوي وشعارهم "هشام يا منصور"[5] ولم يحقق واضح النتائج الحربية المطلوبة مما دفع الحاجب المنصور

(1) مجهول، مفاخر البربر، ص21.
(2) المصدر نفسه، ص22: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص183 - 184.
(3) مجهول، مفاخر البربر، ص27، عن توتر العلاقة بين الحاجب المنصور والخليفة هشام الثاني انظر: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص52 (برواية ابن حيان القرطبي).
(4) مجهول، مفاخر البربر، ص28.
(5) مجهول، مفاخر البربر، ص29، يقصدون بذلك الخليفة الاموي هشام الثاني (المؤيد).

العامري إلى تجهيز حملة عسكرية تعرف بحملة الجزيرة (الخضراء) ورقمها 49 متوجها إلى الجنوب الأندلسي لمواجهة الخطر الزيري البربري في العدوة المغربية" وسار في جمع عظيم وعدد كاملة "[1]. كبد جيش الحاجب المنصور وألحق الهزائم بجيش زيري وقاد الجيش الأندلسي عبد الملك بن المنصور ومعه القائد واضح الصقلبي كما ذكر النص الآتي " واستولى عبد الملك على جميع ذلك وكان أثره في هذه الغزوة حميدا عظيماً مجمعاً على استغرابه والتحدث في البلاد عنه... ولم يعظم سرور ابن ابي عامر بشيء فتح عليه كعظيمة هذا الفتح"[2].

كانت اصلاحات الحاجب المنصور العامري بالإصلاحات العامة على الرغم من انشغاله بحملات الجهاد وضبط الامن والاستقرار والمحافظة على النفوذ السياسي والعسكري في المغرب، فقد شهد عصره اصلاحات وانجازات عمرانية تمثلت:

1. بناء **مدينة الزاهرة** بضواحي قرطبة وذلك عام 368هـ/978م أما دوافع تشييدها قد تعزو إلى:

أ- خشية من الجند الصقالبة في الزهراء.

ب - لعزل جنده البربر والسودانيين في الزهراء.

ج - لتجسيد اسمه.

د - للتوسع في دوائر سلطته.

ويؤكد لنا ذلك ابن عذاري المراكشي بقوله: " وذلك عندما استفحل امره. واتقد جمره، وظهر استبداده، وكثر حسده، وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان... وسما إلى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه، وبجله بأهله وذويه، ويضم اليه رياسته، ويتمم به تدبيره وسياسته، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه،

---

(1) المصدر نفسه، ص29 وعبر ابنه عبد الملك بن المنصور إلى العدوة المغربية ونحو طنجة والتحق بجيش واضح.

(2) المصدر نفسه، ص31.

فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة "[1] واستغرق بناء الزاهرة عامين من الزمن.

1 - تشييد القناطر والجسور على نهر الوادي الكبير بقرطبة منها قنطرة بناها عام 387هـ/997م استغرق العمل فيها عامين وكلفت مبالغ طائلة قدرت بمقدار 140 الف دينار، فعظمت بها المنفعة، وصارت صدرا في مناقبه الجليلة "[2]. كما بنى قنطرة على نهر شنيل Genil في مدينة استجة Ecija[3]، وسعى إلى الاهتمام بتسهيل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة للاستفادة منها في حملاته وتنقل الرعية[4].

2 - اهتم الحاجب المنصور بتعمير المسجد الجامع بقرطبة وتوسيعه وزيادته. " قال صاحب التاريخ: بنى المنصور جامع قرطبة وزاد فيه على ما كان بناه الخلفاء قبله نحو التصديق، ابتدأ بالبناء فيه في غرة رجب سنة 381هـ وصلى الناس فيه في رجب سنة 384 هـ فكان العمل فيه ثلاث سنين، وخدم في بنائه الاعلاج من وجوه فرسان الجلالقة والافرنجة يعملون مع الصناع مصفدين في الحديد إلى أن أكمل"[5] أما الحركة الفكرية فبذل فيها اهتماما بالغا وذلك بسبب حب المنصور للادب والثقافة وتذوقه لهما وممارسته لبعض اساليبهما، وصارت الثقافة والادب طبعاً وخلقاً من أخلاقه[6] على الرغم من كثرة غزواته حتى " كان له مجلس في كل اسبوع يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة بحضرته ما كان مقيماً بقرطبة "[7].

"وكان المنصور بن ابي عامر يدني الشعراء ويجزل صلاتهم فكان الشعراء يقصدون بابه ويمتدحونه فيعطيهم الجوائز السنية والصلات العظيمة، حتى انه لم

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص275.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص288.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه.
(5) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص182 ويصف المسجد وما يحتويه: 1407 سارية عمود، 235 ثرية، 35 باباً، 300سادن مؤذن وعامل.
(6) حازم عبد الله خضر، ابن شهيد الأندلسي (حياته وادبه)، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد 1984، ص14 - 15.
(7) المراكشي، المعجب، ص60.

يمدح قط احداً من الملوك ولا غيره يمثل ما مدح به من الاشعار والخطب والرسائل، وما صبر احد على اعطاء الصلات كصبره مع البربر لأهل الادب والاكرام لاهل العلم حتى فاق بذلك ملوك الارض وكان مع ذلك شعارا نبيلا"[1].

ومن الجدير ذكره أن الحاجب المنصور العامري كان يهتم بالقيم والتقاليد الإسلامية ومن ذلك: "أنه خط بيده مصحفاً كان يحمله معه في اسفاره، يدرس فيه ويتبرك به، ومن قوة رجائه، أنه احتفظ بجميع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده، فكان الخدم يخذونه عنه المناديل في كل منزل من منزاله، حتى اجتمع له من صرة ضخمة عهده بتصييره في حنوطه عند موته، وكان يحمله حيث ما سار مع أكفانه، وقع لحلول منيته، وقد كان اتخذ الاكفان من اطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن ابيه، وغزل بناته "[2].

خلد الحاجب المنصور العامري حياته بإنجازاته الجهادية وإصلاحاته العمرانية والثقافية ولخص الاستاذ عنان مدة حكم المنصور بقوله عنه: " لعل الإسلام في شبه الجزيرة الأسبانية، لم يظفر قط بمجاهد في بطولة المنصور، وتفانيه في الذود عن دينه، واعلاء كلمته، ولعل الأندلس لم تر قط مثل المنصور زعيماً أخلص في خدمتها، وكرّس جهوده ومواهبه في بناء قوتها وعظمتها، وسحق عدوها، وتحقيق أمنها ورخائها "[3].

مات الحاجب المنصور العامري عام 392هـ/1002م في حملته العسكرية في مدينة سالم قاعدة الثغر الأندلسي الاوسط ودفن فيها حسب وصيته اذا مات في

---

(1) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص177، ص175" وكان والده عبد الله طالب العم وروي الحديث: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، 17 سيرة ثقافية الحاجب المنصور ووالده: ابن الاثير، الكامل، ج7، ص813 (احداث سنة 366) "كما كان محبا لأهل العلم، عالما فقيها بالمذاهب، عالما بالانساب والتواريخ، جماعاً للكتب والعلماء مكرما لهم محسن اليهم".

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص288: ابن خاقان، مطمح، ص205: ابن الاثير، الكامل، ج7، ص217 - 218: المقري، نفح، ج1، ص385 - 386 النصوص الثلاثة متقاربة التشابه.

(3) عنان، دولة الإسلام، ج2، ص569.

ارض المعركة يدفن بنفس البقعة التي تنتقل بها روحه الزكية إلى السماء، فمات شهيداً مجاهداً في سبيل عزة الإسلام والمسلمين في الأندلس وقد عم الحزن والأسى والألم لفقدانه في داخل الأندلس في حين عمت الفرحة والبهجة والسرور في الشمال الأسباني النصراني وذلك لتخلصهم من حروبه وقوته الحربية ومطاردته لفلول الكفار والحادقين والمتربصين والخونة واعداء الحضارة الإسلامية والامن والاستقرار والرخاء الذي لم تشهده ارض الأندلس وأسبانيا من قبل وقد شاع خبر موته وانتشر بسرعة البرق عند الأسبان المتعصبين والحاقدين وظهر مثل شعبي على اثر وفاة الحاجب المنصور العامري يعبر عن سرورهم وفرحهم في الممالك الأسبانية النصرانية الشمالية عندهم يقول: " في قلعة النسور مات المنصور وأضاع طبلة "

وبالأسبانية En Calatanazor Murio Almanzor Y Perdio Su al - Tambar

ودفن المنصور في مدينة سالم وكتب على قبره الأبيات التالية[1]:

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيون تراه

تالله ما ملك الجزيرة مثله حقاً ولا قاد الجيوش سواه

الحاجب عبد الملك بن المنصور (المظفر) سياسته، حروبه:

تولى الحاجب عبد الملك بن المنصور السلطة في الأندلس بعد وفاة والده المنصور، وقد لقب "بالمظفر" و"سيف الدولة" من عام 392 - 399 هـ/ 1002 - 1009 م وقد اقره الخليفة الاموي هشام الثاني "المؤيد " وجدد له عهداً على عمل ابيه في الحجابة والقيادة والقيام بأمر المملكة وخلع عليه " امتدحت المصادر الأندلسية الحاجب المظفر ووصفته بالخصال العربية الإسلامية الحميدة، فمدحه منهم ابن حيان القرطبي بقوله: " انصبت منه الاقبال والتأييد على دولته انصبابا ما

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج2، ص301: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص195: المقري، نفح، ج1، ص375.

عهد إليه "[1].

سياسته:

نهج الحاجب المظفر سياسة ابيه المنصور العامري وأدخل عليها بعض التعديلات والاصلاحات لتمشية اوضاع الأندلس، ويمكن ايجاز تلك السياسة بالنقاط التالية:

1- سعى إلى تقريب الرعية إلى حكمه "وكان مما تقرب إلى قلوب الناس اسقاط سدس الجباية عن جميع البلاد "[2] كما اطلق سراح عدد من السجناء" فيطلق من يؤمن اصراره بالمسلمين ويرجى سواهم"[3] وبهذه الطريقة والاساليب التي تعامل بها الحاجب استطاع أن يكسب عدداً كبير من المؤيدين له ومنهم الفقهاء وعامة الناس حيث خفف عن كاهلهم الاقتصادي والاجتماعي.

2- معاقبة العصاة والمتمردين من الفتيان الصقالبة، وطرد وأخرج بعضا منهم إلى سبتة في العدوة المغربية بعيدا عن العاصمة قرطبة[4].

3- اعتمد الحاجب سياسة اعمار المناطق المفتوحة في الثغور الأندلسية كما اتبعها وسار عليها والده المنصور حيث اسكن المقاتلين فيها واتخذها قواعدَ أو ربطاً إسلامية، وتم رعاية المقاتلين المرابطين فيها وتوزيع الرواتب والصلات كما جاء بالنص الآتي: " وعهد الحاجب وقت الفتح إلى المسلمين ألا يحرقوا منزلاً ولا

---

(1) من الكتاب المتين لابن حيان القرطبي نقلا عن ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص84: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص195"وكان المظفر براً تقياً فاضلاً طاهراً نجيباً سليماً من العيب شجاعاً وكان له وسع عظيم ": ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج3، ص3".... مراقبا لربه باكيا على ذنبه محبا للصالحين يستهدي ادعيتهم ويجزل الثواب لمن دله عليهم، وكان يظهر العدل ويحمي الشرع ويرفق بالرعية" ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص59"واحبه الناس سرا وعلانية... وبلغت الأندلس في ايامه نهاية الجمال والكمال وسعى الحال".

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص84: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص59: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص3.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص86.

(4) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص59.

يهدموا بناء لما ذهب اليه من اسكان المسلمين فيه فشرع للوقت في اصلاحه ونادى في المسلمين من اراد الاثبات في الديوان بدينارين في الشهر على أن يستوطن في هذا الحصن فعل وله مع ذلك المنزل والمحراث فرغب في ذلك خلق عظيم واستقروا به في حينها"[1].

4- اتبع الحاجب المظفر سياسته الدهاء والحيلة والتودد مع ذلك العدوة المغربية التي اعتمدها والده، فقرب زعماء القبائل البربر من رفاقه ويقول عن ذلك ابن بسام الشنتريني بنصه: " وانهمك ايضاً في اصطناع البرابرة العدويين، ودعا القبائل منهم إلى الدول اليه والخلعة له"[2]. حاول المظفر من كسب قائد زناتة البربري المعز بن زيري بن عطية المغراوي الذي "كتاب المظفر ابن ابي عامر واستحذى له واناب من ذنوبه وتاب من خطاياه ورغب اليه أن يقلده بلاد المغرب فأجابه إلى ذلك على ايثاره من المال وعدة من الخيل واحمال من السلاح والدرق غير ذلك "[3].

5- عمل الحاجب على تقريب العلماء والادباء والشعراء إلى سلطانه واكرامهم واحترامهم للاستمتاع والاستفادة من نصائحهم ومقترحاتهم والتحلي بطرائفهم وأكرم الشعراء ليمدحونه في حملاته الجهادية كما اعتاد على ذلك والده، كما نقل لنا عن ذلك ابن بسام الشنتريني الخبر بقوله: " الا انه مع زهده في الادب تمسك بمن كان استخلصه ابوه من طبقات أهل المعرفة من خطيب وشاعر، ونديم وشطرنجي، ومعدل وتاريخي وغيرهم، حفظاً لضاع والده وقياماً برسومه فقررهم على مراتبهم ولم ينقصهم سوى الفوز بخصوصيته"[4].

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص7: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص249.
(2) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ج3، ص61: ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة، الزهرة 81، ص126 - 127، تحدث عن جواز زاوي بن زيري إلى الأندلس ايام الحاجب المظفر.
(3) مجهول، مفاخر البربر، ص39.
(4) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق4، م1، ص60: ابن عذاري المراكشي البيان، ج3، ص18.

جهاده وحروبه:

اهتم الحاجب المظفر بالحملات الجهادية واستمر على نهج أبيه في الشمال الأسباني، حيث شن سبع حملات عسكرية على الممالك الأسبانية، وقد لخص لنا ابن الخطيب الغرناطي عن جهاده بالعبارة التاريخية الآتية: "وله في الروم وسبيل الجهاد آثار كريمة: غزا سبع غزوات، منها إلى برجلونة (برشلونة) وبلاد الفرنجة، منها إلى بنبلونة، ومنها إلى غليسيه، ومنها غزوة الخريفية، ومنها غزوة قلونية، وارها التي مات قافلاً عنها "[1].

أبرز الملاحظات العامة على الحملات الجهادية:

الحملة الأولى عام 393 هـ 1002م لفتح حصن ممقصر قرب برشلونة (الثغر الأندلسي الأعلى) لخطورته وتمرده، ومما يلفت النظر اليه مشاركة أعداداً كبيرة من المتطوعين منهم من العدوة المغربية لأهمية الحملة، كما ذكر ابن حيان القرطبي: "وأظهر عبد الملك الجد في أمر هذه الغزوة غزوة رجب من السنة ودفع المعارف والصلات في طبقات الاجناد والغازين معه فيها لولا ووافت الحضرة لأول هذا الوقت طوائف كثيرة من مطوعة العدوة لمجاهدين للحسبة بينهم جماعة كبيرة من امرائهم وزعمائهم وعصابة كثيرة من فقهائهم يبغون مشاهدة هذه الغزوة المحيفل لها في هذه السنة فتسابقوا إلى الورود قبل حضورها بمدة "[2].

بذل الحاجب المظفر كل الاستعدادات العسكرية وصرف التجهيزات الحربية الدفاعية للمقاتلين "بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة على طبقات الاجناد الدارعين في جيشه"[3].

حاول الحاجب المظفر بكل الوسائل والطرق العمل على حث المقاتلين

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص87: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص13وردة تفاصيل عن الحملات نقلاً عن ابن حيان القرطبي.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص4.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص87: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص4 (رواية ابن حيان القرطبي).

المغاربة وتشجيعهم ودعمهم مادياً ومعنوياً فأطلق لهم عند تكاملهم ببابه نحو 15 الف دينار عيناً صلة لهم وزعها بحسب مقاديرهم معونة على جهادهم قبلوها منه بالتاول وتحرج "[1] وبذلك استطاع الحاجب المظفر أن يحقق النصر بفتح حصن ممقصر ويدمر 85 حصناً آخرين ودخل أرض برشلونة وكان لحملته نتائج هامة أكسبت الحاجب السمعة العسكرية والثقة والاحترام وأكرمه الخليفة هشام الثاني المؤيد على نجاحه بالحملة، كما أنشده الشاعر قصائد المديح ومنهم شاعر العامريين بالأندلس ابن دراج القسطلي[2].

أما حملته الثانية في عام 395هـ/ 1004م وكانت إلى جليقية وسمورة Galicia \ Zamora **وحملته الثالثة على بنبلونة Pamplona عام 396هـ/ 1005م** حيث واجهت فيها الجيش الأندلسي عوارض مناخية في الشمال الأسباني "من مطر شديد أصابهم ببرد كثير وبرق متتابع ورعد قاصف ارتاع به الناس جداً وتوالى البرق"[3]. ولم تحقق هذه الحملة نتائج مطلوبة بسبب الظروف المناخية القاسية كما لم يحل فيها على غنائم وسبي كبير مما ادى إلى انزعاج الرعية في قرطبة، كما جاء في الخبر التاريخي الآتي: " وكانت العامة بقرطبة ازرت بغزوة عبد الملك استقصاء سعيه بطرا بقدر النعمة وسابغ الطول والعافية وتولع نخاس الرقيق بكلمة تعريض وهي "مات الجلاب مات الجلاب " يعني المنصور حتى رفعت إلى الحاجب عبد الملك فأقلقته على سعة صدره وتقدم في زجر العامة عنها "[4] **الحملة الرابعة عام 369هـ/1006م** على وشقة Huesca وبربشتر Bobastro حيث حققت نتائج طيبة وعاد الحاجب منتصراً إلى قرطبة[5]، والحملة الخامسة عام 397هـ/1007م كانت على مملكة قشتالة Castilla انتصر فيها المسلمون وعرفت بغزوة النصر

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص4 (رواية ابن حيان القرطبي).
(2) ابن دراج القسطلي، الديوان، ص47 - 49: ابن عذاري المراكشي، البيبان، ج3، ص9.
(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص13.
(4) المصدر نفسه.
(5) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3،. ص13.

وغزوة قلونية[1].

وفي عام 398هـ/ 1007م شن الحاجب المظفر حملته السادسة على حصن شنت مرتين (Castillo De San Martin) وهاجمه المسلمين بوسائل متطورة، تؤكد على التقدم التقني الحربي الذي وصل اليه الأندلس في الحملات العسكرية بعهد الخلافة كما اكد لنا الخبر الآتي: " وغدا المظفر على حرب الحصن وارسل البنائين والنقابين مع عرفائهم لحفر السور المحدث وحمل حجارته من بين مناطق الخشب، ودأبوا في ذلك حتى اوسعوا الثلم ثم حشوه حطباً وصرجن بالقطران وأطلقوا فيه النار فاطرمت تحت السطح فاحرقته فجزع الكفرة لذلك ويئسوا من الحياة وندموا على وقوفهم بوجه عبد الملك والمسلمين[2].

وابتهاجاً بهذا النصر المبين الذي حققه الجيش الأندلسي بهذه الحملة على الاعداء، ثم امر الحاجب المظفر "بتوزيع سبيهم على أهل الرباط وفرسان الوفود "[3].

اما حملته السابعة والاخيرة المعروفة " بغزوة العلة" بسبب مرض وعلة اصابت الحاجب المظفر فحدثت عام 398هـ/1007م إلى الممالك الأسبانية لمواجهة الملك سانجو كارثية Sancho Garcia بالإضافة إلى تأديب المتمردين والعصاة في داخل الأندلس منهم طرفة الفتى الصقلبي وصديقه الكاتب عبد الملك بن ادريس الجزيري والوزير عيسى بن سعيد وهشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله بسبب ميلهم إلى المرائيين وعدائهم للعامريين وتأمرهم عليهم مستغلين انشغال الحاجب بالحملات الحربية[4].

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص14.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص22.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص23، أهل الرباط المقيمين بالثغور الأندلسية، اما الوفود فهم أهل العدوة المغربية المشتركين بالجهاد في الحملة المذكورة الأندلس.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص26 - 30.

الحاجب عبد الرحمن بن المنصور (شنجول) ونهاية الخلافة:

استلم الحاجب عبد الرحمن بن المنصور ويكنى بشنجول أو سانجويلو Sanchuelo بعد وفاة اخيه عبد الملك المظفر عام 399هـ/1009م وحصل شنجول على الالقاب السلطانية التشريفية بالقوة منها "الناصر " و"المامون" "والحاجب الاعلى المأمون ناصر الدولة " تقليداً بالخلفاء الأقوياء، والحقيقة والواقع يقول إن الحاجب شنجول لايستحق مثل هذه الالقاب الخلافية، وقد علق على ذلك مؤرخ أندلسي بروايته "وصار عبد الرحمن في أهل المملكة إلى قصره بالزاهرة يختال في ثوب الخلافة ويحسب أنها له لخلة وأنه مستحق لها وخليق بها "[1].

تولى الحاجب شنجول السلطة وعمره 25 سنة، ولم يكن بالحاكم المعهود واللائق لبلد الأندلس لسوء سلوكه وتصرفه، وضعف شخصيته وسمعته لكونه شاباً طائشاً ومغروراً وأحمقاً في تصرفه مع العامة من الرعية ويذكر عنه أنه افتتح شنجول حكمه بالخلاعة والمجانة فكان يخرج من قصر إلى قصر مع الخيالين والمغنين والمضحكين مجاهراً بالهوا والطرب[2].

يتحمل الحاجب شنجول المسؤولية الأولى والمباشرة لضعف وتدهور احوال الخلافة الأندلسية انهيار بعد أن وصلت إلى اوج قوتها وهيبتها وازدهارها ورونقها وبريقها الحضاري، وتطور اوضاعها السياسية والعسكرية والاقتصادية وازدهارها الحضاري الذي كان في عصر الناصر وابنه المستنصر بالله والحاجب المنصور العامري[3].

لم ينجح الحاجب شنجول من تدارك الموقف السياسي وانقاذ الأندلس من

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص93، نقلا عن المؤرخ ابن عون الله، انظر العبارة عند ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص46.

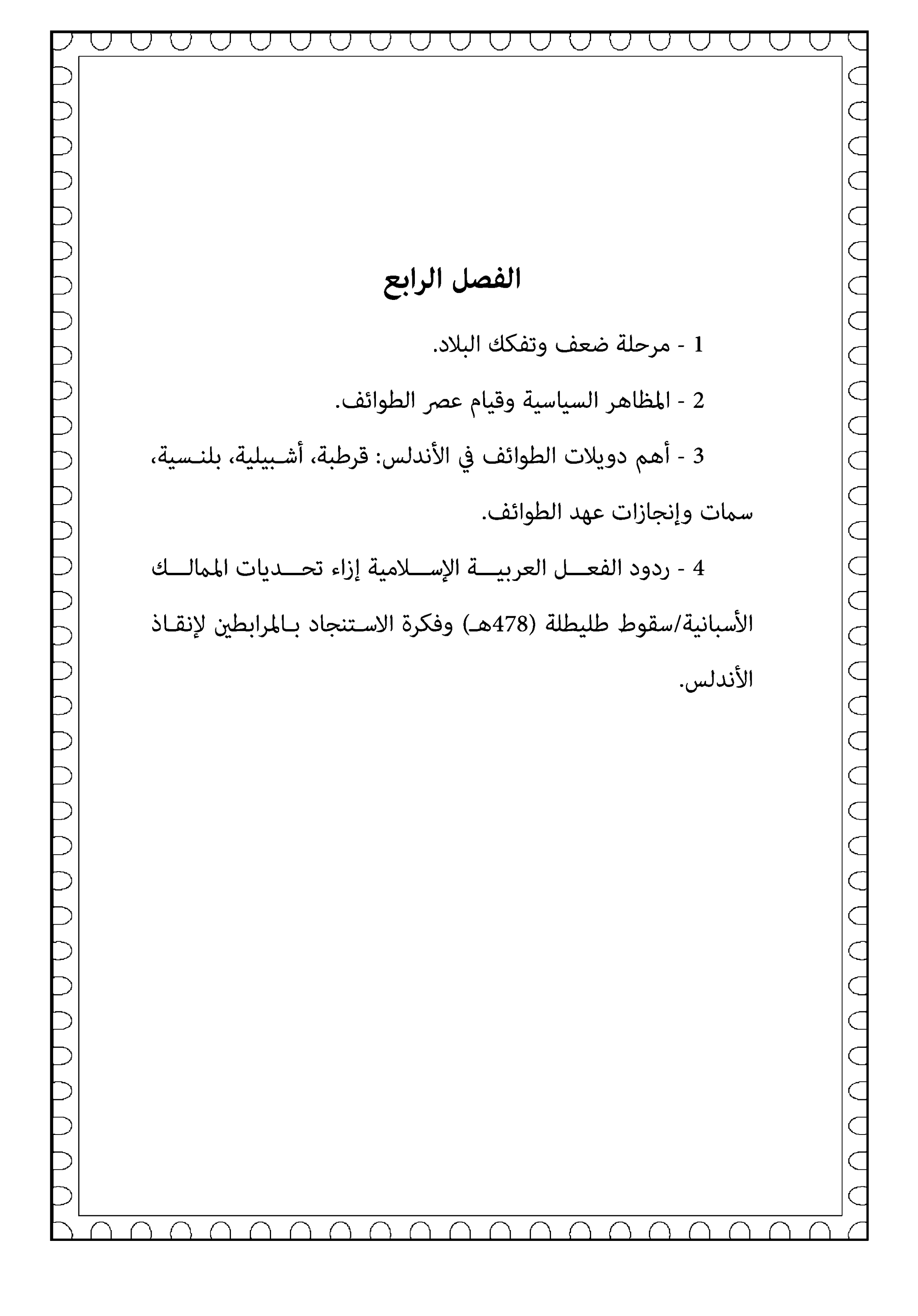
(2) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال، ص93 - 94. وانظر: ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص46 - 47.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص48.

المحنة السياسية والنقمة الشعبية التي اجتاحت اغلب مدن الأندلس التي قادها رجال الدين في عصره منتقدين سياسة الحاجب ومطالبين بالجهاد ضد اعداء الإسلام مما اضطر الحاجب إلى تلبية نداء الوضع والواجب الديني في السعي للقيام بحملة جهادية إلى جليقية ولكنها لم تحقق النتائج المطلوبة، وعادت الحملة الوحيدة واليتيمة بالفشل وزادت من تعقيد الاوضاع بعد 17 يوماً من انطلاقها من قرطبة حيث بقي مع الحاجب 50 فارساً بسبب فرار الآخرين من المعركة، وكان لفشل الحملة هذه اثر سلبي على تفجير الموقف السياسي والعسكري في الانذار وتوجه الانذار النهائي المعلن لنهاية عهد الخلافة والحجابة العامرية.

اما موقف الخليفة الأندلسي هشام الثاني من الاحداث بعد أن جرده الحاجب من صلاحيته وألقابه السلطانية، حيث لم يكتف الحاجب بذلك بل " ولى ابنه عبد العزيز خطة الحجابة مجموعة له بسيف الدولة لقب عنه المظفر فرسم هذا الطفل بالحجابة بقية مدة ابيه "[1]، واصبح الخليفة معزولا مهجوراً، مجردا من الالقاب مهموماً، متألما لما يرى ومتأسفاً لما حدث وجرى على يد شنجول في الأندلس.

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص94.



الفصل الرابع

1 - مرحلة ضعف وتفكك البلاد.

2 - المظاهر السياسية وقيام عصر الطوائف.

3 - أهم دويلات الطوائف في الأندلس: قرطبة، أشبيلية، بلنسية، سمات وإنجازات عهد الطوائف.

4 - ردود الفعل العربية الإسلامية إزاء تحديات الممالك الأسبانية/سقوط طليطلة (478هـ) وفكرة الاستنجاد بالمرابطين لإنقاذ الأندلس.

أسباب ضعف ونهاية الخلافة الأندلسية

نوجزها بما يأتي:

تسلط الحاجب شنجول على الخلافة وانتزاع الالقاب السلطانية وسرقتها بالقوة والاكراه من الخليفة الاموي هشام الثاني، حيث لا تليق تلك الالقاب التشريفية بسيرته وأفعاله وأعماله الفاشلة، مما أساء إلى مؤسسة الخلافة وجلب النقمة والحقد بيده على نفسه وشخصيته، فضلاً عن ظهور تيار رجال الدين المعادي والرافض لسلطته.

1 - ظهور التيار المرواني بعد وفاة الحاجب المنصور العامري الذي استغل الوضع وانتهز فرصة غياب القوة والتسلط لإصلاح النظام السياسي والعسكري والعودة إلى خلفاء بني امية من المروانيين، هذا ما شاهدناه في عهد الحاجب المظفر واستعادة نشاطهم بالكامل دون تقييد من الحجاب العامريين.

2 - ظهور الأحقاد السياسية الطامعة بالسلطة من زعماء ورؤساء متنفذين في مدن الأندلس والتفاف أعداد من الموالين والمؤيدين لهم والحاقدين على الحجاب العامريين، ومنحهم الوعود والآمال والنفوذ للرعية لكسبهم ضد السلطة.

3 - الإرهاق والمتاعب التي لحقت بالجيش الأندلسي من جراء الحملات العديدة التي شنها الحاجب المنصور العامري والتي أرهقت الميزانية الاقتصادية.

4 - كان للممالك الأسبانية دورٌ بارزٌ واثرٌ مهمٌّ في تدهور الأوضاع وضعف الخلافة لكثرة الاعتداءات الحربية على الثغور الأندلسية، وعدم التزام ملوك الأسبان بالعهود والاتفاقيات المعقودة مع حكام الأندلس فضلاً عن دور الممالك في التحريض على أعمال الشغب والفتنة في داخل الأندلس ودعم المتمردين وإسنادهم مادياً وعسكرياً - كما لاحظنا أثناء دراستنا في الفصل الخاص بالخلافة.

5 - سياسة القوة والبطش والعنف التي مارسها الحاجب المنصور العامري

وابنه المظفر مع كبار الموظفين في الخلافة والعمل على تصفيتهم مما جلب النقمة والغضب والحقد على الحجاب، حيث سارع الأحقاد من الموظفين للانضمام إلى أي تيار معادٍ ومخالف لتغير السلطة الأندلسية وما يصطبغ عليهم بفئة أرباب السلطة الناقمين والرافضين لحكم الحجاب.

6 - دور النساء في التدخل بشؤون السلطة والتحريض على التآمر على الحجاب العامريين كالسيدة صبح الأسبانية والذلفاء أم محمد المهدي التي اتهمت بقتل الحاجب المظفر وشنجول.

7 - كان للقبائل البربرية في الأندلس دور فعال في إثارة أعمال الشغب والفتنة في حكم الحاجب شنجول Sanchuelo تحت قيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي الذي نجح في كسب مئات متعددة من العامة الغاضبين والساخطين والمتسولين في تمرده وعصيانه، كما يؤكد لنا ذلك ابن عذاري المراكشي بقوله: " واقامة جنود من العامة المحشودة عرض بها أجناد السلطان أهل الدربة وتتكون وزراء جلة ونصيب إصدارهم تفتحهم العين هجنة وقماءة "[1] وقام هؤلاء الفئات بالقبض على شنجول Sanchuelo والاعتداء عليه والتمثيل به بأبشع صورة مضحكة ومؤلمة لا نستطيع وصفها[2].

كما تم تخريب وتدمير مدينة الزاهرة ونهب ثرواتها وبعدها تم تشكيل أول حكومة مؤقتة في الأندلس " وسر أهل قرطبة بولاية محمد بن هشام سروراً عظيماً وأحدثوا برحاب قرطبة وأرباضها ولائم وأعراساً وداموا على ذلك أياماً تباعاً ينتقلون من موضع إلى موضع بالمزامر والملاهي راجين تمام أملهم وانتظام أمرهم فأتاهم القدر بخلاف ذلكم وهلكوا عن آخرهم، فكان محمد بن هشام هذا أشهم

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص74 (رواية ابراهيم بن القاسم في كتابه)، مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، 200.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص74؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص200 فخرج اليه ابن عبد الجبار فقتله وصلبه عرياناً.

خليفة على وجه الدنيا "[1].

ويمكن وصف أحوال وأوضاع الأندلس وابرز الأحداث التي ظهرت في مرحلة ضعف وتفكك الأندلس وما يصطلح عليه (بالفتنة البربرية) بالنقاط الهامة الآتية:

1 - من المؤسف والمحزن والمؤلم جداً أن تقع الأندلس بعد ذلك الغر والمجد والرخاء لقمة سائغة بيد شرذمة من الضالين والحاقدين ترتكب الجرائم وتعبث بالنظام وتقوم بأعمال النهب والتخريب حيث نهبت " دوراً كثيرة بالرصافة لجماعة من البربر... "[2].

2 - ثم اقتحام دوائر الخلافة، حيث خربت ودمرت وفتحت ابواب السجون كما أكد لنا النص الآتي: " تداعت الفى ابن عبد الجبار كالسيول من السفلة والغوغاء، فقويت بهم نفسه، وجعل يحركهم على العامرية، ويخاطبهم بوجه قيامه واحتسابه، وبادر بكسر سجن العامرية، وفيه اللصوص والذعار وارباب الجرائم "[3].

3 - تم تخريب مدينة الزاهرة وتدميرها - كما ذكرنا ذلك آنفا - وقد أكد لنا النص الآتي: وانتهبت الزاهرة، فتقسمت الأيدي كل ما اشتملت عليه من مال مخزون وآلة ومتاع وعدد سلطانية. وفرش، وآنية حتى اقتلعت الأبواب الوثيقة والخشب الضخمة... وأطلق من حرم آل عام الحرائر، واصطفيت الإماء... وسوغ الناس أنقاضها، فبلغوا من تدمير تلك المدينة الجليلة ما لا يبلغه الدهور المتعاقبة

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص74 - 75؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص112 " سر أهل قرطبة بولاية المهدي سروراً عظيماً لا وافرطوا في اشحاذ الاعراس له بالرحبات والارباض، غافلين عما خبأ القدر لهم في ذلك من المكروه والذي اباد خضراءهم، والبسهم لباس الجوع والخوف، سنة الله في الرعية اذا بطرت، وملت العافية، ودانت بحب الادالة والقلق بالملوك والشره إلى الثورات ".

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص75؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص112.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص 112؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص150.

فأصبحت بلقعاً كان تعن بالأمس "[1].

4 - الاعتداء على الخليفة هشام الثاني الذي أصابه الذعر لما سمعه وتم وصفه له من خراب ودمار للأندلس في محنة كبرى وضائقة مؤلمة تبكي عليه كل النفوس لما أصاب الأندلس من بلاء الفتنة الحمقاء " وخاف هشام على نفسه وأهله لما رأى عجز من بالزاهرة عن نصره، وتحالف الناس عليه"[2].

5 - ارتكاب الفواحش والجرائم وأعمال التمثيل بالرعية وادعاء الباطل والكذب والرذيلة حيث اصطنع الخليفة المهدي حيلة مدبرة بموت الخليفة هشام الثاني ليكسب حكمه شريعة الخلافة، وذلك بواسطة القصة الملفقة هي أنه: "أخرج المؤيد هشام من قصره، وأسكنه ببعض دور الملك، وأحضر للناس رجلاً ميتاً شبيهاً به، وقيل إنه كان يهودياً أو نصرانياً، فعاينه الوزراء، وشهدوا بأنه هشام المؤيد من غير شك فيه، وقام بحق مواراته"[3].

6 - ظهور الانشقاقات السياسية فظهر منافس جديد للسلطة الأندلسية هو هشام بن سليمان بن الناصر وأخذ يحرض رؤساء قبائل البربر على المهدي مستغلاً دعم وإسناد العبيد العامرين وتأديهم فحاصروا قصر المهدي وهددوه مستفيدين من نقمة العامة على سياسته وسيرته السيئة السمعة " ولم يزل طول مدته مشتهراً بالفسق مظهراً للخلاعة لا يفيق من سكر ولا يرع عن مفكر بالنساء والصقالبة والملاهي"[4].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص111؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص200.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص110؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص77؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص200"دخل المهدي القصر فوجد هشاماً المؤيد جالساً في مجلسه فلما رآه قد دخل عليه خافه ولم يزد عليه امراً ولا كلمة ولا عاتبه على فعله فقال له: " يا امير المؤمنين اني قتلت بشيعتك وولاة عهدك الظلمة وقمت بحجابتك فاشهد لي بذلك " فبعث إلى الفقهاء والقضاة وقلده ما تقلد واشهد له بذلك ".

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص112؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص77 "برواية الرقيق القيرواني".

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص80؛ عنان، دول الطوائف، ط2، القاهرة، 1389هـ/ 1969م، ص20 - 26 حكومة الجماعة. محمد عبد الله عنان " حكومة الجماعة الأندلسية -

=

7 - تأزم الموقف واشتعلت نار الفتنة بين الثائر هشام بن سليمان بن الناصر والخليفة المهدي، وقام جند هشام " فأحرقوا سوق السرادق وعبروا القنطرة... واشتعلت الفتنة بقرطبة بين البربر والعامة وأمر بابن عبد الجبار المهدي " أخذ ينادي في الناس من أتى برأس بربري فله كذا فتسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه فلم يبق تاجر ولا جندي إلا عمل مجهوده في ذلكم ودخلوا على وسنار البرزالي وكان ممن له آثار جميلة في الجهاد فذبح على فراشه في داره، ودخلوا على رجل صالح فذبح في داره، ونهبت ديار البربر وهتك حريمهم وسبي نساؤهم وباعوهن في دار البنات وقتلوا النساء الحوامل وقتلوا 17 رجلاً من أهل تلمسان قدموا للغزو في ساعة واحدة.. "[1] من المؤسف والغريب أن يحدث كل ذلك بسبب المصالح الشخصية والأحقاد والصراع من أجل الوصول إلى كرسي الخلافة الذي أهانه هؤلاء المتصارعون من القادة والزعماء وضحوا بالنفوس والثروات وسمعة الأندلس، وكان المستفيد الفعلي من تلك الأحداث هم أعداء الإسلام. وبعد أن فشل هشام بن سليمان وقتل في نزاعه الحربي مع المهدي الذي تحرر معه أهل الربض الغربي من قرطبة، وتولى حركة التمرد والعصيان ابنه محمد بن هشام بن سليمان الذي أنقذ الموقف وأوقف نزف الدم بحق البربر " ثم نادى مناديه من أذى بربرياً أو تعرض له بعد كانت عقوبته السيف فكف الناس عنهم "[2].

8 - ومن أخطر الأحداث التي شهدها الأندلس هو استعانة القادة الثائرين والطامعين بالسلطة واتصالهم بحكام وملوك الممالك الأسبانية يطلبون من عددهم وعدد الله العون والمساعدة إلى إيصالهم إلى كرسي الخلافة، وهذا لما قام به

مثل فريد في نظم الحكم الإسلامي " مقالة في مجلة العربي، العدد 208 ربيع الاول 1396هـ/ مارس - اذار 1976 م، ص144 - 148 " حكومة الجماعة نخبة جديدة في الحكم " مكي، تاريخ الأندلس، ص102.

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص80 - 81.

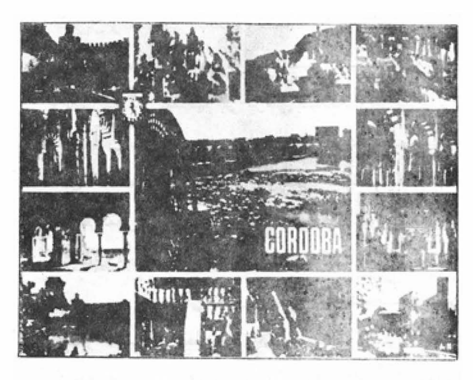
(2) المصدر نفسه، ج3، ص82.

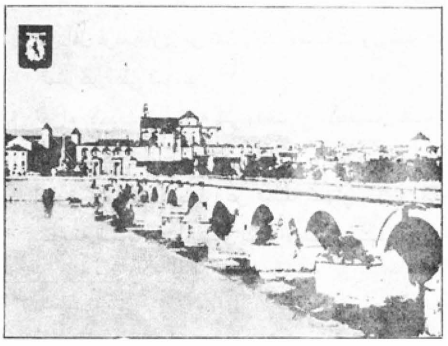
سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله عام 399هـ/ 1008م ويصور لنا ذلك الحدث المؤلم المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي بقوله: "ونهضوا به إلى شابخه بهن غرسيه بن فرذلنذ، وعاقدوه على أن يعين سليمان بن الحكم على دخول قرطبة، فتحرك معهم في عسكر عظيم من التصدي، واحتل قرطبة، وبرز إليهم المهدي فيمن معه، فهزمهم سليمان، وقتل النصارى يومئذ من أهل قرطبة أزيد من ثلاثين ألفاً. وكانت أول ثارات المشركين على المؤمنين"[1].

9 - جراء الأحداث المأساوية التي وقعت في الأندلس شعر الناس بالخطر يلوح في الأفق وأجراس وطبول الحرب تطرق أسماعهم، فانحرفوا عن الخليفة المهدي وسئموا من سياسته الدموية، علم المهدي بذلك الأمر وابتدع حيلة وخدعة سياسية جديدة تمثلت بإظهار الخليفة هشام الثاني بعد أن انتحل قصة موته أخرج من قبره حياً وسالماً، كما ورد بالنص "ولما عظم الأمر على ابن عبد الجبار، ورأى انحراف الناس عنه، بدأ له في أمر هشام المؤيد بالله المخلوع، وظن أن الناس يتعصبون له إذ رأوه، فأخرجه للناس، ورجا أن يستمسك الحال به، فلم يجد ذلك، وقد تمكن الداء، وأعضل المشتكي، ورأى إبراز هشام لم يغن"[2].

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص113؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص150، " فاستجاش بابن اذقونش ثم نهض في جموع البرابرة والنصرانية إلى قرطبة ".

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص113؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص150 - 151، مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص201 " أمر بإخراج هشام المؤيد من محبسه فأبرزه بعد دعائه أنه مات فظهر للناس كذبه وحمقه، فقال له البربر: " والله المحمود على سلامته وأما نحن فلا حاجة لنا في إمامته ولا نرضى بغير سليمان بن حكم المستعين ".





وعندما رأى أن خطبته فشلت حاول الاتصال بسليمان بن الحكم والتقرب اليه ولكن ذلك لم ينفع أيضاً أخيراً هرب المهدي واختفى فترة عن أنظار الناس.

10 - سقوط أعداد كبيرة من المسلمين ضحية العدوان والغدر والانتقام في هذه الفتنة حيث أحصاهم ابن خلدون بقواه: وهلك خيار الناس وائمة المساجد ومؤذنيها "[1].

11 - بعد هروب المهدي إلى طليطلة جمع له المؤيدين " فحشد الجيوش وأهل الثغور فاجتمع له 20 ألف من الفرسان فزحف بهم إلى قرطبة فخرج اليه سليمان المستعين في جموع البربر فالتقوا على أميال من قرطبة فاقتتلوا وهزم سليمان المستعين وقتل من البربر خلق كثير "[2].

(1) ابن خلدون، العبر، ج4، ص150؛ ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص200 " فهزم ابن عبد الجبار وقتل جمعه من غوغاء أهل قرطبة قدر ثلاثين الفاً " ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص90 " واحصى من قتل من أهل قرطبة فكانوا نحو من عشرة الاف ".

(2) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص201؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال. ص114

12 - ضرب المهدي حصاراً شديداً على محلة البربر بقرطبة بعد انتصاره على سليمان المستعين سنة 400هـ/ 1009م. ودخوله قرطبة بواسطة حاجبه قائد جنده واضح الفتى حيث " نادى منادي واضح في سائر الثغور من حمل شيئا من الطعام إلى محلة البربر فقد حل ماله ودمه فأقلموا 15 يوماً يعيشون بحشيش الأرض "[1].

13 - ومن الطريف ذكره أن النصارى الذين قاتلوا المهدي في قرطبة مع البربر طالبوه بدفع أجورهم لقاء مشاركتهم في القتال معه " وطلب الناس بمال يفرضونه لمن معه من النصارى وكانوا في تسعة آلاف"[2].

14 - عاد سليمان المستعين معه البربر ثانية لينتصر على المهدي الذي تحصن بمدينة الزهراء " دخل المستعين قرطبة وقتل من أهلها خلقاً لا تحصى وأخرج هشاماً للمؤيدين من القصر "[3].

15 - بعد الأحداث الدموية التي شهدها بالأندلس، واستقرار الأمور بيد سليمان المستعين وهو سليمان بن حكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ولقب بالمستعين بالله واستخلف الأندلس مرتين، ومدة الأولى 7 أشهر والثانية 3 سنين و3 أشهر ونصف، وأصبح وزيره زاوي بن زيري الصهناجي، أصبحت الأندلس في ضائقة وأزمة مالية، يصفها ابن الخطيب الغرناطي بقلمه الرفيع فيقول: "واضطر السلطان إلى المال، فأخرج ما في قصره من حلي ثمينةٍ، وذخيرةِ وآنية فضة وذهب وثوب ومتاع ، حتى الكتب والخزن والمواعين والفرن ، وحتى الادوية صينية والعقاقير المجلوبة ، وذكر ارباب التاريخ من ذلك اموراً تجدد الفجعة وتبعث الحسرة لمن يغن ذلك من شيء لعياث الايدي فيه وامتياز ايدي العوام به وشره أهل الجاه والتمكن إليه"[4].

16 - ومن ثم المظاهر السياسية لقيام عصر الطوائف حيث انتهت الخلافة

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص86.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص115.

(3) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص203؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص116 - 117.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص117 - 118.

الأموية بالأندلس بعد موت هشام الثاني المؤيد ومحاصرة علي بن حمود لمدينة قرطبة وقتل سليمان بن الحكم لمستعين وأهله، واستيلاء المحموديين على قرطبة وهم من بني هاشم وينتسبون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعرفت بالدولة الحسنية الحمودية بالأندلس[1]. وعندما تولى علي بن حمود حكم قرطبة " ولما صارت الخلافة له قهر البرابرة "[2] وحصل ابن حمود على لقب "الناصر لدين الله"[3] من الألقاب السلطانية الفخمة والدينية المجلبة للمسلمين منافسا بها الخلفاء السابقين من بني أمية بالأندلس، وتولى الخلافة بقرطبة بعد مقتل علي بن حمود وأخيه القاسم من صقالبته. واستمر حكم بني حمود بقرطبة زهاء سبع سنين ونصف السنة.

أشبيلية:

من مدن الأندلس المهمة التي دخلها المسلمون بداية الفتح وأصبحت قاعدة وحاضرة الحكم الإسلامي قبل قرطبة حيث وصفها الحميري بقوله: " وهي مدينة قديمة أزلية، يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها أشبالي معناه "المدينة المنبسطة. وهي كبيرة لها أسوار حصينة، وأسواقها عابرة، وخلقها كثير، وأهلها مياسير"[4] وذكرها الجغرافي الزهري بنصه: عروس مدائن الأندلس وهي مدينة أشبيلية، وإنما قيل لها عروس مدن الأندلس لأن عليها تاج الشرف وسطها وعنقها سمط النهر الأعظم وليس في معمور الأرض أتم حسناً منه، وذلك لأنه يضاهي الدجلة والفرات والنيل ووادي الأردن بالشام في الحسن والجمال، وأهل أشبيلية فيهم حلاوة وظرف ورقاعة ووقاحة وبراعة "[5].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص129؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص121.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص128؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص122.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص129؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص206 (خبر موت ابن حمود).

(4) الحميري، الروض، ترجمة رقم 14، ص18 - 19؛ ابن غالب، فرحة الانفس، ص23 " كانت قاعدة من قواعد العجم اتخذت دار مملكة ".

(5) الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، نشر في منشورات الدراسات

=

حكم بنو عباد دويلة أشبيلية التي تعد من أهم دويلات الطوائف من حيث المكانة السياسية والعسكرية بالأندلس ولعبت دورا بارزا في دعم بلد الأندلس وإسناده وحمايته من الأعداء ومنحه العناية والمحافظة من أجل الوجود العربي الإسلامي.

ينتسب بنو عباد حكام أشبيلية إلى أصول عربية من لخم وجدهم عطاف وهو الداخل مع بلج بن بشر القشيري إلى بلد الأندلس وكان مؤسس إمارتهم وزعيم الأسرة أبو الوليد أسماعيل بن محمد ويكنى بذي الوزارتين[1] تكريماً للمناصب التي شغلها في القضاء والسياسة في أشبيلية.

أما ابرز الأحداث التي شهدتها أشبيلية في ظل حكم بني عباد نوجزها بما يأتي:

نجح إسماعيل بن عباد الذي عين قاضياً على أشبيلية من خليفة دويلة قرطبة القاسم بن حمود المستعلي، وقد سعى إسماعيل بفضل سياسته وطموحه بالاستقلال وإنقاذ أشبيلية من الحموديين وبدعم وتأييد إسناد تحقق له ما كان يصبو إليه، كما يذكر لنا ذلك ابن الخطيب الغرناطي بقوله: " وجرت له في تدبير تلك الأحوال أمور شهيرة، إلى أن خلص سابقته وأجمع أهل عمله على طاعته، فدانوا له، وسلك سيرة أصحاب الممالك بالأندلس، وأقبل لأول وقته يضم الرجال ويشتري العبيد، والجدّ يساعده، والامور تنقاد له، إلى أن استولى على الأمد، وبنى قواعد سلطانه سامية العمد "[2]. نجح إسماعيل بن عباد في الاستقلال بحكم دويلة

=

المشرقية، المعهد الفرنسي بدمشق، العدد 21، دمشق 1968، ص88.

للمزيد من المعلومات العامة عن اشبيلية ينظر في الدراسة القيمة التي قام بها المستشرق الأسباني خاثينتوبوش بيلا، اشبيلية الإسلامية ونشر بالأسبانية بعنوان:

Jacinto Bosch Vila. La Sevilla Islamica 712-1248.Sevilla – 1984.pp.416.

ونظر: د. محمد بن عبود، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول.

الطوائف (نال الكتاب جائزة المغرب عام 1983) تطوان 1983، صفحاته 332.

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص53؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص195.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص153.

أشبيلية بعد إرضاء الخليفة الحمودي بامتيازات منها ذكره في الخطبة ومنحه المال كما منحه سلطته الشرعية بتجديد بيعة الخليفة الأموي هشام ثاني المؤيد، مدعياً أنه لا يزال حياً مستقلاً إظهاره في رجل سقاء شديد الشبه بالخليفة هشام[1] في مدينة المرية عام 426هـ/ 1034م مطالباً حكم دويلات المدن للاعتراف به ولتجديد البيعة للخليفة هشام الثاني المزعوم. استطاع ابن عباد أن يرسخ دعائم حكمه وتوطيده بشكل متين، وقد ساهمت اعماله واجراءاته كقائد وسياسي محنك في حصوله على السلطة والمحافظة عليها خلال الاعوام 414هـ - 433هـ/ 1023 - 1041م[2].

1 - اتخذ عباد بن محمد عباد الذي حكم أشبيلية خلال الاعوام 433هـ - 461هـ/ 1041 - 1068م القاباً سلطانية تشريفية كبيرة المعاني والاصداء الدينية والسياسية مثل " فجر الدولة " و" المعتضد بالله" كما امتاز حكمه بالعنف وحبه للمظاهر في ارتداء الملابس وبناء القصور واقتناء الجواري ليظهر سلطته ويميز شخصيته، كما اكد لنا النص الآتي " لم يقصر عباد في دولته التي مهدها فوق اطراف الأسنة وصير اكثر شغله فيها شن الحروب، وكبار الملوك واحراج البلاد، واحراز البلاد، في توفير حظه الاوفى من الامور الملوكية، والعدد السلطانية، والآلات الرئاسية، فابتنى القصور السامية، واعتمر العمارات المغلة، واكتسب الملابس الفاخرة، وغالى في الاعلاق السنية، وارتبط الخيل السابحة، واقتنى الغلمان الروقة... "[3].

2 - ظهور الازدهار الفكري والابداع السياسي والعسكري في خلافة المعتمد محمد بن عباد وطيلة فترة حكمه من عام 461 - 484هـ - 1068 - 1091م. امتدحت المصادر الأندلسية سياسة المعتمد بن عباد في السيطرة على عدد من

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص154؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص197 (برواية ابن حيان القرطبي).

(2) ابن عبود، التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية، ص55.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص156؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص204 - 208؛ ابن عبود، التاريخ السياسي، ص56. ص63 (اتخاذ المعتضد للعنف سلاحاً).

المدن الأندلسية وانقاذها من السقوط والانهيار بيد ملوك الأسبان الذين سارعوا بشتى الطرق، لابتلاع عدد من مدن الأندلس بدعم واسناد من بعض المتنفذين في مدن الأندلس طمعاً بالمال أو بالجاه، ومن الثورات التي اخمدها الخليفة المعتمد بن عباد في مرسيه تمرد قام به وزيره ابن عماد، حيث اتبع المعتمد الدهاء ومنح المال في مواجهة ذلك التمرد، كما صور لنا ذلك الأمير عبد الله في " مذكراته بقوله " وصار ابن عمار في حيز الخلاف على المعتمد، وجعله يطلب مرسيه، واعتراه عليها مشقات ونفقات اموال، وجرى من اسر ابن المعتمد عليها ما قد شهر، وطال مكثه على مرسية، يحزب عليها الاحزاب وينفق الاموال، يرى سلطانه أن السعي له، وهو في الباطن يجد لنفسه لكي يتخذها معقلاً يرأس فيه "[1]. بذل المعتمد جهوداً سياسية وعسكرية للتخلص من سيطرة بني حمود حكام قرطبة بعد حكم دام ستاً وعشرين سنة ونصف، حيث نجح المتعمد في ضم قرطبة إلى دويلة أشبيلية عام 462هـ/ 1069م، كما وضح لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي عن ذلكم بروايته: " وكان شجاعاً مقداماً، حسن السيرة رفيقاً بالرعية، وسمت به همته إلى تملك قرطبة، فدخلت في امره حسبما وقع الالماع به عند ذكر بني جهور، ووصل إليها، فأنس اهلها، وبث المعروف فيها، واحسن السيرة في اهلها فسروا بايالته "[2] امتنع الخليفة المعتمد بن عباد اداء الضريبة إلى ملك قشتالة التي اعتاد دفعها ملوك الطوائف بالأندلس ترضية لهم وقد اعتبرها أهل الأندلس نوعاً من الاذلال والخضوع إلى ملوك الأسبان النصارى كما ورد بذلك النص التالي " إلى أن ناله ضيم من صاحب قشتالة اذفونش بن فرذلاند في شأن الضريبة التي كان تؤديها اليه ملوك الأندلس "[3]. كما قام الخليفة المعتمد بن عباد بقتل الجابي أو المحصل اليهودي للضريبة واصحابه مما أغاظه حاكم قشتالة لذلك الموقف وعده تمرداً على

(1) الامير، عبد الله، مذكرات (التبيان)، ص79.
(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص157 - 158 - 159 " وخاطب أهل قرطبة، المعتمد فأقبل اليهم، وقاموا بدعوته ".
(3) المصدر نفسه، ص159.

عدم دفع الضريبة وحدث جراء ذلك النزاع المسلح بين أشبيلية وقشتالة. ارتبط الخليفة المعتمد بن عباد بتحالف مع حاكم قشتالة الملك الفونسو السادس Alfonso VI وتورط كسابقيه من حكام الطوائف بالتحالف الذي ينص على تقديم العون والمساعدة مقابل مبلغ من المال تدفعه أشبيلية كضريبة سنوية إلى قشتالة - وتم الاتفاق بين المعتمد والفونسو السادس على اقتحام مملكة غرناطة بينهما حيث تكون قضية غرناطة من حصة المعتمد ويحصل كذلك ملك قشتالة الفونسو السادس على القلعة الحمراء وما فيها من ثروات والتي اغرت الملك على القيام بهجمات عسكرية على غرناطة لانتزاعها من حاكمها عبد الله بن بلقين[1]. إن أبرز ما يميز عهد المعتمد بن عباد هو ازدهار العلوم والشعر والأدب، وكان الخليفة المعتمد مولعاً بالشعر ومهتماً بالشعراء والأدباء، وكان ينظم الشعر، كما ذكر ابن الخطيب الغرناطي بقوله: " وكان زمن المعتمد بالأندلس مشهوراً بالراحات والآداب، وأيامه موصوفة باخضرار الجناب"[2]. استولى ملك قشتالة الفونسو السادس على مدينة طليطلة عام 478هـ/ 1085م فقد كان المتوكل ابن الأفطس حاكم بطليوس يدير حكم طليطلة (قاعدة الشعر الأندلسي الأوسط) بعد أن انتزعها

(1) الامير عبد الله بن بلقين، مذكرات (التبيان)، ص72 - 75.
جرت مباحثات بين الوزير الاشبيلي ابن عمار والملك الفونسو السادس حاكم قشتالة، حيث قدم الاول امتيازات للثاني كما ورد بالنص " فعاد ثانية إلى النصراني الفونش، وزين له امر غرناطة،... وأنه ضامن له اموال غرناطة لتصير اليه بأسرها أن يعاقده اذا تمكن من البلدة، أن يجعلها ملكه. وله ما لقي من اموالنا، والقى يده في الفونش، عازماً عليه في الاقبال أتليها، واعطى عل ذلك اموالاً جسيمة، ووعده بخمسين الف مثقال، اذا تمت القضية، سيعطيها زائدة على ما يجد لمساعدته على السير " خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص225.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص162؛ ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1، ص390؛ ابن خاقان، مطمع، ص25 "ومعتمدهم كان اجود الاملاك، واحد نيرات تلك الافلاك. وهو القائل، وقد نشغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة المقاتل " المراكشي. المعجب، ص149 وصف المعتمد بقوله " ذكاء نفس وغزارة ادب، وكان شعره كأنه الحلل المنتشره، واجتمع له من الشعراء واهل الادب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس، وكان مقتصراً من العلوم على علم الادب ".

من يد يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر، وهو حفيد المأمون وقد استغل حاكم من قشتالة تلك الأوضاع العامة بطليطلة ناكثاً لكل الالتزامات والعهود والاتفاقيات المعقودة مع طليطلة وملوك الطوائف[1]. إن سقوط طليطلة بيد قشتالة يعد حدثا عظيماً وبداية الصراع العسكري العنيف بين الأندلس والممالك الأسبانية وإنذار لليقظة من السبات والخلافات والنزاعات بين دويلات الطوائف وأول من شعر بالموقف الخطير هو الخليفة المعتمد بن عباد الذي درس آثار ونتائج حدث سقوط طليطلة فأمر باستنفار كل الإمكانيات ووضع الترتيبات اللازمة والعمل على جمع الشمل وإزالة الفرقة والشقاق بين حكام الأندلس كما اجرى الاتصالات العاجلة مع الحريصين والمخلصين على سلامة الإسلام في الأندلس، لأن بلد الأندلس كان ملبداً بالغيوم السوداء التي تنذر بالعواصف السياسية والعسكرية كما ورد ذلك بالنص الآتي: " إلى ان استولى على طليطلة وما إليها سنة 478، وحسبك بها فجيعة وأعظم بها مصيبة أو ملوك الأندلس في غمرتهم ساهون، وعن عواقب الإسلام لاهون "[2]. اتخذ المعتمد ين عباد الموقف النهائي في إنقاذ الأندلس من المحنة العصبية بعد سقوط طليطلة بيد قشتالة وذلك بدعوة المرابطين حكام الصحراء بالمغرب لإنقاذ الموقف الخطير من الممالك الأسبانية، بعد أن استثار المعتمد عدداً من المهتمين بالأمر ومنهم ولي عهده ابنه الرشد الذي حاوره وحذر والده من دعوته للمرابطين بقوله: " حاول الأمر بجهدك مع النصراني، ولا تستعجل بإدخال من يسلبنا الملك ويشتت الشمل فالناس من علمت! ". فقال المعتمد: " يا ولدي لئن أموت راعياً بالمغرب خير عندي من أن أراد الأندلس دار كفر، فتكون اللعنة علي من المسلمين ابد الدهر! فقال: " يا أبت افعل ما أراك الله! "[3].

وتنقل لنا المصادر ردود الفعل الأندلسية جرا دعوة المرابطين للعبور إلى ارض الأندلس لمواجهة الخطر الأسباني النصراني منها ما أورده الحميري بقوله:

(1) الامير عبد الله، مذكرات (التبيان)، ص76 - 77.
(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص242.
(3) المصدر نفسه، ص245.

"وفشا في بلاد الأندلس خبر توقيع ابن عباد، وما أظهر من العزيمة على إجازة الصحراويين والاستظهار بهم على ابن فرذلند، فاستبشر الناس، وفتحت لهم أبواب الآمال، وانفرد ابن عباد بتدبير ما عزم عليه من ذلك، فمنهم من كتب إليه، ومنهم من شافهه كلهم يحذره سوء عاقبة ذلك، وقالوا له: الملك عقيم، والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد، فأجاباهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلاً: "رعي الجمال خير من رعي الخنازير"[1]. ونجح المعتمد بفكرته وخطته وأنقذ الأندلس من انهيار بيد الممالك الأسبانية، حيث امتدحته المصادر على فعلته وما قام به من جهود عظيمة تكللت بالنصر المبين في معركة الزلاقة عام 479هـ/ 1086م - كما سنوضح ذلك - بعد أن قام المعتمد من الاتصال بالمرابطين طالباً منهم انقاذ بلد الأندلس من الاعداء بقيادة الفونسو السادس حاكم قشتالة. وكان لأهل الأندلس دور بارز في انقاذ بلدهم ودعوة اخوانهم من أهل المغرب لنجدتهم" وفي سنة 474هـ وفد عليه (يوسف بن تاشفين) جماعة من أهل الأندلس، وشكو اليه ما حل بهم من اعدائهم فوعدهم بامدادهم، واعانتهم وصرفهم إلى اوطانهم "[2].

بلنسية :Valencia

من مدن شرق الأندلس وتقع على ساحل البحر المتوسط وبها مدن عظيمة وحصون قديمة... ولها أقاليم كثيرة متسعة، ومرساها من أعجب المراسي "[3].

---

(1) الحميري، الروض، ص85؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1967، ج4، ص115 ".
فأمر بعبور الجمال، فعبر منها ما اغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملاً، ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت اصواتها، وكانت تذعر منها وتقلق " خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ لعرب وحضاراتهم، ص226؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص392.

Bosch Vila. Sevilla. pp 126 – 128.

(2) مؤلف مجهول، كتاب الحلل الموشية، حققه: د. سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1399هـ/ 1979م، ص33.

(3) ابن غالب، ترصيع، ص16؛ الزهري، الجغرافية، ص102 " مدينة عظيمة قد أغلقتها الثمار والاشجار " الحميري، الروض، ص147 " وفي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلس ".

استولى على حكم بلنسية وإداراتها سياسياً وعسكرياً الفتيان العامريون، وهم من العبيد (الموالي) الصقالبة الذين خدموا الحاجب المنصور العامري وأبناءَه في الأندلس وانتهزوا فرصة انقراض الدولة العامرية للاستقلال في حكم مدن شرق الأندلس ومنها مرسية ودانية والمرية وغيرها ومنهم: الفتى خيران العامري الذي تزعم وقاد القالبة في خلافة هشام الثاني (المؤيد)[1]. والفتى زهير العامري " وكان خيران قد استقدمه، وهو أمير بمرسية من قبله، "وكان خير أن قد استقدمه، وهو أمير بمرسية من قبله، ورشحه لمكانه، ودامت مدته عشرة أعوام ونصفاً وله بالمرية آثار جميلة:

هو الذي بنى المسجد الجامع فيها "[2].

أما الفتى مجاهد العامري حكم دانية والجزائر الشرقية الجزيرة الكبرى والصغرى واليابسة وتعرف بالأسبانية ميورقة Mallorca، منورقة Minorca، ابيثا Ibiza " وقد أشادت المصادر بشخصيته العلمية والسياسية والعسكرية منها ما ورد بالنص " كان أبو الجيش مجاهد يباين الملوك في زمانه بخلال من الفضل، من اشفها العلم والمعرفة.. يكاد يربي على متقلديها من أكابر العلماء في وقته، لاسيما على العربية.. "[3].

تلقب مجاهد العامري بذي الوزارتين (القلم والسيف) كما كان يكنى بأبي

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص210 دولة بالمرية الاثار الخالدة، والحسنات الشهيرة، فهو الذي اوصل اليها الماء، وبلى الحمة العجيبة، وفي ايامه بلغت من العمارة والقوة وفشوا البضائع ما هو مشهور ".

(2) المصدر نفسه، ص216، توفي زهير العامري سنة 429هـ/ 1037م وحدث بينه وبين باديس بن حبوس حاكم غرناطة خلاف ونزاع حربي.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص217 - 218؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص156 - 157 ".

وكان ذا نباهة ورياسة زاد على نظراته من ملوك طوائف الأندلس بالانباء البديعة منها العام والمعرفة والادب وكان مع ذلك من أهل الشجاعة والتدبير والسياسة " وكان مجاهد هذا مناهل العفاف والعلم فقصده العلماء والفقهاء من المشرق والمغرب وألفوا له تواليف مفيدة في سائر العلوم فأجزل صلاتهم على ذلكم بآلاف الدنانير ".

الجيش، وقد برع بالفروسية وتحلى بمراسيمها وقوانينها العربية الإسلامية، كما اكد لنا ذلك ابن حيان القرطبي بقوله: " ومنها التقدم في الفروسية والحذق بمعانيها، فلم يـك في ملوك الزمان فارس يعدلـه شـكلاً ولباقـة ورؤيـة وهيبـة وحـسن عمـل في الـسلاح، وتقليباً له، إلى حذق بأبواب الثقافة والرماية، وتدقيق لمعانيها "[1].

تمكن الفتيان الـصقالبة مبـارك ومظفـر العـامريين مـن انتـزاع مـدينتي بلنـسية وشاطبة من حكم مجاهد العامري، وسعى كل مـن مبـارك ومظفـر عـلى بنـاء اعـمار بلنسية وازدهارها و" لما اتسعت لهم الدنيا فأخر الأسـلحة والآلات والخيـل المغرقـات ونفائس الحلي والحلل فصارت دولتهم أسرى الدول.. وكانا بنيـا بلنـسية وسـد عورتهـا بسوراً حاط مدينتها تحت أبواب حـصينة فـارتفع عنهـا ورحـل النـاس مـن كـل قطـر بالأموال اليها وطمحت بسكانها الآمال "[2].

استمر مبارك ومظفر في حكم وادارة بلنـسية بنجـاح وفي سـنة 408هــ/ 1017م مات مبارك بحادث، وحكم بدله الفتى ، ذكر لنا ابـن حيـان القرطبـي بقولـه: " كـان عبد الملك منهمكا في الشراب غارباً عـن الخـصال المحمـودة مـع رقـة الديانـة ونقـص المروءة وكثرة الاستمهال والانحطاط في مهاوي اللذات "[3]. وجراء ذلك طمعـت فئـات عديدة في الاستيلاء على بلنسية والسيطرة فكـان ليحيـى ذي النـون الملقـب بالمـأمون حـاكم طليطلـة أطـماع في الـسيطرة عـلى بلنـسية ونجـح بـذلك وضـمت بلنـسية إلى دويلة طليطلة عام 457هــ/ 1065م[4]. وعهـد الخليفـة المـأمون إدارة حكـم بلنـسية إلى أبي بكر محمد بـن عبـد العزيـز بـن المنـصور العـامري حتـى وفـاة المـأمون عـام 467هـ/ 1075م وبعـدها اسـتطاع أبـو بكـر بـن عبـد العزيـز مـن الاسـتقلال بحكـم

(1) نقلاً عن ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص217؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص157.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيـان، ج3، ص160؛ ابـن الخطيـب الغرنـاطي، اعـمال، ص333 " كـان هذان الفتيان قد ترقيـا مـن وكالـة ببلنـسية إلى تلـك الحـضرة... في معناهـا الـشقاء الاخـوة وعشاق الاحبة ".

(3) نقلاً عن ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص303.

(4) عنان، دول لطوائف، ص224 - 225.

وادارة بلنسية كما طلب المساعدة والدعم العسكري من الحكام الأسبان لصد الهجمات على بلنسية مقابل مبالغ من الأموال الطائلة، واستمر حكم ابي بكر في بلنسية اكثر من تسع سنوات وتوفي عام 478هـ/ 1058م ونصب ولده ابو عمرو عثمان على حكم بلنسية في الوقت الذي سقطت طليطلة بيد الفونسو السادس حاكم قشتالة - كما ذكرناه - وانتقل إلى بلنسية القادر بن ذي النون وهو حفيد المأمون بموجب اتفاق تم بينه وبين حاكم قشتالة على منحه عرش بلنسية فقد ثار عليه القاضي البلنسي أبو أحمد جعفر بن جحاف[1]. وزادت حالة بلنسية سوءاً عندما تحول حكم المدينة بيد القادر الذي أصبح حاكماً متعسفاً لا يهمه إلا تحقيق مصلحته الشخصية وإرضاء الفونسو السادس حليفه وسنده العسكري[2]. وقد أصاب الذعر والتذمر من سياسة القادر " فخاف أهل بلنسية منه أن يملكها للفنش كما ملكه طليطلة فاجتمعوا أو عزموا على قتله وتقديم ابن جحاف "[3]. وحكم القاضي ابن جحاف بلنسية عام 485هـ/ 1092م، وفي هذه الآونة ظهر السيد الكمبيادور El Cid Compiador السيد المحارب مستغلاً الظروف طامعاً بالاستيلاء على بلنسية ونهب خيراتها بدعم وإسناد من الفونسو السادس وقد تحدث ابن عذارى عنه بقوله: " قمط من أقماط النصارى يقال له القنبيطور ومعناه صاحب الفحص واسمه لذريق فطمع في أخذ بلنسية فضايقها مضايقة شديدة وحاصرها حصاراً عظيماً وقطع عنها المرافق ونصب المجانيق ونقب الأسوار وعدم الناس الطعام، وأكلوا الفئران والكلاب والجياف إلى أن أكل الناس الناس ومن مات منهم أكلوه فبلغ الناس من الجهد ما لا يطيقون، وقد ألف ابن علقمة كتاباً لا في أمرها وحصارها يبكي القارئ ويذهل العاقل "[4].

مما اضطر أهل بلنسية على تسليم مدينتهم إلى السيد الكمبيادور جراء ما

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص304.
(2) خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص234.
(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، ص305؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص176.
(4) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص305؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص203 - 204.

أصابهم من غدر وعدوان وتعذيب بموجب اتفاق تم مع السيد الكمبيادور تضمن النقاط البارزة هي:

1 - اشترط على القاضي ابن جحاف تسليمه جميع ذخائر القادر.

2 - السماح للسيد الكمبيادور من دخول بلنسية والنزول بالقصر الخلافي وذلك عام 488هـ/ 1095م.

3 - السماح للقوات المرابطة من مغادرة بلنسية دون اعتراضهم.

لم يحترم السيد الكمبيادور بنود الاتفاق فغزا بلنسية ونهب ثرواتها وخيراتها وهتك حرماتها واعتدى على القاضي ابن جحاف بطريقة وحشية لم يشهد لها التاريخ بحق رجل فقيه فاضل وكبير العمر حيث الاعتداء عليه بحرقه وسط كومة من النار اللهيبة تم إعدادها خصيصاً للعمل، وقد صور لنا ابن - الخطيب الغرناطي تلك الفاجعة المؤلمة بالأندلس بقوله: " وقد حشر الناس مناهل الملتين، وقال الكنبطور للملأ " ما جزاء من قتل أميره عنكم في شرعكم؟ " فصمتوا، فقال: " أما نحن، فجزاؤه عندنا الإحراق " وأمر به وبجملته إلى تلك النار، وقد لفحت الوجوه على المسافة البعيدة، فضج المسلمون والنصارى، وتضرعوا إليه في ترك الأطفال والعيال، إذ لا ذنب لهم، فأسعف الرغبة بعد جهد ومدة "[1].

سمات وإنجازات عهد الطوائف:

شهد الأندلس خلال أكثر من ثمانين عاماً من الضعف والتدهور والانحطاط والتفكك في جميع نواحي الحياة فترة مظلمة بعد الازدهار الحضاري والعصر الذهبي الذي تمتع به الأندلس في عهد الخلافة، ويمكن إيجاز سمات عصر الطوائف بالنقاط البارزة الآتية:

1 - حكم الأندلس عدداً من الخلفاء أو الملوك في آن واحد من خلال حقبة تاريخية واحدة للأندلس وهذا ما لم يشهده التاريخ، فقد عبر لنا على ذلك الفقيه ابن

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص204؛ انظر: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، ق3، ج1، ص99؛ ابن الابار، التكملة، ج1، ص240؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص37.

حزم القرطبي بقوله: " واجتمع عندنا في صقع الأندلس أربعة خلفاء كل واحد منهم يخطب له بالخلافة، بالموضع الذي هو فيه وذلك فضيحة لم ير مثلها، دلت على الأدبار المؤبد أربعة خلفاء في مسافة ثلاثة أيام في مثلها كلهم يدعى بأمير المؤمنين وهم خلف الحصيري بأشبيلية... وكان محمد بن القاسم الحسيني خليفة بالجزيرة ومحمد بن إدريس بمالقة وإدريس بن يحيى بسبتة "[1].

2 - ظهور الألقاب السلطانية التشريفية الفخمة والبراقة والتي تحمل المعاني والمفاهيم الدينية والسياسية والعسكرية التي تمجد شخصية الحاكم، في الحقيقة إن تلك الألقاب لا تليق ولا تناسب شخصية الملك أو الحاكم ولا أفعاله أو أعماله، وقد استهزأ بها عدد كبير من الشعراء وانتقد تلك التسميات السلطانية، نذكر منهم الشاعر أبو علي بن رشيق القيرواني.

مما يزهدني في أرض أندلس ... أسماء معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد[2]

وقد تهجم ابن الخطيب الغرناطي غضباً على تلك الألقاب التشريفية اللامعة منتقداً من تلقب بها قائلاً: " ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة نسب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم الكتاب والأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص244.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص144؛ المراكشي، المعجب، ص105.

" مما يزهدني في ارض أندلس ... سماع مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد"

ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص89، جواب الفونسو السادس إلى رسول ابن عباد (ابن مشعل) في الوفود لملوك الطوائف التي قدمت التهنئة والهدايا لملك قشتالة بعد احتلاله لطليطلة، فقال الملك الأسباني: " كيف انزل قوما مجانين، تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وامرائهم المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمتوكل والمستعين والمقتدر والامين والمأمون وكل واحد منهم لا يسل في الذب عن نفسه سيفاً ولا يرفع عن رعيته ضيماً ولا حيفا، وقد اظهر الفسوق والعصيان ".

بأسمائهم الدواوين "[1].

ومن أبرز تلك الألقاب السلطانية التي اتخذها ملوك الطوائف بالأندلس: المهدي، المستعين بالله، المأمون، المعتلي بالله، المستكفي بالله، المعتمد بالله، المعتضد بالله، فجر الدولة، المعتمد على الله، المقتدر بالله، المؤتمن، عماد الدولة، القادر بالله، المتوكل على الله، المنصور بن المتوكل، المعتصم بالله، وألقاب عديدة اخرى.

لجوء أغلب ملوك الأندلس إلى ملوك النصرانية في الشمال الأسباني للاحتماء بهم أو طلب العون والدعم العسكري من أجل المحافظة على كرسي الخلافة فقابل دفع مبالغ من أموال المسلمين، أو منحهم امتيازات وحقوق وأراضي وممتلكات عامة خاصة بالمسلمين بالأندلس، وحمل بعضهم الهدايا إلى حكام الممالك الأسبانية تملقاً وإرضاءً لهم مثل ابن رزين حسام الدولة صاحب مدينة شنتيرين Santarem الذي حمل الهدايا النفيسة إلى الملك الفونسو السادس حاكم قشتالة على أثر نجاحه باحتلال مدينة طليطلة " قاعدة الثغر الأندلسي الأوسط بمنحه قرداً، احتقاراً له في حقيقة عمله، لكن حسان الدولة اعتبر ذلك مفخرة له، كما جاء بالنص الآتي " وجه كل رئيس بالأندلس رسله إلى الفنش مهنئين أنفسهم وأموالهم مفتدين، وفي أن يشركهم في بلادهم له عاملين، ولأموالهم إليه جابين، حتى إن صاحب شنتمرية، حسام الدين بن رزين، نهض إليه بنفسه وتحمل هدية عظيمة القدر غنية متقرباً إليه، راغبا أن يقره في بلده عاملا بين يديه، فجازاه على هديته بقرد وهبه إياه، فجعل ابن رزين يفخر به على سلنر الرؤساء، ويعتقد أنه جنته كما كان من الفنش من وقوع البأساء[2].

3 - امتناع أهل الذمة من اليهود والنصارى من دفع واداء ضريبة الجزية إلى ملوك الطوائف بالأندلس استصغارا لهم، اكد لنا على ذلك الأمير عبد الله في

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص144.

(2) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص88؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص311 فانظروا هذا السخف وهذا الخذلان.

مذكراته: إن فرضنا على أهل اليسانة (Lucena) ذهبا كثيرا باسم التقوية لم تجر عادتهم به، وحملناهم في ذلك الصحة والانطباع، فنفرت لذلك انفسهم "[1].

4 - نشاط دور اليهود في تحريضهم العامة على الثورة والتمرد على حكام دويلات الطوائف، حيث سمح لليهود بالخدمة في قصور بني عباد ملوك أشبيلية، فعمل الحبر اليهودي اسحاق بن باروخ منجما لدى الخليفة المعتضد وخدم عنده ايضا يهودي هارباً من غرناطة، واستدعى المعتمد بن عباد اليهودي ابن باروخ للعمل لديه منجكا وعينه رئيساً للطائفة اليهودية في أشبيلية ومسؤولاً عن جمع اموال الجزية من اليهود، كما حصلت بعض العوائل اليهودية في أشبيلية على مناصب مهمة ووظائف حكومية حيث حصل ابن مهاجر اليهودي على لقب الوزير في حكومة أشبيلية، كما تدفق عدد كبير من اليهود من معظمهم مناطق الأندلس والخارج إلى أشبيلية في عهد بني عباد. كان لليهود موقف سلبي من المسلمين، حيث وقفوا إلى جانب ملوك النصارى وقدموا لهم العون، ففي سنة 488هـ/ 1056م استولى السيد الكمبيادور على مدينة بلنسية بعد حصار دام 20 شهرا، وقف اليهود إلى جانب السيد الذي عين يهوديا لجمعه الجزية من المسلمين[2].

5 - طمع حكام الطوائف ورغبتهم في الاستحواذ على اكبر عدد من المدن الأندلسية، حيث طمع المعتمد بن عباد في السيطرة على مدينة قرطبة من الحموديين واستولى بنو ذي النون على مدينة بلنسية التي كانت تحت نفوذ الفتيان العامريين - كما اوردنا ذلك سابقاً - وسيطر الفتيان العامريون على الجزائر الشرقية (البليار) وبلنسية ودانية (Denia).

6 - امتازت سياسة بعض حكام الطوائف بالأندلس بالغدر والانتقام والحيل والمكائد في التعامل والتخريب والتدمير بعدد من المنشئات العمرانية كالزاهرة، حيث تم قتل محمد بن عبد الجبار المهدي من العبد العامرين، وقتل الخليفة هشام

---

(1) الامير عبد الله، مذكرات، التبيان، ص131.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص41؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص77؛ الخالدي، اليهود، رسالة دكتوراه، ص178، 182، 187، اعتمد الباحث على مراجع اجنبية عديدة.

الثاني المؤيد أبا سليمان المستعين، كما قتل علي بن حمود عام 408هـ/ 1017م على يد الصقالبة. أما التمثيل من اجل الغايات الشخصية كما حدث مع الخليفة الاموي هشام الثاني في اظهاره بعد غيابه لكسب الشرعية بالحكم عن طريق رجل قريب الشبه بالخليفة - كما بينا سابقا -

اما الانجازات التي تحققت في عهد الطوائف فنوجزها بالنقاط الهامة الآتية:

1 - انتعاش الحركة العلمية والفكرية حيث ازدهر الشعر والادب لتعبير عن الاحوال العامة ووصفها أو لغرض المديح أو الهجاء والرثاء، وساهم عدد من الشعراء الأندلسيين بهذه الحقبة من انعاش الشعر الحربي وتطوره وشارك الامراء والحكام بذلك منهم المعتمد بن عباد حاكم أشبيلية ومجاهد العامري حاكم بلنسية ودانية والجزر[1].

2 - أيقظت الاوضاع العامة أهل الأندلس في سباتهم وذلك عما اصاب بلدهم من انقسام وتجمعوا وتحشدوا كمتطوعين مع اخوانهم المرابطين من العدوة المغربية بعد عبورهم إلى الأندلس في حركة الجهاد للدفاع عن الدين والارض، كما ازدهر نظام الفروسية وتطورت نظم القتال والاسلحة.

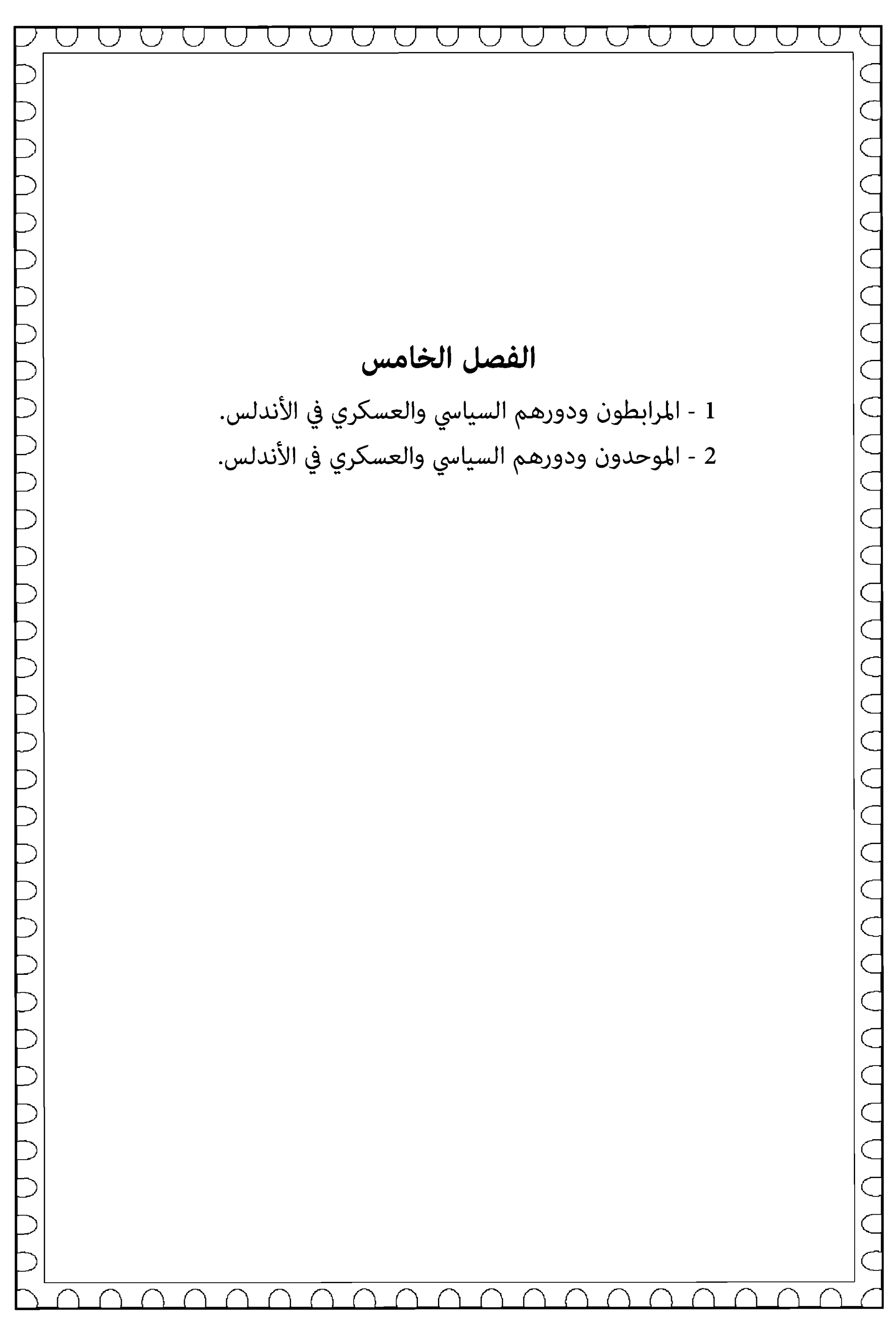
3 - ازدهار الحركة العمرانية في بناء القصور والقلاع والحصون الدفاعية في مدن الأندلس التي لا تزال إطلالها شامخة في أسبانيا في المرية ودانية من الحصون والقلاع والقصبات وغيرها في مدن الأندلس.

4 - إن هذا النوع من الحكام هم الذين مكنوا المسيحيين واليهود من رقاب المسلمين، وتركوهم يعيثون فساداً في ديارهم، ومن ضيع دينه لا يهمه بعد أعراض المسلمين أن تهتك، ولا حرمات لهم تدنس، ولا يهتم إلا في شهواته الرخيصة فقط[2].

---

(1) د. حازم عبد الله خضر، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات 244، بغداد 1981، في 593 صفحة.

(2) الخالدي، خالد، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، رسالة دكتوراه غير منشورة، اشراف د. خليل ابراهيم الكبيسي، كلية الاداب، جامعة بغداد 1999، ص178.



الفصل الخامس

1 - المرابطون ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس.

2 - الموحدون ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس.

المرابطون ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس
448 - 541هـ/ 1056 – 1147م

أصلهم: كما قلنا سابقاً أنهم اقوام بدوية سكنت الصحراء في جنوب المغرب العربي وينتمون إلى القبائل الصنهاجية[1] البربرية التي تعرف (صنهاجة الصحراء) ومن أبرز تلك القبائل: جدالة، لمتونة، جزولة، وغيرها.

اتخذ المرابطون اصطلاح الرباط عنوان لحركتهم وبالتالي لدولتهم، كما عرفوا " بالملثمين " وصارت عادة اللثام معروفة عند أهل القبائل البربرية من صنهاجة[2]

---

(1) صنهاجة: يرفعون انسابهم إلى حمير، وأنهم خرجوا من اليمن، وارتحلوا إلى الصحراء، وهي موطنهم في المغرب انظر: مجهول، الحلل الموشيه، ص18، ابن حوقل، صورة الارض، ص97: والبربر السكان بالمغرب، فقبائل لا يلحق عددهم ولا يوقف على اخرهم، لكثرة بطونهم وتشعب افخاذهم وقبائلهم وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحارى "، وصنهاجه فيهم البساله والجرأة والفروسية على الابل والخفة في الجري والشدة والمعرفة بأوضاع البر وأشكله والهداية فيه، الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، 222، 223، " صنهاجه ولمطة اخوان لاب واحد وام واحدة: 225، " قبائل صنهاجه، 242، ج2، 529 ".

(2) الرباط حصن حربي يقام في الثغور المواجهة للعدو مناجل الدفاع عن الدين والارض كما أكد القرآن الكريم في سورة الانفال: 12 ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ كما ورد في سورة آل عمران: 199 ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ اقام الامام عبد الله بن ياسين - الجزولي رباطة في الحوض الادنى لنهر السنغال. كان المرابطون يعيشون حياة خاصة في رباطهم يقنعون بالقليل من الطعام، ويرتدون الخشن من الثياب. والمرابطون مؤمنون بربهم وبالإسلام ديناً، والتزام المقيمين في الربطة التدريب على الفروسية وكافة التدريبات العسكرية التي تساعدهم وتولهم للقيام بمهماتهم على اكمل وجه من الذود عن حياض الإسلام والجهاد في سبيل الله، وفي اوقات السلم كان المرابطون يحفظون القرآن وتفسيره وكل ما يمت إلى الدين، انظر: المالكي، رياض النفوس، تحقيق: د. حسين مؤنس، القاهرة 1951م، ابن ابي زرع الفاسي، الانيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، الرباط 1951، ص79، 276، د. سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، ط اولى، بيروت

=

أتسمت حياة المرابطون بالخشونة والقسوة وقد امتهنوا حرفة الرعي والصيد واعتنقوا الإسلام وذلك بعد عودة زعيمهم يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي أحـضر معـه الفقيـه عبد اللـه بن ياسين الجزولي بعد عودة يحيى من أداء فريـضة الحـج، وقـام الجـزولي بتثقيف وتعليم المرابطين بـالأمور الدينيـة والدنيويـة وحـاول اخـراجهم مـن البـداوة والجهل إلى الحياة الجديدة.

تولى زعامة المرابطين ابو بكر بن عمر بعـد اخيـه يحيـى، حيـث وسـع سـلطانه واستولى على مدينة اغمات عام 450هـ/ 1058م وشيد مـراكش عـام 462هــ/ 1070م التي اصبحت قاعدة المرابطين بالمغرب. حكم يوسف بن تاشفين دولـة المـرابطين عـام 463هـ/ 1071م بعد ابي بكر بن عمر، حيث نجح يوسف في الدخول إلى مدينـة فـاس وتلمسان، كـما اسـتطاع أن ينقـذ بلـد الأنـدلس مـن الـسقوط والانهيـار بيـد الممالـك الأسبانية بعد الدعوة التي وجهت اليه وذلك بعد سقوط مدينة طليطلة عام 478هـ/ 1085م. وقد استبعد حاكم مدينة بطليوس عمر المتوكل بـن الافطـس وحـاكم مدينـة أشبيلية المعتمد بن عباد اللذان اتصلا بالأمير يوسف بـن تاشـفين وطلبـوا منهـا انقـاذ الأندلس وصـد الهجـمات الأسـبانية عنـه، وقـد اسـتجاب الأمـير المرابطـي ولبـى نـداء الواجب الديني في الجهاد عن الإسلام في الأندلس.

دورهم السياسي:

اتبع المرابطون سياسة الجهـاد والمجاهـدة في سـبيل الـدفاع عـن الإسـلام وأهلـه

-

1405هـ 1985.

الملثمون: لأنهم (المرابطون) يضعون اللثام على الوجه لشدة الحر والريح بالصحراء، أو لأنهم آمنوا بسيرة الرسول الكريم صلى اللـه عليه وسلم فتلثموا بقصد التمويه، ويقال إن جماعـة هاجمت مخيمات المرابطين وكان فيهـا الـشيوخ والاطفـال والنـساء، فـأمر الـشيوخ والنـساء بوضع اللثام على وجههن لكي تظن الجماعة انهـم رجـال. انظـر: ابـن حوقـل، صـورة الارض، ص99 عن اللثام. ولم ير لاحدهم ولا لصنهاجة قد كانت من وجـوههم غـير عيـونهم، وذلـك انهم يتلثمون وهم اطفال وينـشؤون عـلى ذلـك، ويزعمـون أن الفـم سـونة تـستحق الـستر كالعورة لما يخرج منه اذا ما يخرج منه عندهم انتن مما يخرج من العورة ".

بالأندلس، ويقول المؤرخ المراكشي عنهم " فأظهروا في أول امرتهم من النكاية في العدو، والدفاع عن المسلمين، وحماية الثغور، ما صدق بهم الظنون، وأثلج الصدور، وأقر العيون، فزاد حب أهل الأندلس لهم، واشتد خوف ملوك الروم منهم ويوسف بن تاشفين في ذلك كله يمدهم في كل ساعة بالجيوش بعد الجيوش، والخيل بعد الخيل "[1].

اطلع المرابطون على معاناة الأندلس والضائقة السياسية والعسكرية التي حصلت به من جراء الغزو الأسباني على طليطلة والأطماع المسيحية والتهديدات الحربية المستمرة على الثغور الأندلسية مما ألهب حماس المرابطين ودفعهم إلى وضع الاستعدادات الحربية اللازمة وتجهيز المقاتلين من اجل العبور إلى الجزيرة الأندلسية لإنقاذ اخوانهم الأندلسيين، وقد ساعدتهم على ذلك العوامل الآتية:

الدافع الديني لإنقاذ المسلمين في الأندلس

1. الدعوات والاتصالات والنداءات المتكررة إلى الأمير يوسف بن تاشفين من بعض حكام مدن الطوائف الأندلسية منهم ابن عباد حاكم أشبيلية، كما اكد لنا ذلك الأمير عبد الله بن بلقين في مذكراته بقوله في ارسال سفارات أندلسية إلى مراكش وقد كان رسل المعتمد قبل هذا قد وردت عليه، تعلمه أن يتأهب للجهاد[2] [3].

2. القوة والارهاب والعبودية والتسلط الذي مارسته الممالك الأسبانية تجاه الأندلس من فرض الاتاوات والغدر بالمواثيق والغزو والنهب ومن اخطر كل

---

(1) المراكشي، المعجب، ص241.

(2) الامير عبد الله، مذكرات، ص132.

(3) أورد معلومات مهمة ومفصلة عند دعوة المرابطين وعبورهم لأنه كان شاهد عيان للاحداث. وانفرد الفصل السابع عن قدرة المرابطين إلى الأندلس.
وتضمن: مقدمات تدخل المرابطين في شؤون الأندلس، إرسال سفارات أندلسية إلى مراكش. تجمع جيوش الأندلسيين برسم الجهاد، موقعة الزلاقة وانتصارات المسلمين على الغونش السادس، يوسف بن تاشفين يعقد مجلس رؤساء الأندلس بعد المعركة. انظر: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص245.

الافعال واصعبها هو سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس حاكم قشتالة، علق لنا الأمير عبد الله عن ذلك بقوله " وكنا رأينا كلب النصراني على الجزيرة، واخذه لطليطلة، وقلة رفقه، بعدما كان يقنع منا بالجزية، وصار يروم اخذ القواعد، وان أخذه لطليطلة للضعف المتوالي عليها عاماً بعد عام. فوقع من ذلك في الأندلس رهبة عظيمة، واشرب اهلها خوفاً وقطع رجاء من استيطانها "[1].

3. موقف رجال الدين الأندلسيين الايجابي من الفقهاء والقضاة من دعوة المرابطين واصدار الفتاوى بذلك واتصالاتهم المستمرة مع علماء المغرب والمشرق الإسلامي وحثهم على انقاذ الأندلس والجهاد ومن اجله[2].

4. منح مدينة الجزيرة الخضراء موقعاً لتصبح قاعدة للمرابطين بالأندلس وذلك استجابة لطلب المرابطي يوسف بن تاشفين وتمت موافقة حاكم أشبيلية المعتمد بن عباد وعدد من حكام مدن الطوائف على ذلك الطلب المرابطي[3].

5. استغل المرابطون أوضاع الأندلس العامة من تدهور وتسلط ليظهروا على المسرح السياسي والعسكري.

6. عزم المرابطون على انهاء حالات النزاع والصراع والتنافس بين ملوك الطوائف بالأندلس بعد ان سئم أهل الأندلس وضجروا من الحياة معهم، وأكد لنا ذلك المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي عن الموقف الأندلسي بقوله: " وجعل الله بين اولئك والامراء وملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات، فلم تتصل لهم في الله يد، ولا نشأ على التعاضد عزم ولا توجه إلى الاستكثار تقصد إنما كان وعدهم كالتماس المحل من

---

(1) الامير عبد الله، مذكرات، ص101، النباهي، المرقبة، ص97.

(2) النباهي، المرقبة، ص97 يستفاد مند. خليل ابراهيم السامرائي " علاقات المرابطين مع امارات المغرب الاقصى، مجلة زانكو، جامعة السليمانية، مجلد 6، العدد 2 (1980) السامرائي " الدعوة إلى توحيد الأندلس في ايام الطوائف" مجلة زانكو، جامعة السليمانية (1977) خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص348 - 249.

(3) الامير عبد الله، مذكرات، ص102.

وده... "[1] عبرت القوات المرابطية لأول مرة إلى الأندلس في ربيع الآخر عـام 479هـ/ 1086م ومعهم الجمال التي كان لها دور كبير في إرهاب خيول الاعداء "ذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين امر بعبور الجمال فعبر منها إلى أرض الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رأوا جملاً قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمع من رؤية الجمال ومن رغائها، وكان ليوسف في عبور الجبال رأي وصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها للحرب، فكانت خيل الفرنج تجمع منها وقدم يوسف بين يديه كتاباً للاذفوش يعرض عليه فيه الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب..."[2] التزم المرابطون بتعاليم الإسلام في الحرب كالمثابرة والمصابرة في القتال والتضحية حتى الاستشهاد " وكان للمتونة في قتالهم في ابتداء أمرهم شدة وجلا لهم قرار في زحف، وكان قتالهم على النجب اكثر من الخيل واكثرهم مترحلون على اقدامهم صفوفاً صفا بعد صف، يكون بأيدي رجال الصف الاول القنا الطوال، وكانت لهم راية يقدمونها أمام الصفوف فهم يقفون ما وقفت منتصبة، وإن أمالها إلى الارض جلدوا فكانوا في ذلك أثبت من الهضاب فمن فر امامهم سلبوه ولم يقتلوه "[3] عبر الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين بقوات كثيرة أحصاهم ابن الكردبوس في 12 الف مقاتل بقوله " وملأ البحر أساطيلَ وأجاز الاجناد رعيلا رعيلاً، واحتل بالجزيرة الخضراء، في كتيبة الخضراء المشتملة على اثني عشر راكباً من صناديد الاخبار "[4].

معركة الزلاقة عام 479هـ/ 1086م:

بعد عبور المرابطين إلى الأندلس بذلت كل الاستعدادات الحربية في توفير السلاح وإعداد الرجال بهدف طرد الفونسو السادس ملك قشتالة من مدينة طليطلة وتأديب المماليك الأسبانية في الوقت الذي كان فيه حاكم قشتالة محاصرا مدينة

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص244.
(2) المقري، نفح، تحقيق دوزي، ليدن 1856، ج2، ص680.
(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص11.
(4) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص90.

سرقسطة " قاعدة الثغر الأندلسي الاعلى " وكان يحكمها بن هود، كما ورد بالنص الآتي " وكان الفنش محاصرا لسرقسطة وقد اتسم أنه لا يبرح عنها حتى يدخلها والقدر يأبى إلا خلاف ذلك، فبذل له المستعين صاحبها أموالا جمة في زواله وتنقله عنها، فأبى كل الاباية "[1].

ولما استقر حكم المرابطين بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين في الأندلس، تقدم اليه ملوك دويلات الطوائف يسترضونه ويقدمون له المساعدات وكان امير الثغر الاعلى الأندلسي وقاعدته سرقسطة احمد المستعين أكثرهم تقريباً اليه واصبح في موقف حرج امام ملوك النصارى في الشمال الأسباني حيث له معهم اواصر صداقة ومعاهدات، وارسل اليه يوسف بن تاشفين كتاباً يؤكد للمستعين ثقته واخلاصه[2]. وضع الأمير الأندلسي يوسف بن تاشفين خطته القتالية في مواجهة الخطر القشتالي والصدام الحربي الحاسم معه حيث " سار امير المسلمين نحو بطليوس، قاصداً طليطلة للقاء الفنش في جيوش تقربها عيون الاولياء، فالتقتا على مقربة من بطليوس بموضع يسمى الزلاقة، وكان بين المحتلين ثلاثة اميال فتراسلا، حتى يكون اللقاء، الذي منه تسال الدماء فقال الملعون " هذا يوم الخميس والجمعة عيدكم والاحد عيدنا فيكون يوم السبت اللقاء بيننا، فقال امير المؤمنين، كذلك إن شاء الله يكون واللعين قد اعتمد في ذلك على المكر، وقصد الغدر "[3]. انهزم الفونسو السادس

(1) المصدر السابق، ص91. ويذكر صاحب كتاب "الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية"، تحقيق د. س علوش، الرباط 1963، ص25 - 28 بأن الفونسو السادس بعث برسالة إلى يوسف بن تاشفين يتحداه باحتلال الأندلس بأكملها. ولقب الملك القشتالي نفسه بلقب "الامبراطور ذي الملتين" حيث اراد توسيع حكمه على المسيحيين وضم المسلمين في الأندلس. محمد بن عبود " رسالة من الفونسو السادس إلى يوسف بن تاشفين، ومدى أصالتها " مقالة مجلة دار النيابة السنة الاولى. العدد الثاني، المغرب. طنجة 1983، الصفحات 18 - 20 وكتبت الرسالة بالعربية من الناسخ العربي ابن الفخار الذي يعمل عند الملك الأسباني الفونسو السادس.

(2) د. حسين مؤنس " الثغر الاعلى الأندلسي في عصر المرابطين " مقالة مجلة كلية الاداب، مجلد 11، ج2. ديسمبر (مطبعة جامعة فؤاد الاول 1949)، ص104.

(3) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص92 - 93. ابن الخطيب الغرناطي. اعمال، ص246، ابن

تلك الهزيمة القاصمة التي أبعدت خطره عن البلاد الإسلامية الأندلسية كلها إلى حين[1].

النتائج والقيم والمعاني التاريخية لموقعة الزلاقة نوجزها بالنقاط الآتية:

1. حققت نصراً عظيما ومؤزرا للمسلمين على قشتالة، حيث أصابت القوات الإسلامية ملك قشتالة بجروح بليغة وخطيرة ادت إلى هروب من أرض المعركة.

2. أكسبت ثقة أهل الأندلس بالمرابطين وجهادهم واخلاصهم.

3. أنقذت باقي مدن الأندلس من الانهيار والسقوط بيد الممالك الأسبانية.

4. خلصت الزلاقة أهل الأندلس من دفع الضرائب والاتاوات إلى الحكام الأسبان بعد أن كان يلفقها اغلب حكام مدن الطوائف بالأندلس.

5. ظهرت زعامة يوسف بن تاشفين كشخصية قوية ورجل عسكري ناجح في الأندلس والمغرب.

تحدثت المصادر الأندلسية عن معركة الزلاقة والنصر الذي حققته على قشتالة قائلة:

" فكان هذا أحد الفتوح المشهورة بالأندلس، أعز الله فيه دينه وأعلى كلمته، وقطع طمع الاردفنش - لعنه الله - عن الجزيرة، بعد أن كان يقدر أنها في ملكه، وأن رؤوسها خدم له، وذلك كله يحسن نية امير المسلمين... ورجع يوسف بن تاشفين واصحابه عن ذلك المشهد منصورين مفتوحاً لهم وبهم، فسر بهم أهل الأندلس، وأظهروا التيمن بأمير المسلمين والتبرك به، وكثر الدعاء له بالمساجد

=

عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص52. بطرس البستاني. معارك العرب في الأندلس (دار الجيل، بيروت 1980) وقد خسر الفونسو السادس نخبة من فرسانه ومعظم جيشه وعتاده ويقيناً لو أصابته هذه الكارثة رجلا غيره لحطمت عزيمته المشؤومة. يستنفر الأسبانيين والفرنسيين. حتى تم له بعد عام حشد جيش عظيم في عدته وعدده. المراكشي. المعجب. ص195 - 199.

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص331.

وعلى المنابر، وانتشر له من الثناء بجزيرة الأندلس ما زاده طمعاً بها، وذلك أن الأندلس كانت قبلة بصدد ملكوها قاطبة، فلما قهر الله العدو وهزمه على يد امير المسلمين، أظهر الله أعظامه، ونشأ له الود في الصدور "[1].

6. حماية الثغر الاعلى الأندلسي وقاعدته سرقسطة البوابة الشمالية للأندلس والمنفذ مع الممالك الأسبانية من الخطر العسكري الأسباني، حيث قدر الأمير يوسف بن تاشفين خطورة الدور الذي كان أمراء سرقسطة يقومون به في تلك الفترة الحافلة بالمخاطر، فقد كان امراء سرقسطة يقفون كالحائل بين إمارات النصارى وما يليها من بلاد المسلمين في شرق الأندلس[2].

أنهى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين نزاعات وانقسامات ملوك الطوائف بالأندلس وخلافاتهم السياسية، والعسكرية ومواقفهم واتجاهاتهم المتباينة في الصراع الحربي مع الممالك الأسبانية والافعال والاعمال الشاذة والغريبة التي قام بها بعض حكام مدن الطوائف والتي لا تتناسب كونهم حكاماً يمثلون الإسلام وذلك في التشكيك من قدرة وامكانية الجيش المرابطي وانتصاراته الباهرة، فضلا عن قيام بعض حكام المدن بقطع الذخيرة والمساعدات عن القوات الإسلامية المحاصرة لقوات قشتالة والتقليل من القيم والمعاني التي تحققت تحت ظل المسلمين في الزلاقة. كل ذلك دفع الأمير المرابطي بالعمل على اتخاذ قرارات حاسمة لخلع حكام مدن الطوائف في الأندلس وتوحيد الأندلس تحت راية الإسلام بزعامته، وإزالة الفرقة والخلاف بينهم، بعد أن سعى للحصول على موافقة رجال الدين من القضاة والفقهاء عن طريق الفتاوى في المشرق والمغرب الإسلامي[3].

قام الأمير المرابطي بوضع الترتيبات والاستعدادات اللازمة لإنهاء حكم

---

(1) المراكشي، المعجب، ص198 - 199.

(2) مؤنس " الثغر الاعلى الأندلسي في عصر المرابطين" ص104، وانظر: السامرائي، د. خليل ابراهيم " الثغر الاعلى الأندلسي " بغداد 1976.

(3) الامير عبد الله، مذكرات، ص88 - 90 " واصلاح الامر مع الجار وجار ضعيف يبقى عليه خير من تهينا لقوي لا يرام!... " ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص247.

الطوائف والقضاء على زعامات المدن نفذ ضرب الحصار العسكري على طليطلة قاعدة حاكم قشتالة الفونسو السادس الذي تربطه علاقات مشبوهة وخطيرة مع الأندلس الجنوبية، وقد اكد لنا ذلك المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي عن العبور الثاني للأمير المرابطي بقوله" ثم أجاز ثانيةً، ونازل حصن البيط من كورة تدمير وتعذر عليه فتحه، فقفل إلى بلاده المراكشية وقد وجد على ملوك الأندلس، واتهمهم بالاغماض في امره، وداخله الناس في شأنهم ودست إليه السعايات بهم"[1].

العبور الثالث في عام 483هـ/ 1090م حيث عبر الأمير المرابطي من أجل خلع ملوك الطوائف في الأندلس " فأعاد الجواز ثالثة سنة 483هـ وشرع في خلعهم، فتم له ذلك "[2].

حاصر الأمير المرابطي ملوك الطوائف لغرض خلعهم من السلطة وعندما سمع حكام الممالك الأسبانية بالخبر خافوا على مصالحهم وحاولوا منع المرابطين من السيطرة الكاملة على الأندلس، فحاول الأسبان الزحف بقواتهم بحجة تقديم العون إلى المعتمد بن عباد لكن امير أشبيلية رفض ذلك مخلصاً لدينه ووطنه كما ورد بالنص: " فتصدوا (المرابطون) مدينة أشبيلية فحصروا المعتمد وضيقوا عليه فقاتل قتالاً شديداً وظهر من شجاعته وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره فسمع الفرنج بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا واكثروا وساروا المساعدة المعتمد واعانته على المرابطين فلما سمع خبرهم فارق أشبيلية وتوجه إلى لقاء الفرنج وقاتلهم وهزمهم ورجع إلى أشبيلية"[3].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص246 - 247، عنان، دولة الطوائف، ص335.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص247، النويري، نهاية الارب، ج2، ص101 اوردها عام 484هـ ابن الاثير، الكامل، ج8، ص154 - 155 (احداث عام 484هـ) " وقبض يوسف بن تاشفين على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الأندلس، ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص500، الحميري، الروض، ص28. عنان، دول الطوائف، ص347، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص426.

(3) النويري، نهاية الارب، ج22، ص101، ابن الاثير، الكامل، ج8، ص156 - 157.

تولى أمير المرابطين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين بعد وفاة والـده عـام 500هـ/ 1106م " وتلقب بلقب أبيه امير المسلمين، وسمي أصحابه المرابطين - فجـرى على سنن أبيه في إيثار الجهاد، واخافة العدو، وحماية البلاد "[1].

اهتم الأمير علي بـن يوسـف في متابعـة أحـوال وأوضـاع الأنـدلس والـدفاع عـن الثغور وصد الاعتداءات والهجمات الأسبانية وكان يعبر بجيشه مـن العـدوة المغربيـة إلى الأندلس عند الضرورة العـسكرية ضـد التهديـدات للمماليـك الأسـبانية الـشمالية. حيث عبر الأمير يوسف اربع مرات إلى الأندلس في التواريخ الآتية:

الجواز الاول: سنة 500هـ/ 1106م " وشرع في الجواز إليها أخريات تلك الـسنة، فباشر أمورها، ورتب أطولها "[2].

الجواز الثـاني: سـنة 500هــ/ 1107م إذ يـشارك في معركـة حـصن قلـيش Ucles (اقلـيج عنـد وادي الحجـارة Guadaljara) في الثغـر الأندلـسي الاوسـط، حيـث انتـصر المسلمون بالمعركة. وقتل فيها سانجو بن الفونسو السادس وبعدها مات ملك قشتالة الفونسو حزناً على ابنه وذلك عـام 502هــ/ 1108م بعـد حكـم دام اكـثر مـن نـصف قرن[3].

العبور الثالـث: عـام 511هــ/ 1017م وقـد عـبر الأمـير المرابطـي لفـتح قلمريـة

=

المراكشي. المعجب، ص203 - 204، " وقد كانـت قلـوب أهـل الأنـدلس قـد أشربـت حـب يوسف واصحابه، " ص241 " فزاد حب أهل الأندلس لهم، واشتد خوف ملوك الـروم مـنهم، ويوسف بن تاشفين في ذلك كله يمدهم في كل سـاعة الجيـوش بعـد الجيـوش، والخيـل بعـد الخيل، ويقول في كل مجلـس مـن مجالـسه... وإنمـا كـان غرضـنا في ملـك هـذه الجزيـرة أن نستنقذها من ايدي الروم".

(1) المراكشي، المعجب، ص252، ابن الخطيب الغرناطي، اعـمال، ص247، ابـن عـذاري المراكـشي، البيان، ج4، 48 " فاضطلع ابرع اضطلاع، وقام احمد مقام، وألبسه الـلـه المهابـة، وقـذف لـه في القلوب محبة، فاجتمعت عليه الامة، واتفقت الكلمة ".

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص247، ابـن عـذاري المراكـشي، البيـان، ج4، ص48، "لتفقـد اهلها وسد خللها".

(3) عنان، دول الطوائف، ص347، نقلاً عن المستشرق الأسباني رامون مننددث بيدال.

Coimbra[1] ومناطق اخرى بعد عام من عبوره " اخذ النصارى سرقسطة من يد المسلمين سنة 512هـ/ 1118م بعد أن حاصروها تسعة اشهر صلحاً، خرج اليها الافرنج في خمسين ألف راكب "[2].

وفي عام 514هـ/ 1120م حدثت معركة قتندة (كتندة Cutanda) وتقع في الثغر الأندلسي الاعلى وخسر فيها المسلمون واستشهد منهم عدد كبير بينهم العلماء والفقهاء " وكان امير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كبير من المسلمين والاخبار المتطوعة فسيرهم إلى ابن رذمير فالتقوا واقتتلوا اشد القتال وهزمهم ابن رذمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين وكان فيمن قتل ابو عبد الله بن الفراء قاضي المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء"[3].

وفي عام 523هـ/ 1129م وقعت معركة القلاعة عند شرق الأندلس مع قوات ملك اراكون Aragon الفونسو المحارب ابن رذمير Alfonso El Batallador الذي انتصر على المرابطين بالمعركة[4].

وفي سنة 528هـ/ 1134م حدثت معركة افراغة Fraga وتقع جنوب مدينة لاردة Lerida في الثغر الاعلى مع قوات اراكون بقيادة الفونسو المحارب الذي ألحقت القوات الإسلامية المرابطية والأندلسية هزيمة شنيعة بجيشه تعويضاً عن

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص247.

(2) الحميري، الروض، ص97 - 98 ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص117 - 120 " اخذ اكثر المسلمين في الرحيل والفرار، فبلغ عددهم نحوا من 50 الف نسمة ما بين صغير وكبير ونساء وذكور " النص في ص119.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج6، ص301 - 302 (احداث سنة 514هـ) المقري، نفح، ج4، ص460 - 461، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص529، خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص258.

(4) ابن القطان، نظم الجمان، ج6، 215، الحميري، الروض، ص48، انتهت المعركة بخسارة مدينة بلنسية بعد مدة ثم في سنة 630 ملك الروم بلنسية مصلحاً، واستولى عليها ملك اراغون جاقمة، واكثر ادباؤها والتأسف عليها نظماً ونثراً "، خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص259.

الخسائر التي لحقت بالجيش الإسلامي[1].

تحدث الحميري عن إفراغة بقوله " افراغة مدينة بقرب لارده... وحاصرها العدو في جمع كثيف، وآلى زعيمهم ابن رذمير على نفسه ألا يبرح حتى يأخذه عنوة... وانصرف المسلمون مغتبطين بغنيمتهم وأجرهم، وكان ذلك سبباً لبقائها بأيدي المسلمين "[2]. وفي عام 533هـ/ 1138م تم العبور الرابع للأمير المرابطي وذلك لإصلاح الامور بقرطبة، " وولى ولده تاشفين غرناطة، وصنع الله له في الجهاد الصنائع الجميلة والاثار الكريمة، ثم استدعاه في سنة 33، فولاه عهده، وتوفي الأمير علي لسبع خلون من رجب سنة533 "[3].

لم يشهد الأندلس في عهد تاشفين نصراً عسكرياً حيث إنه انتصر في غزوة عقبة البقر Vacar في شمال قرطبة وذلك عام528هـ ويذكر ابن عذاري المراكشي عن الأمير تاشفين ممتدحاً له دوره في المعركة بقوله " والأمير تاشفين في درعه متشحاً بسيفه، ودرقته بيده، يشد حملته، ويبدي صفحته، فلم يُر أربط جأشاً ولا أشهم نفساً ولا تحدث عن احد قله بما ظهر منه في مطلع ذلك الهول وتفاقم الأمر... "[4].

وكانت اوضاع الأندلس في عهد تاشفين متدهورة كما وردت بنص ابن الخطيب الغرناطي: " وعادت هيف إلى اديانها، وتفرقت الكلمة إلى شأنها، ولفحت صدر الثوار، واصبحت الأندلس دار البوار، ولله در القائل "[5]. إلى أن توفي الأمير

---

(1) ابن الاثير، الكامل، ج8، ص351 (احداث سنة 529هـ)".
وكان الامير تاشفين بن علي بن يوسف بمدينة قرطبة اميراً على الأندلس لابيه فجهز الزبير بن عمر والمتولي من قرطبة ومعه الف فارس وسير معه ميرة كثيرة إلى افراغة... فلما رأى (الفونسو المحارب) ما قتل من اصحابه مات مضجوعاً بعد 20 يوماً من الهزيمة وكان اشد ملوك الفرنج بأساً واكثرهم تجرداً لحرب المسلمين وأعظمهم صبراً، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص437.

(2) الحميري، الروض، ص24 - 25.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص247.

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص90، معركة البكار.

(5) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص248.

تاشفين عام 539هـ/1144م.

سمات حكم المرابطين وجهادهم وإصلاحاتهم في الأندلس: نوجزها بما يأتي:

1. تكبدت القوات المرابطية خسائر عسكرية في معركة قتندة والقلاعة - كما ورد ذلك - مما أغاض أهل الأندلس على المرابطين بسبب ذلك، كما أنهم فشلوا في استرجاع المدن الأندلسية التي سقطت بيد الأسبان.

2. ظهور حركة الموحدين كقوة عسكرية جديدة في العدوة المغربية بسبب عبورهم للأندلس وانتصاراتهم الحربية.

3. فقدان الامن والاستقرار بالأندلس أواخر حكم المرابطين إذ " تعددت الثوار والمنتهزون في اعقاب هذه الدولة... واجحفوا بالناس بسبب اجتياح جندهم بالأندلس، وتحاملت عليهم الناس، وتوفرت دواعي الشتات بفترة الخوف، واستهدفوا الخلع، وكثرة التعدي في الطرق والدوابر في السبل، والفتك بالرفاق "[1].

4. أزهقت المعارك الجهادية التي وقعت مع الممالك الأسبانية الميزانية الاقتصادية للمرابطين بالإضافة إلى أنها ساعدت على التمردات الداخلية والهجمات الأسبانية التي حدثت بالأندلس كما ظهرت تمردات في مراكش وغيرها من مدن المغرب مما عمل ذلك على أضعاف النظام السياسي والعسكري للمرابطين وجلب النقمة العامة عليهم.

5. اتبع المرابطون سياسة إجبار النصارى واليهود على الدخول في الإسلام وذلك بفرض ضرائب عالية وثقيلة على أهل الذمة منهم اليهود حيث وصلت الضرائب إلى 100 الف دينار في عام 464هـ/ 1071م[2].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص248 - 249، المراكشي، المعجب، ص260 " اختلَّ حال امير المسلمين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلالاً شديداً، فظهرت في بلاده مناكر كثيرة... واستولى النساء على الاحوال، واسندت اليهم الامور، وثارت كل امراء من اكابر لمتونة ومسوفة مشتملة. على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور ".

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص23.

6. اهتم المرابطون بالعمران فبنى الأمير يوسف بن تاشفين مراكش عام 454هـ/ 1062م[1]. واتخذها مركزاً لحكمه، كما عمروا المساجد وضربوا النقود حيث انشأ الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين داراً للسكة في مراكش وضرب الدنانير الذهبية المرابطية[2].

7. حارب المرابطون بعض الفلاسفة الذين تتعارض نظرياتهم وآرائهم مع تعاليم الإسلام ومنهم الفيلسوف ابو حامد الغزالي صاحب " كتاب إحياء علوم الدين " فقد امر الأمير المرابطي بإحراق كتابه[3].

8. شهدت الأندلس في اواخر حكم المرابطين في عام 538هـ/ 1143م الهجمات النورماندية على سواحل سبتة من العدوة المغربية إذ وصلت قراقير المجوس في 150 مركباً بين كبار وصغار إلى سبتة فخرجت إليه أجفانها فتقاتلوا فقتل عدد كبير من الناس[4].

---

(1) ابن ابي زرع الفاسي، الانيس المطرب، ص89.

(2) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص22، عن العملة: انظر: توفيق حافظ ابراهيم وخوان خوسي، مسكوكات سبتة الإسلامية مدريد 1987. عرض عدد من نماذج المسكوكات المرابطية والموحدية مع دراسة عنها.

(3) المصدر السابق، ص59 - 60، المراكشي، المعجب، ص255 " ولما دخلت كتب ابي حامد الغزالي - رحمه الله - المغرب، أمر أمير المسلمين بإحراقها، وتقدم بالوعيد الشديد، من سفك الدم واستئصال المال إلى من وجد عنده شيء منها، واشتد الامر في ذلك " ص263 - وانظر: د. حازم عبد الله خضر، النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين.

(4) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج4، ص103، قراقير: صنف من سفن المجوس النورماند، أجفان: مراكب إسلامية صغيرة. انظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الاسكندرية 1974، جفن: ص23 - 27، القراقير ص120 - 125، اعتمد النخيلي عل مصادر مطبوعة ومخطوطة في كتابه.

عصر الموحدين في الأندلس

540 – 620هـ/ 1145 – 1223م

- كما ذكرنا سابقاً - تزعم الموحدين وحركتهم الجهادية محمد بن عبد الله بن تومرت وتلقب بالمهدي، وينتمي إلى قبيلة مصمودة البربرية، وظهرت دولتهم في مدينة السوس بموضع يعرف تينمل بعدوة المغرب، اهتم المهدي بتعليم نخلة بأصول الدين وسماع الحديث الشريف وتعاليم الفقه تحت إشراف كبار العلماء والفقهاء.

اتخذت الحركة - التوحيد - شعاراً رسمياً لها، وأكدت على مبادئ وتعاليم الإسلام منها " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " والتحدث بالتوحيد بين المسلمين، حيث " خرج ابن تومرت... متوجهاً إلى المغرب أتى تلمسان، فأقام بمسجد بظاهرها يعرف بالعباد، جارياً على عادته، وكان قد وضع له في النفوس هيبة وفي الصدور عظمة"[1].

تولى مهام الدعوة الموحدية عبد المؤمن بن علي بعد وفاة ابن تومرت عام 524هـ/ 11229م " وبايعه المصامدة، واتفقت على تقديمه الجماعة، وكان الذين

---

(1) المراكشي، المعجب، ص269؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص458 دعت عنده الجماعة إلى الفهم النقي والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة، اطلقت على نفسها اسم الموحدين، يرفضون كل ما يسيء إلى عقيدة التوحيد ولقبوا بلقب (الخليفة، وأمير المؤمنين). د. محمود علي مكي، تاريخ الأندلس، ص119.
شخصية محمد بن تومرت مؤسس هذه الدولة وراعيها الروحي شخصية غريبة معقدة بلغها الغموض وتلتقي فيها المتناقضات؛ سعيد اعراب، " موقف الموحدين من كتب الفروع وحمل الناس على المذهب الحزمي " مقالة مجلة دعوة الحق المغربية، العدد 249 رمضان 1405هـ/ 1985م، ص26 - 30.

سعوا في تقديمه، وهيؤوا ذلك له ثلاثة، وهم من أهل الجماعة "[1].

سعى الموحدون إلى إنهاء حكم المرابطين وسلطتهم في المغرب والأندلس بعد ضعفهم وانهزامهم بالمعارك مع الأسبان وظهور التمردات ضدهم، فدخل الموحدون إلى مدينة فاس عام 540هـ/ 1145م ومدينة مراكش عام 541هـ/ 1146م وبعدها تم عبورهم إلى الأندلس.

عبر الموحدون إلى الأندلس بقيادة عبد المؤمن بن علي بدافع مواجهة الخطر الأسباني وذلك بعد سقوط عدد كبير من المدن منها طليطلة التي عجز المرابطون من إعادتها إلى الإسلام. كما سقطت شنترين وماجة وماردة واشبونة وغيرها، ويذكر ابن الخطيب الغرناطي عن عبور الموحدين بقوله: " ولما اضطرب أمر المرابطين من لمتونة بالأندلس، وضعفوا وكثرت الفتن والثورات، واغتنم العدو ذلك، واستولى على البلاد، واشتهر ظهور الدولة المؤمنية... وتعلقت آمال المسلمين بهم، واستصرخهم الناس، وثاروا بمن ببلادهم من المرابطين، سوء جوار وحباً في الإدالة وتبدل الملوك،... فأجابهم صاحب الدعوة الأمير عبد المؤمن بن علي وبعث اليهم جيشه... ووفد عليه أهل الأندلس وأنشدته الشعراء "[2].

استجاب الموحدون لاستغاثة علماء الأندلس في العبور لنجدة بلدهم والوقوف إلى جانب محنتهم أمام أطماع الممالك الأسبانية وهجماتها العنيفة والمستمرة والمدعومة من الكنيسة المسيحية، وممن وفد على الأمير الموحدي عبد المؤمن في مراكش القاضي أبو بكر ابن العربي الأشبيلي (ت 543هـ/ 1148م)

---

(1) المراكشي، المعجب، ص284.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص265؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص14 - 15 (احداث عام 541هـ)، المراكشي، المعجب، ص311 " ووفد عليه في هذا الموضع وجوه الأندلس للبيعة، كاهل مالقة، وأغرناطة، ورندة، وقرطبة، واشبيلية، وما والى هذه البلاد وانضم اليها، وكان له بهذا الجبل يوم عظيم، اجتمع له وفي مجلسه فيه وجوه البلاد ورؤسائها واعيانها وملوكها من العدوة والأندلس ما لم يجتمع لملك قبله واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداءً ".

مع عدد من علماء أشبيلية لتقديم دعمهم وبيعتهم للأمير الموحدي[1].

تم عبور الموحدين عن طريق سبتة وأقام في جبل طارق شهوراً كما ورد ذلك بالنص الآتي: " وخرج يقصد جزيرة الأندلس، فسار حتى نزل مدينة سبتة، فعبر البحر، ونزل الجبل المعروف بجبل طارق وسماه جبل الفتح، فأقام به أشهراً، ابتنى به قصوراً عظيمة، وبنى هناك مدينة هي باقية إلى اليوم "[2].

عمل الموحدون على إنهاء الوجود المرابطي في الأندلس، واستعدوا عسكرياً لمواجهة أخطار الممالك الأسبانية كما جاء بالخبر الآتي: " وطلبوا منه (عبد المؤمن) النصرة على الإفرنج، فجهز جيشاً كثيفاً وسير معهم وعمر أسطولاً وسيره في البحر فسار الأسطول إلى الأندلس وقصدوا مدينة أشبيلية وصعدوا في نهرها وبها جيش من الملثمين فحضروها براً وبحراً وملكوها عنوة "[3].

استنفر الأمير عبد المؤمن من القبائل الهلالية العربية النسب الأصيل في المغرب وسمح لعدد منهم بالعبور إلى الأندلس مستفيدين منهم في القتال، فاختلطوا بالمجتمع في مدن الأندلس، وقد نظمت عليهم القصص الشعبية منها سيرة أبي زيد الهلالي "[4].

وفي عام 557هـ/ 1161م حدثت معركة مرج الرقاد في غرناطة مع قوات

---

(1) النباهي، المرقبة، ص106؛ المقري، نفح، ج2، ص30؛ المراكشي، المعجب، ص31 " وفد عليه في هذا الموضع (جبل الفتح) وجوه الأندلس للبيعة، كاهل مالقة، وأغرناطة، ورندة، وقرطبة، واشبيلية، الحجي، التاريخ الأندلسي، ص457.

(2) المراكشي، المعجب، ص310؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: د. عبد الهادي التازي، بيروت، 1383هـ 1964م، السفر الثاني، ص147 " انشاء المدينة سنة 545هـ " الحميري، الروض، ص21 " وكان احد خلفاء بني عبد المؤمن امر ببناء مدينة على جبل طارق، فندب اليها البنائين والنجارين وقطاع الحجر للبنيان والجيار منكل بلدة، وخطت فيه المدينة وقدم اليها من المال ما يعجز كثرة، واتخذ فيها الجامع وقصراً له، وقصوراً تجاوره للسادة بنيه... " ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص265.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج9، ص14 - 15 (احداث عام 541هـ).

(4) المراكشي، المعجب، ص328 - 330.

المتمرد ابن مردنيش امير شرق الأندلس وحليفه ابن همشك، انتصر فيها المتمردون على الموحدين، وعند سماع خبر الهزيمة أرسل الخليفة عبد المؤمن جيشاً جراراً من المؤمنين إلى الأندلس أسند قيادته إلى ابنه أبي يوسف يعقوب لنجدة الموقف، وخسر بعدها المتمرد ابن مردنيش في معركة فحص الجلاب عام 560هـ/ 1165م مع القوات الموحدية وانسحبت القوات إلى مدينة مرسية. وفي عام 567هـ/ 1171م دخل ابن مردنيش إلى طاعة الموجدين[1].

أشادت المصادر بالسلطان الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن علي وقال له: " كان ملكاً كبيراً، جاز إلى الأندلس،... وفتح حصن بلج من حصون الروم، وانصرف إلى المغرب بعد أن قرر أمور الأندلس، ثم جاز في سنة 580، ونازل مدينة شنترين، فأصيب بجراحه من قبل حامية النصارى لم تحطه، فكانت منا وفاته بمحلة غزاته "[2].

إن الخليفة يوسف كان قوياً لدرجة أن " صالحه ملك صقلية وأرسل إليه بالإتاوة "[3]. " وكثرت في أيامه الأموال واتسع الخراج"[4].

استغل الأسبان الفرص وانتهزوها لتشديد هجماتهم على مدن الأندلس وذلك عند غياب قيادة القوت الموحدية وعبورها إلى العدوة المغربية في عهد الخليفة ابي يعقوب الموحدي كما جاء بالرواية الآتية: " وكان النصارى من أهل طليطلة

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج5، ص75 " واستشهد في ذلك اليوم العصبة كثير من الموحدين والأندلسيين وكان رزاءً عظيماً وخطباً جسيماً، ج5، ص88 - 90؛ ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص259 - 262؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص78 - 79 (احداث عام 557هـ).

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص369؛ ابن عذاري المراكشي، البيان (قسم الموحدين)، ج5، ص79، تعريف بالخليفة عبد المؤمن ورفاقه، المراكشي، المعجب، ص345 - 349 كان الامير يوسف مهتماً بالادب واللغة والفقه والفلسفة وغيرها، ويجمع الكتب عنها. وظهر في عصره الفيلسوف ابن رشد وان طفيل، و" كان يقيم في القصر عنده اياماً ليلاً ونهاراً لا يظهر ".

(3) المراكشي، المعجب، ص365.

(4) المصدر نفسه، ص367؛ ابن عذاري المراكشي، البيان (قسم الموحدين)، ج5، ص104.

وشنترين طول مدة مغيب أمير المؤمنين قد ألحوا على بلاد الأندلس بالنكاية وشن الغارات على القرب والبعد من بلاد الإسلام، فلما وصلت البشائر بوفاة أمير المؤمنين نشطت النفوس لجهاد أعداء الله الكفار فأبلوا فيهم بلاء من أخذ بالثار"[1].

تولى الخليفة يعقوب بن يوسف السلطة الموحدية بعد وفاة الخليفة ابو يعقوب يوسف عام 580هـ/ 1184م " وكان ملكاً جليلاً فاضلاً ورعاً، فتح البلاد الأفريقية، واستخلص ميورقية وأوقع بطاغية الروم الوقيعة العظمى المنسوبة إلى الأرك، بلغ عدد القتلى بها 30 الفاً، وواصل العقد وعقد السلم "[2].

حدثت معركة الأرك Alarcos عام 591هـ/ 1195 م بين القوات الإسلامية المكونة من الموحدين والأندلسيين وجيش مملكة قشتالة بزعامة الملك الفونسو الثامن Alfonso VIII الذي تحصن في حصن الأرك الذي يقع على بعد 20كم من مدينة قلعة رباح Calatrava.

تحدثت المصادر الإسلامية عن معركة الأرك بشيء من التفاصيل لأهميتها ومكانتها التاريخية حيث حققت نصراً مبيناً للمسلمين على قشتالة.

لم تحترم قشتالة وملكها الفونسو الثامن الهدنة الموقعة مع المسلمين عام 586هـ/ 1190م وأمدها خمس سنين وعند انتهاء المدة أخذت قشتالة تشن هجماتها وغاراتها على ثغور الأندلس وتهدد أمن وسلامة المسلمين كما ورد ذلك بالنص الآتي: " ووجه (المنصور).

من رباط الفتح عن ولاة الأندلس ليوادعوا على أشغالهم وكافة أعمالهم فلما وصلوا عليه وقد انصرفت مدة صلح ملك قشتالة فبعث المذكور اللعين إلى جميع ثغور المسلمين المجاورة له لينذرهم ويحذرهم وقد كان وجه رسله إلى عقد المهادنة واظهر بعده المكيدة فأعقبه الله سوء غدره وأحاق به وبال مكره... "[3].

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان (قسم الموحدين)، ج5، ص143.
(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص369.
(3) ابن عذاري المراكشي، البيان (قسم الموحدين)، ج5، ص217؛ المقري، نفح، ج4، ص381 " ولما انقضت مدة الهدنة، ولم يبق منها الا القليل خرجت طائفة من الافرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عبثاً فظيعاً، فانتهى الخبر اليه (المنصور)

=

اهتم الموحدون بالمعركة من حيث التنظيم والتجهيز والاستعداد العسكري كما ورد بالنص: " واخذوا (المسلمون) مراكزهم وقدموا رجالهم وترتبوا بالصفوف ووقفوا كالبنيان المرصوص، المنصور مع أهل بيته ومن جرت عادته أن القبائل بالتزام ساقته من وراء الجميع يشد ظهورهم، ويرى ويسمع شهودهم وحضورهم"[1].

انتصر المسلمون بالأرك بقيادة الخليفة المنصور الموحدي ومعه الأندلسيون وكبد الأسبان خسائر جسيمة قدمتها المصادر بالأرقام العالية " وكان عدد من قتل من الفرنج 146 ألفاً وأسر 13 ألفاً وغنم المسلمون منهم شيئاً عظيماً فمن الخيام 143 ألفاً ومن الخيل 46 ألفاً ومن البغال 100 ألف ومن الحمير 100 ألف. وكان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم شيئاً فهو له سوى السلاح وأحصى ما حمل إليه منه فكان زيادة على 70 ألف لبس وقتل من المسلمين نحو 20 ألفاً "[2].

استمرت المعركة يوماً واحداً ولكن المسلمين حققوا فيها نصراً عظيماً بجهادهم وصبرهم وعزمهم، عاد الخليفة الموحدي المنصور إلى أشبيلية لينظم شؤون بلاده وأصلح المسجد بين مئذنة الجامع بأشبيلية التي عرفت بالمدورة وبالأسبانية La Giralda على غرار المسجد الجامع بمراكش.

-

فتجهز بقصدهم في جيوش موقره وعساكر مكتبه، واحتفل في ذلك وجاز إلى الأندلس سنة 591 فعلم به الافرنج " المراكشي، المعجب، ص405 " فخرجت خيل الاذفونش تدوس البلاد وتجوس خلالها، إلى أن كثر عيثها بالأندلس " الحميري، الروض، ترجمة رقم 9 (الارك)، ص12 " حصن منيع بمقربة من قلعة رباح اول حصون اذفونش بالأندلس وهناك كانت وقعة الارك على صاحب قشتالة ومعه النصارى على يد المنصور يعقوب بن يوسف ين عبد المؤمن بن علي على ملك المغرب في سنة 591".

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان (قسم الموحدين) ج5، ص9؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص232 " عند قلعة رباح بمكان بعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالاً شديداً " انظر: مقالة بالأسبانية عن معركة الارك للمستشرق الأسباني ويثى ميراندا في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد.

Ambroso Hici Miranda " La Campana dc Alarcos. vol. II. Madrid 1954 p.1.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج9، ص232.

ويـذكر أن الخليفـة المنـصور الموحـدي بعـد أن اسـتقر بأشـبيلية بعـد حملتـه الجهادية الثالثة " اخذ في تجديد أعمال البر وبـث الـصدقات في الـسر وأكـد النظـر في تتميم ما بقي من الجامع المكرم من الأطراف وإكمال فحل المنار "[1].

عاد المنصور الموحدي إلى العدوة المغربية بعد أن وقع صلحاً مع حـاكم قـشتالة ألفونسو الثامن لمدة عشر سنوات اعتباراً من عام 594هــ/ 1197م كـما ورد بـالنص " وجهوا رسلاً لهم فيطلب الصلح على ما عهد من شروط الأحكام فاسعوا فيه على حكم شريعة الإسلام"[2].

وفي العدوة المغربية احتفل الموحدي ابتهاجاً بنصره عـلى قـشتالة في الأرك ومـن فضائله وإحسانه على الرعية في المغرب بأعذار الأطفال بمراكش وأن يجعل في يـد كـل واحد منهم دينار من الذهب ودرهم من الفضة وحبة من الفاكهة الخـضراء ليـشتغل بها الطفل عن ألمه ويصرف الدينار في مداواته فكان يذهب في ذلك كلـه فـوق الألـف ألف ما بين ذهب وفضة فكان هذا من مكارمه التي لم يسبقه أحد إليهـا مـن الملـوك المتقدمين ومن فضائله المشهورة في الوجود أمر به شكله اليهود وذلك أنهم كـانوا قـد علوا على زي المسلمين وتشبهوا في ملابسهم بعليتهم وشـاركوا النـاس في الظـاهر مـن أحوالهم فلا يميزون من عباد اللـه المؤمنين فجعل لهم صـفة كحـداد ثكـلى المـسلمين ارتداء قميصهم طول ذراع في عرض ذراع زرق وبرانس زرق وقلانس رزق"[3].

لم تحترم قشتالة وتلتزم بالاتفـاق المعقـود مـع الموحـدين وحـاول ملـك قـشتالة التحرش بـالثغور الإسـلامية مـن أجـل الحـصول عـلى مكـسب عـسكري يعوضـه عـن الخـسائر التـي لحقـت بقواتـه في الأرك، فـصار يحـرض الكنيـسة والممالـك الأسـبانية المجاورة ويجمع له أكبر عدد من المؤيدين والحاقدين على الأنـدلس، كـما يوضـح لنـا الحميري بقولـه: " اسـتغاث (الفونـسو بـن شـانجة الثـامن) بأهـل ملتـه وكاتـب مـن

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان، ح5، ص227 - 228.
(2) المصدر نفسه، ج5، ص228.
(3) المصدر نفسه، ج5، ص228.

قرب وبعد منهم، وشكا إليهم ما دهاه من المسلمين وحثهم على حماية دينهم ونـصر ملتهم، فاستجابوا به وجاؤه من كل جهة وانثالوا عليه فكان فيها وقيعة العقاب عـلى الملك الناصر في عام 609 ما هو مذكور في موضعه "[1].

والعقاب موضع بالأندلس بين مدينة جيان Jaen وقلعة رباح Calatrava حـدثت فيها الموقعة التي خسر فيها الموحدون مع قشتالة وذلـك في عـام 609هــ/ 1212م في عهد الخليفة أمير المؤمنين محمد بن المنـصور يعقـوب بـن يوسـف بـن عبـد المـؤمن الملقب بالناصر.

وتعزو المصادر أسباب الخسارة في حادثة العقاب إلى ما يأتي:

1. مداهمـة الملـك الفونـسو الثـامن مـن حـاكم قـشتالة وجيـشه الـذي داهـم المسلمين على غفلة وعجلة " فعبأ الأدفنش جيوشه ورتـب أصـحابه ودهـم المـسلمين وهم على غير أهبة، فانهزموا "[2].

2. " وأكبر أسباب هذه الهزيمة اختلاف قلوب الموحدين، وذلك أنهم كـانوا عـلى عهد أبي يوسف يعقوب يأخذون العطاء في كل أربعة اشهر، لا يخل ذلك مـن أمـرهم، فأبطأ في مدة أبي عبد الـلـه هذا عنهم العطاء، وخصوصاً في هذه السفرة، فنسبوا ذلك إلى الوزراء، وخرجوا وهم كارهون ". فبلغني عن جماعة منهم أنهم لم يسلوا سيفاً ولا شرعوا رمحاً ولا أخذوا في شيء من أهبة القتال بل انهزموا لأول حملـة الإفـرنج علـيهم قاصدين لذلك "[3].

3. استهانة الخليفـة الموحـدي النـاصر بـالموقف الحـربي بعـد أن حقـق نـصراً في بداية المعركة في شـلبطرة Salvatierra عنـد قلعـة ربـاح مـن قيـام الممالـك الأسـبانية والكنيسة المسيحية في تقدم المساعدات والنجـدات جـراء الاسـتغاثة والنـداءات التـي أطلقها الفونـسو الثـامن حـاكم قـشتالة في حـين لم يقـدر الخليفـة الموحـدي الموقـف

(1) الحميري، الروض، ص109، 137، ترجمة رقم 125 (العقاب).

(2) المراكشي، المعجب، ص457.

(3) المصدر نفسه، ص457؛ الروض، ص137؛ ابن عـذاري المراكـشي، البيـان، ج5، ص263 " فكـان الظهور اولاً للمسلمين على أن الموحدين لم يجدوا في تلك الغزوة ولا نصحوا فيها لاجل نكبـة اميرهم الناصر ".

هذا، كما ورد بالنص الآتي:

" وكان الملك الناصر اعجب بفتح شلبطرة وكتب بذلك إلى الآفاق، وخفى عنه ما فرط الغيوب من خبر العقاب، ورجع إلى أشبيلية ظافراً غانماً، ثم استغاث الأذفونش بأهل ملته، وحثهم على حماية دينهم، فاستجابوا وانثالوا عليه من كل مكان "(1).

4. استخدام الأسبان وأتباعهم أسلوب الغش والخديعة وإشاعة خبر الصلح والهدنة المعقودة مع المسلمين بأنها سارية المفعول ونافذة حالياً من أجل إيقاف القتال من جانب المسلمين، كما ورد ذلك بالخبر الآتي: " ومخادعة النصارى لباقي الأجناد باشتهار الصلح والعمل على ضده، حتى خالطوهم على غفلة، فأخذ المسلمون في فرار فأسمع بمثله "(2).

5. كثرة أعداد المقاتلين الأسبان جراء النجدات الصليبية التي التحقت بالجيش الأسباني وقد جاءتهم من أنحاء أوروبا وبمساعدة قشتالة وخرج الأدفنش - لعنه الله - من مدينة طليطلة في جموع ضخمة "(3).

6. يتهم صاحب الأشغال عند الموحدين والمعروف بابن المثنى بأنه يتحمل المسؤولية الكبرى في الخسارة في واقعة العقاب لخيانته كما جاء بالخبر " وذكروا أن بعض الناس كما يقول: مدهل قل لابن المثنى يردها، يعنون بذلك صاحب الأشغال الذي نكث انشياخ الموحدين ". وذلك لعدم اهتمامه بالأمر وتكليف نفسه في بذل الجهود الحربية المطلوبة فاعتبر خائناً. وصفت الرواية الإسلامية خسارة معركة العقاب وأعزتها إلى أسباب عديدة وتحدثت عن الخسارة بأسلوب الأسف والألم العميق، فوصفها ابن الخطيب الغرناطي بقوله: " فكانت على المسلمين

---

(1) الحميري، الروض، ص138؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج5، ص261 " وأن السلم الذي كان بين الموحدين وبين صاحب قشتالة حان أن ينقضي اجله وحده".

(2) المراكشي، المعجب، ص456، 458؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج5، ص263 " فاستعد له الطاغية وجمع أهل قشتالة اجمعين وغيرهم من سائر جموع النصرانية الذين هم للجزيرة مكتتفون ".

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان، ج5، ص263.

الهزيمة الكبرى المنسوبة إلى العقاب "[1].

كانت العقاب نهاية حكم الموحدين نهاية وجودهم في الأندلس، على الرغم من الجهود التي بذلوها في الحملات الجهادية مع الممالك الأسبانية، ومما يجدر الإشارة إليه التعامل الوحشي الذي مارسته الجيوش القتالية مع المسلمين في القتل والتخريب والتدمير، كما أوردت لنا المصادر والروايات التاريخية منها الخبر الآتي: "وحملت الروم فقصدت الراية ظناً منها أن الناصر عندها، فوضعت السيف فيمن واجهها" فقتلت خلقاً... وانهزم الناس واستولى العدو على جميع المحلة وأكثر مضاربها، ثم استولى الروم بعد ذلك على مدينتي بسطة Baza وباغو Priego وما جاورهما من القرى والحصون، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية ". وحصل حاكم قشتالة على أموال وثروات هائلة ولم يكتف بذلك بل عمل على حرق المساجد الإسلامية بعد معركة العقاب، كما أكد لنا النص المذكور: " وفصل الأدفنش - لعنه الله - عن هذا الموضوع بعد أن امتلأت يداه وأيدي أصحابه أموالاً وأمتعة من متاع المسلمين، فقصد مدينتي بياسة (Baeza) وأبذة (Oviedo)، فأما بياسة فوجدها أو أكثرها خالية، فحرق دورها وخرب مسجدها الأعظم... ثم دخلها عنوة وسبى وغنم، وفص هو وأصحابه من السبي من النساء والصبيان بما ملؤوا به بلاد الروم قاطبة "[2].

هكذا كانت النهاية المؤلمة لمعركة العقاب التي غيرت الميزان الحربي ضد مصالح الموحدين على الرغم من الجهود الحربية التي قام بها الموحدون لكن الإنجازات تقاس بالانتصارات وتنتعش وتزدهر بإعادة المدن الأندلسية المسلوبة بيد الممالك الأسبانية بالإضافة إلى حماية الثغور الأندلسية من الهجمات والتحرشات المسلحة[3].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص270؛ المراكشي، المعجب، ص458 " وكانت هذه اشد على المسلمين من الهزيمة! " ابن عذاري المراكشي، البيان، ج5، ص263 " وقعة العقاب التي كانت السبب في هلاك الأندلس إلى الآن ".

(2) الحميري، الروض، ص138.

(3) المراكشي، المعجب، ص458 وانظر: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص331.

الفصل السادس

1 - سلطنة غرناطة ونهاية الحكم العربي في الأندلس.

2 - جغرافية غرناطة، العوامل التي ساعدت على صمودها، سياسة غرناطة اتجاه قشتالة وأرغون.

3 - جدول بأسماء سلاطين غرناطة وسنوات حكمهم، وأبرز حروبهم وإصلاحاتهم.

4 - أسباب ضعف وسقوط غرناطة ومعاهدة التسليم.

5 - الأندلس بعد معاهدة التسليم، الثورات، محاكم التفتيش، الهجرة من الأندلس.

سلطنة غرناطة ونهاية الحكم العربي في الأندلس

انحسر الحكم العربي الإسلامي في الأندلس في سلطنة غرناطة التي أصبحت يتيمة وثكلى مدن الأندلس بعد ضياع اغلب مدن الأندلس بيد الأسبان النصارى تدريجياً ابتداءً من سقوط طليطلة عام 478هـ/ 1085م بيد ملك قشتالة الفونسو السادس فضلاً عن فقدان عدد من مدن وحصون الأندلس بالمعارك في عهد الموحدين.

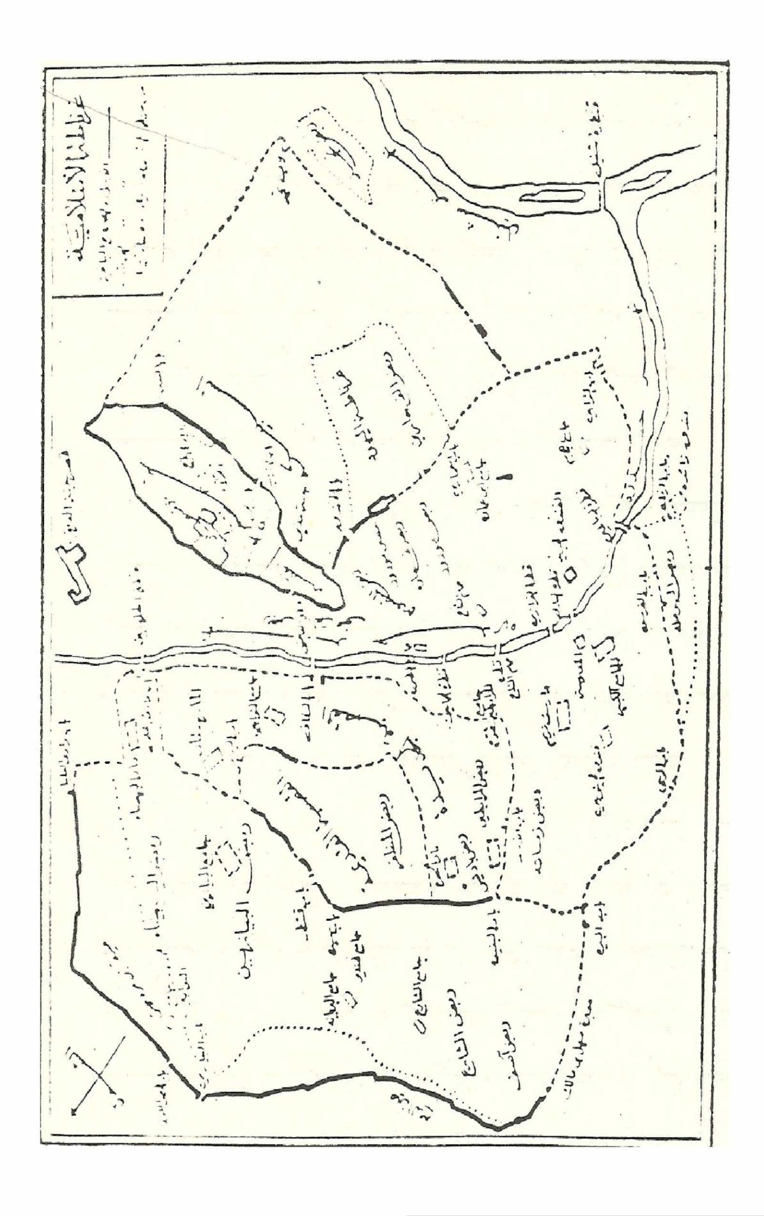
كانت غرناطة المملكة المجاهدة البطلة التي تحدت كل المصاعب والأزمات والهدنات والاتفاقيات والحيل والخدع والمقاومة الحربية من الأعداء، وظلت صامدة تبذل من التضحيات الكثيرة وتتحمل كل المسؤوليات والمهمات الشاقة والخطيرة من أجل بقاء الإسلام بالأندلس.

حاول محمد بن يوسف هود الجذامي من أن يجمع شمل عدد من المدن الأندلسية تحت طاعته وسيطرته بعد أن أنهى الوجود الموحدي بالأندلس بعد الخسائر العسكرية التي لحقت بهمك، كما ورد ذلك في النص التالي: " هو الذي تعين (بن هود) صاحب الأندلس من بعد انقراض دولة الموحدين، وملك مرسية وقرطبة وأشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية، وما إلى ذلك بحال اجتماع وافتراق وانتزاء من أهلها عليه وشقاق، وكان يدعى بأمير المسلمين، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل على الله... قليل المبالاة بالأمور، محدوداً لم ينصر به جيش، ولا وفق له رأي، لغلبة الخفة عليه واستعجاله الحركات ونشاطه إلى لقاء الأعداء من غير كمال استعداد"[1].

---

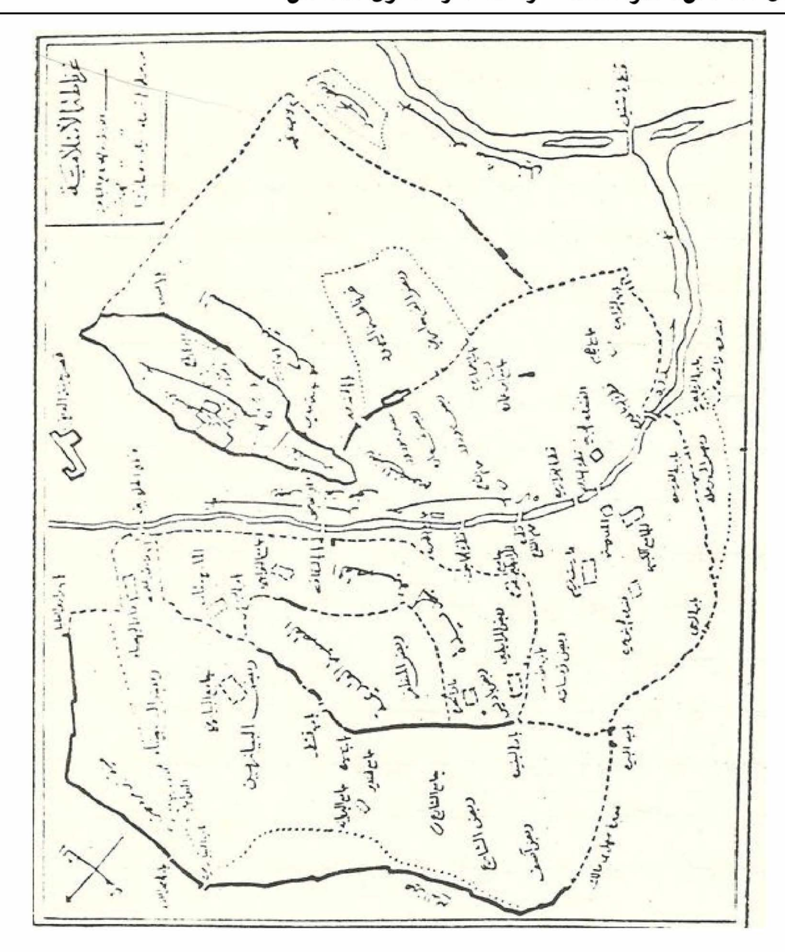
(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص277 - 278؛ المراكشي، المعجب، ص475 "... وخطب للعباسيين خلفاء بغداد، واتخذ السواد شعاراً، ثم لم يلبث أن دانت له جيان وقرطبة وماردة، وبطليوس، ثم فقد الموحدون غرناطة " الحميري، الروض، ترجمة 109، ص178 " الصخور حصن صغير على نهر مرسية في الأندلس فيه دعا لنفسه محمد بن هود سنة 625

=



=

" ابن عذاري المراكشي، البيان، ج5، ص276 " وفي سنة 625 كان ابتداء ظهور ابي عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي بشرق الأندلس " وسمي بأمير المؤمنين ومعز الدين وتلقب بالمتوكل على الله.



أقام ابن هود علاقات مع الخلفاء العباسيين وذكر اسمهم بالخطبة في الأندلس واتخذ شعارهم للتقرب منهم كتغير جديد في السياسة الأندلسية ومن أجل الحصول على تقليد المستنصر الخليفة ببغداد فاستبصر الناس في دعوته، وشاع ذكره، وملك القواعد "[1].

شن ابن هود حروباً عديدة مع المتمردين في داخل الأندلس ومع الممالك

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص279؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج5، ص289 "وعلى قيامهم بالدعوة العباسية وخلعهم للدولة الموحدية".

الأسبانية، لكنه لم يحقق انتصارات فيها " وجرت على ابن هود هزائم شهيرة ووقائع مذكورة "[1].

وتكبد ابن هود خسائر عسكرية مع قشتالة بسبب انعدام خبرته الحربية وعدم حرصه ومبالاته بالنتائج وعدم الاستجابة للصراخات التي تعالت في مدن الأندلس جراء التمردات والتحرشات الأسبانية والتي أشعلت فتيل الموقف السياسي والعسكري فضلاً عن تدهور الأوضاع الاقتصادية حيث تطلب الموقف من البحث على من ينقذ الأندلس من الخطر الذي لاح في الأفق، وتوجهت أنظار الرعية وعلقوا الآمال على ابن الأحمر وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر ويلقب بالشيخ والغالب بالله لإنقاذهم "[2].

وقد ظهر على المسرح السياسي منافساً لابن هود، منقذاً ومدافعاً عن الإسلام وأهله في الأندلس.

جغرافية غرناطة:

غرناطة أو غرناطة وتعرف في الأسبانية (الرمانة Granada) وتعرفها المصادر بمدينة البيرة " أغرناطة البيرة "[3] ووصفها الحميري بقوله " البيرة: من كور الأندلس جليلة القدر، نزلها جند دمشق من العرب.. وحولها أنهار كثيرة، وكانت حاضرة البيرة من قواعد الأندلس الجليلة، والأمصار النبيلة، فخربت في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فهي اليوم قاعدة كورها، وبين البيرة وغرناطة ستة أميال "[4].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص279؛ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج5، ص289 "تحرك المتوكل على الله بن هود بجيوش عظيمة من المسلمين فوجد قد ولوا منهزمين هنالك من اجل وكان من طبعه ملولا عجولا وكانت هذه الغزوة اول غزواته واضخمها فلم ينصر فيها".

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1978هـ ص42 " سلطان الأندلس، ودائلها وجذم الآراء النصرين بها، يلقب بالغالب بالله... جندياً ثغرياً شهماً ".

(3) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر عالم الكتب، بيروت 1409هـ/ 1989م، ج2، ص537، 566.

(4) الحميري، الروض، ترجمة رقم 25، ص29؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا،

وعرفها مؤرخ غرناطة ووزيرها ابن الخطيب قائلاً: " يقال غرناطة ويقال أغرناطة وكلاهما أعجمي وهي مدينة كورة البيرة، في بينهما فرسخان وثلثا فرسخ، والبيرة من أعظم كور الأندلس[1]. وتحدث ابن غالب عن كورة البيرة بقوله: "أرضها سقياً، غزيرة الأنهار كثيرة الثمار ملتفة الأشجار حسن فيها شجر الجوز وقصب السكر وفيها المعادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص ونحاس وحديد ومعدن وحجر التويتاء وهي أشرف الكنوز نزلها جند دمشق وبها جبل الثلج... ولها مدينة غرناطة أقدم مدن كورة البيرة وأعظمها ويشق النهر مدينتها وهو المعروف بنهر القلزم ومخرجه من جبل شلير ويلتقط فيه سحالة الذهب "[2].

تتفق أغلب المصادر على تمجيد كورة البيرة من حيث الموقع الجغرافي والمناخ وجغرافيتها وتاريخها السياسي والعسكري كونها آخر إمارة أو مملكة عربية إسلامية في الأندلس دام حكمها قرنين ونصف من الزمان استطاعت أن تتصدى لكل أشكال التحديات وأصعبها وأخطرها في التاريخ وذلك بفضل ابرز العوامل والاستعدادات الآتية:

الطبيعة الجغرافية حيث إن غرناطة تحيطها الجبال الشامخة من اغلب جهاتها جعلتها قلعة محصنة مغلقة الأبواب والمداخل أمام الأعداء.

1. الموقع الجغرافي لمدينة غرناطة في الجنوب الأندلسي وبعدها عن المماليك الأسبانية وقربها من العدوة المغربية التي ما انفكت عن تقديم العون

=

طبع بولاق، د. ت، ج5، ص213 - 222.

(1) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: محمد عيد الله عنان، دار المعارف، (ذخائر العرب: 17)، مصر 1375هـ 1955م، المجلد الاول، ص99؛ ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص21؛ ابن الخطيب الغرناطي، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: د. محمد كمال شبانه، الرباط 1397هـ 1977، ص62 (غرناطة).

(2) ابن غالب، ترصيع الاخبار، ص14. جبل الثلج بالأسبانية Sicrra Ncivada ومن الجبال المشهورة بالعظم في بلد الأندلس منها البيرة وهو جبل الثلج، وهو متصل بالبحر المحيط المتوسط " البكري، المسالك والممالك (نشر بعنوان جغرافية الأندلس وأوربا (تحقيق: د. عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد بيروت 1387هـ 1968 م، ص84.

والنجدات لبلد الأندلس.

2. الاستعدادات العسكرية التي وفرها سلاطين غرناطة خلال قرنين ونصف وحكم فيها أكثر من عشرين سلطان وكان لدعم وإسناد السلاطين المرينين حكام المغرب وتقديم العون العسكري المتمثل بمنظمة مشيخة الغزاة " تلك المؤسسة الجهادية التي دربت المسلمين على القتال وحمل السلاح والتحلي بأخلاق الإسلام والالتزام بتعاليمه وقاد المشيخة شيخ الغزاة أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء المريني[1] وقامت المنظمة بنشاط جهادي ودور حربي متميز وصد الهجمات الأسبانية. كما أبدعت غرناطة أواخر حكمها بتطوير الأسلحة وصناعة المدافع والقذائف البارودية[2] جراء تصاعد ذروة الخطر الحربي الأسباني والهجمات على المسلمين، وتم بناء التحصينات والدفاعات المتمثلة بالحصون والقلاع منها حصن الحمراء.

3. خيرات غرناطة وثرواتها ساعدت المقاتلين على الصمود والاستفادة من المحاصيل الزراعية المتنوعة وذلك بفضل خصوبة الأرض وجودة المناخ ووفرة المناخ ووفرة المياه والخبرة العالية بالزراعة والصناعة.

سياسة غرناطة تجاه قشتالة وأراغون Aragon / Castilla

استمرت قشتالة بأعدائها العسكري وعدم التزامها واحترامها للمواثيق

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص93 " شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء " القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، ص12 - 19 (مشيخة الغزاة بمدينة مالقة).

(2) عن المدفعية في سلطنة غرناطة يستفاد من مقالة محمد عبد الله عنان "من تراث الادب الأندلسي الموريسكي - كتاب العزة والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع - لابن زكريا الأندلسي " مقالة مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، العدد 16 (مدريد 1971)، ص11، د. سهيل زكار " المدفعية في اوائل القرن 17 - دراسة وتعريف " مقالة في مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد (49) بيروت، تشرين الثاني، 1982، ص3 - 17، يحتوي المقال على 8 لوحات مصورة من اصناف المدافع والقذائف المتطورة وانظر: ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص85، ابيات من الشعر في وصف آلة النفط وهي:

وظنوا بأن الرعد والصعق في السماء   فحاق بهم من دونها الصعق والرعد

غرائب اشكال سما هرمس بها   مهندمة تأتي الجبال فتنهد

والمعاهدات والهدنات المبرمة مع المسلمين فضلاً عن هجماتها العنيفة على الثغور والأراضي الأندلسية كما أنها ما انفكت على تجنيد جواسيسها وتحريض الحاقدين والمتمردين وتشجيعهم ودعمهم مادياً ومعنوياً من أجل إضعاف الأندلس والعمل على إنهاء وجوده على أرض شبه الجزيرة الأبيرية.

بذلت غرناطة كل الجهود من أجل مواجهة التحديات الأسبانية المتمثلة بمملكة قشتالة وأبرز حكامها المعاصرين بسلطنة غرناطة هم: فرنادو الثالث Fernando III عام 650هـ/ 1252م، الملك الفونسو العاشر (العالم أو الحكيم)AlfonsoX El Sabio عام 683هـ 1284م الملك سانجو الرابع SanchoIV عام 695هـ/ 1295م.

أما أبرز حكام مملكة أراكون فهم الملك خايمي الأول Jaime I ق675هـ/ 1276م. الملك الفونسو الحادي عشر Alfonso XI عام 751هـ 1350م الذي توفي بالطاعون الذي انتشر في جيشه بعد موقعة طريف[1].

قدمت الكنيسة المسيحية المساعدات إلى الممالك الأسبانية في هجماتها على الأندلس واعتبرت جهودها تلك كجزء من الحروب الصليبية المسيحية حيث سقط على يدهم عدد من كبرى مدن الأندلس منها: قرطبة 633هـ/ 1235م بلنسية 636هـ/ 1238م أشبيلية 646هـ/ 1248م وغيرها فضلاً عن مسقط عدد من الحصون والقلاع وتخريب المساجد والحقول.

اتخذ سلاطين بني الأحمر في غرناطة شعاراً إسلامياً جهادياً له معانٍ عميقة تمثل بعبارة " ولا غالب إلا الله " تأكيداً على نصرهم وصمودهم بعون الله على الأعداء.

اتبعت غرناطة سياسة مرنة ومتغيرة حسب الحاجة والظروف المطلوبة في التعامل مع قشتالة وأراغون امتازت بالتنازل وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات وإبرام

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص235.

الهدنات وأحياناً القوة العسكرية والدفاع عن القيم والمبادئ العربية الإسلامية من أجل الحفاظ على نداء الإسلام في الأندلس وعندما يشتد الخطر وينذر بالانفجار وتستنجد غرناطة بالمرنيين أهل العدوة المغربية لنصرة إخوانهم في بلد الأندلس ورد العدوان عنهم، كانت سنوات غرناطة وأيامها جهاداً ونضالاً وتضحيات ودروساً وعبراً تاريخية فضلاً عن ازدهار الحركة العلمية والاقتصادية والعمرانية التي شهدتها سلطنة غرناطة مع الممالك الأسبانية فنوجزه بالفقرات الآتية:

لعب المرينيون دوراً بطولياً بارزاً في حماية غرناطة والدفاع عن الأندلس من هجمات قشتالة وأراغون، وكان للسلطان المريني يعقوب المنصور موقعاً جهادياً عظيماً حيث عبر بقواته إلى الأندلس أربع مرات لصد اعتداءات الأسبان من مملكة قشتالة وحليفتها ملكة أراكون، ويذكر لنا المقري جهاد بني مرين وصفاً عنهم بقوله: " لم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال، وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالأندلس غزاة، فكانت لهم وقائع في العدو مذكورة، ومواقف مشهورة، وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطة، وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة "[1].

حقق المرينيون انتصارات ساحقة على الأسبان منها عام 677هـ/ 1278م حيث غبر السلطان المريني يعقوب المنصور وهاجم بجيوشه مملكة قشتالة ثم عاد بعدها إلى عدوة المغرب، وفي عام 678هـ/ 1279م هاجم الأسطول المريني بقيادة الأمير أبا يعقوب ابن السلطان المريني المنصور أسطول قشتالة وهزمه[2].

وحدث لقاء عسكري كبير في عام 7187هـ/ 1318م بين القوات الإسلامية التي انتصرت بقيادة شيخ الغزاة المريني أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء ومعه 6 آلاف مقاتل عنهم و1500 فارس على القوات الأسبانية لمملكة قشتالة التي تضم أعداداً كبيرة من المتطوعين النصارى، كما أورد لنا ذلك المقري بقوله: " وجاءها

(1) المقري، نفح، ج4، ص385.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص388 - 390.

الطاغية دون نظرة في جيش لا يحصى ومعه 25 ملكا، وكان خبر الوقعة أن الإفرنج حشدوا ودمعوا وذهب سلطانهم دون نظرة إلى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي يقال له الباب، وسجد له وتضرع، وطلب منه استئصال مما بقي من المسلمين بالأندلس، وأكد عزمه، فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها، وعزموا على الاستنجاد بالمريني ابي سعيد صاحب فاس، وأنفذوا اليه رسلاً، فلم ينجح ذلك الدواء فرجعوا إلى اعظم الأدوية وهو اللجوء إلى اللـه تعالى واخلصوا النيات، واقتل الإفرنج في جموع لا تحصى فقضى ناصر من لا ناصر له سواه بهزم أمم النصرانية، وقتل بطاغيتهم دون بطرة ومن معه، وكان نصراً عزيزاً ويوماً مشهوداً"[1].

استمرت حياة غرناطة في نزاع وصراع حربي مع الممالك الأسبانية طيلة حياتها محاولة العيش بسلام مع الجيران الأسبان النصارى، وكثيراً ما دخلت غرناطة في مفاوضات واتفاقيات وتقديم الأموال للأسبان لترضيتهم كان ذلك بدافع الحفاظ على الأرض وعدم التفريط بها وضياعها بكل الوسائل والإمكانيات المتاحة لها، وقد حققت غرناطة انتصارات رائعة على العدو ومقابل خسارة بسيطة مع الأسبان، وكان للمرينيين موقف بطولي مشهود وروائع في تقديم العون والدعم المادي والمعنوي كما لاحظنا ذلك.

معركة طريف عام 741هـ/ 1340م:

حدثت هذه المعركة العظيمة في مدينة طريف Tarifa في الجنوب الأسباني وعند مقرب من نهر سلادو Salado لذلك عرفت المعركة في المصادر الأسبانية باسم النهر، وحدثت في عهد السلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (736 - 749هـ/ 1332 - 1348م وهو عاشر ملوك بني مرين بفاس) حيث عهد بقيادة المعركة إلى ابنه أبي عامر بسبب مرض السلطان، وقد عبرت القوات المرينية من العدوة المغربية إلى الأندلس واصطدمت بالقوات

---

(1) المقري، نفح، ج4، ص499 - 450.

الأسبانية بقيادة مملكة قشتالة، وكان هدف السلطان المريني هو السيطرة على مضيق جبل طارق والمحافظة على الأندلس والمغرب من هجمات القوات النصرانية. وتحدث ابن الخطيب الغرناطي المعركة بقوله: " ثم كبر الفنش هذا، فاستولى على ثغر وبرة عند فتنة الغزاة بأندرش، ثم على بلد أطيبة، والحفرة المنسوبة إليها، أوقع بالمسلمين الوقيعة العظمى بطريف ثم نال قلعة يحصب على ستة فراسخ من الحصرة وتملكها "[1]. خسر المسلمون معركة طريف واستشهد عدد كبير من المسلمين منهم والد المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي وأخوه[2] ومن العلماء القاضي محمد بن يحيى بن بكر الأشعري " واستمر على عمله من الاجتهاد والرغبة في الجهاد، إلى أن فقد (رحمه الله) في مصاف المسلمين، يوم المناجزة الكبرى بظاهر طريف شهيداً محوصاً، يشهد البصائر ويد من الأبطال، ويشير على الأمير أن يكثر من قول " حسبنا الله ونعم الوكيل! " وقد كتف دابته التي كان عليها راكباً، وهو رابط الجأش، مجتمع القوى، وأنشأ عليه بالركوب... "[3]. تحدثت المصادر عن معركة طريف ونتائجها المؤلمة ووصفتها بحالات الألم والحزن والحسرة وتعابير منها " الوقيعة العظمى " و" المناجزة الكبرى " و" الكائنة الشنعاء "[4]. وقعت معركة

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص335 واورد المعركة في ص291، 334، انظر: ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا ابا الحسن، تعريب محمود أبو عياد، الجزائر 1981، تحقيق وترجمة للأسبانية للمستشرقة مارياخسوس بيكيرا، مدريد 1977.
Ibn Marzuq. Musnad.estudio. traduccion. anotacion. indices Por Maria JVigucra Molines. IHAC. Madrid 1977. PP. 219.254.299. 300 381 (Batalla Dc La Salada).

الحميري، الروض، ترجمة رقم 118، طريف ص127.

(2) المقري، نفح، ج5، ص12، 17، ازهار الرياض، ج1، ص187.

(3) النباهي، المرقبة، ص146 - 147.

(4) المصدر السابق، ص161، ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص108 " ومن ملوك النصارى، بقشتالة الفونس بن هرانده بن شانجه بن الفونش بن هرانده إلى عدد جم، وكان هذا الطاغية مرهوباً ملكاً مجدداً هبت له الريح وعظمت به في المسلمين النكاية وتملك الخضراء بعد ان وقع بالمسلمين الوقيعة العظمى بطريف، ثم نازل جبل الفتح، وكاد يستولي على الأندلس " وانظر ص106 عن ابي الحسن المريني.

طريف أيام حكم السلطان الغرناطي يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بنت نصر الأنصاري الخزرجي: عانى شدائد العدو فكرم يوم الوقيعة العظمى بظاهر طريف موقفه "[1].

الدبلوماسية الغرناطية:

اتبع سلاطين غرناطة أسلوب الحوار والاتفاق مع الأسبان والصراحة في التعامل بعقلية دبلوماسية وذلك عند يلوح الخطر ويشتد ويتعقد الموقف فتضطر غرناطة إلى الدخول في المفاوضات والتنازل أحياناً عن الامتيازات من أجل الحفاظ على مستقبل الوجود العربي الإسلامي في الأندلس.

عمل السلطان محمد بن يوسف بن نصر عند تأسيس سلطنة غرناطة على وضع حد للهجمات الأسبانية والاجتياح المسيحي لمدن الأندلس، فلم يجد سبيلاً إلا الاتفاق مع الملك فرنادو الثالث Fernando III حكام قشتالة فعقد معه معاهدة جيان عام 643هـ/ 1246م التي يمكن اعتبارها شهادة ببلاد لسلطنة غرناطة وبموجبها اعترف بتبعيته لملك قشتالة، بل كان عليه أن يؤدي دوراً مهنياً هو المشاركة بحملة من فرسانه في الحصار الذي ضربه فرنادو الثالث على أشبيلية حتى دخلها في عام 646هـ/ 1248م فضلاً عن دفع الجزية المالية الكبيرة وذلك من أجل أن تنعم غرناطة بالهدوء والاستقرار والعيش بسلام مع جيرانها، ويؤكد لنا ذلك ابن الخطيب بقوله " وفي سنة ثلاث وأربعين (وستمائة) صالح طاغية الروم وعقد

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص102، 104، 106، 108، 109، ص114 تم اغتيال السلطان يوسف الاول عام 755هـ يوم عيد الفطر بالمسجد، ابن الخطيب الغرناطي، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: د. احمد مختار العبادي، دار النشر المغربية د. ت مقدمة المحقق ص32، 44، 47 المقري، نفح، ج1، ص452، ج5، ص14 - 15 الحجي، التاريخ الأندلسي، وقعة طريف ص543 - 548.

معه السلم الممتدة الأمد "[1].

وفي عهد السلطان محمد الثاني الملقب بالفقيه والذي تولى حكم غرناطة عام 671هـ/ 1273م حيث ظهرت دولة بني مرين في العدوة المغربية والتي صار لها دوراً بارزاً في حماية الأندلس والدفاع عنه حيث تم الاتفاق مع سلطان غرناطة على تشكيل فرقة عسكرية مغربية ثابتة في غرناطة يقودها قائد مريني عرفت " بمشيخة الغزاة " كما ذكرنا ذلك سابقاً.

وفي عام 700هـ/ 1301م تم عقد معاهدة تحالف بين السلطان محمد الفقيه والملك خايمي الثاني Jaime II ملك أراكون بعد أن واجه السلطان الغرناطي الحملة العسكرية لملك قشتالة على مدن شرق الأندلس[2]. اتبع السلطان الغرناطي محمد الثالث (المخلوع) (حكم في أعوام 701 - 708هـ/ 1302 - 1309م) سياسة جديدة مع سلطنة غرناطة مع مملكته قشتالة الأسبانية وذلك بأن عقد اتفاقاً وهدنة عام 702هـ/ 1303م بالوقت الذي تدهورت فيه العلاقة الغرناطية المرينية مؤقتاً، مما دفع الموقف هذا السلطان المريني إلى عقد تحالف مع قشتالة وأراكون عام 708هـ/ 1309م لمهاجمة غرناطة واسترداد مدينة سبتة التي استولى عليها السلطان الغرناطي، كما حاصر ملك أراكون خايمي الثاني مدينة المرية واستولى الملك فرناندو الرابع Fernando IV حاكم قشتالة على جبل طارق[3].

وتم عقد صلح بين سلطنة غرناطة ومملكة أرغون في عهد ملكها بدروا الرابع

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص48، ص43 "وعقد السلم الكبير، وتهنا امره، مكي، تاريخ الأندلس، ص128، واذا كان قد هادن قشتالة بل واعترف بتعيينه لها خلال ايام فرنادو ثم السنوات الاولى من حكم ابنه الفونسو فإن ذلك لن يكون سياسة ثابتة له ولخلفائه من بعده، بل إن ملوك غرناطة سوف ينتهجون سياسة مرنه تتراوح بين المهادنة عند قوة خصومهم واستعمال القوة إن انسوا في جيرانهم الضعف وكثيراً ما كانوا يعملون على التضريب بين جيرانهم المسيحيين أو يتدخلون في شؤونهم الداخلية.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص390؛ اللمحة، ص63.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص66؛ مكي، تاريخ الأندلس، ص130.

Pedro IV[1].

وفي عهد السلطان محمد الخامس (الغني بالله) (حكم في الأعوام 755 - 793هـ/1354 - 1391م) تم توقيع معاهدة صداقة وتحالف عسكري مع الملك بطرة الأول (القاسي) Pelro حاكم قشتالة الذي أغضب مملكة أراكون التي تنازع قشتالة "وتضمن العقد مع ملك قشتالة منابذة المتغلب على الأندلس وأعانته على استرجاع حقه فكان العمل على ذلك "[2].

جدد السلطان الغني بالله الصلح مع قشتالة عام 770هـ/ 1369م وعقد هدنة لمدة ثماني سنين على أثر مقتل ملك قشتالة بطرة الأول وتم تنصيب ملك جديد وهذا ما يؤكد على سعي غرناطة وجنوح السلاطين إلى السلام مع الجيران. وفي عام 772هـ/ 1371م تم عقد معاهدة مع مملكة أراكون.

لم تلتزم الممالك الأسبانية باحترام المعاهدات والاتفاقيات والهدنات المبرمة مع الأندلس وهذا ما لاحظناه عبر التاريخ وكانت قشتالة تنتهز أحياناً الفرص والظروف أو تسعى على التحريض على شن هجمات على غرناطة من أجل إضعافها وهذا ما حدث في عام 834هـ/ 143م في معركة الشجرة La Higueruela وبها حققت قشتالة وحصل على مكاسب عسكرية على غرناطة[3].

جدول بأسماء سلاطين غرناطة وسنوات حكمهم:

1 - السلطان محمد بن يوسف بني الأحمر، ويلقب (محمد الأول / الغالب بالله/ والشيخ) حكم الأعوام 635 - 671هـ/ 1237 - 1203م.

2 - السلطان محمد الثاني الملقب ب (الفقيه) حكم في الأعوام 671 - 701هـ/ 1273 - 1302م.

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق، محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي القاهرة 1386هـ/ 1966م، ص103 - 104.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص114 وفي ص113 " افتتحت ايامه (الغني بالله) بالسلم والهدنة " مكي، تاريخ الأندلس، ص130.

(3) مكي، تاريخ الأندلس، ص133.

3 - السلطان محمد الثالث ويلقب (المخلوع) حكم في الأعوام 701 - 708هـ/ 1302 - 1309م.

4 - السلطان نصر ويلقب (أبو الجيوش) حكم الأعوام 708- 713هـ/ 1309 - 1314م.

5 - السلطان إسماعيل الأول حكم الأعوام 713 - 725هـ/ 1314 - 1325م.

6 - السلطان محمد الرابع حكم الأعوام 725 - 733هـ/ 1325 - 1333م.

7 - السلطان يوسف الأول يلقب (أبو الحجاج، الغالب بالله) حكم الأعوام 733 - 755هـ/ 1333 - 1354م.

8 - السلطان محمد الخامس يلقب (الغني بالله/ المخلوع - وهو أعظم سلاطين غرناطة وحكم أطول مدة) الفترة الأولى حكم الأعوام 755 - 760هـ/ 1354 - 1359م.

9 - السلطان محمد السادس ويلقب (الغالب بالله/ البرميخو بالأسبانية الأحمر Bermejo) حكم الأعوام 761 - 763هـ/ 1360 - 1362م.

10 - السلطان محمد الخامس يلقب (الغني بالله) مدة حكمه الثانية شملت الأعوام: 763 - 793هـ/ 1362 - 1391م.

11 - السلطان يوسف الثاني، يلقب (أبو الحجاج) حكم الأعوام 793 - 797هـ/1391 - 1394م.

12 - السلطان محمد السابع حكم الأعوام: 797 - 811هـ/ 1394 - 1408م.

13 - السلطان يوسف الثالث حكم الأعوام: 811 - 820هـ/ 1408 - 1417م.

14 - السلطان محمد الثامن يلقب (الأيسر) حكم الأعوام: 820 - 831هـ/ 1417 - 1428م. (مدة حكمه الأولى).

15 - السلطان محمد التاسع يلقب (أبو عبد الله الصغير أو الزغير) حكم الأعوام: 831 - 835هـ/ 1428 - 1431م.

16 - السلطان محمد الثامن، يلقب (الأيسر) مدة حكمه الثانية في الأعوام: 835 - 837هـ/ 1432 - 1433م.

17 - السلطان يوسف الرابع، يلقب (أبو الحجاج / ابن المول) مدة حكمه أشهراً.

18 - السلطان محمد الثامن، يلقب (الأيسر) مدة حكمه الثالثة.

19 - السلطان محمد العاشر، يلقب (الأعرج وبالأسبانية el Cojo والأحنف) مدة حكمه الأولى.

20 - السلطان يوسف الخامس مدة حكمه الأولى.

21 - السلطان محمد العاشر، يلقب (الأعرج، الأحنف) مدة حكمه الثانية شملت الأعوام 849 - 863هـ/ 1445 - 1458م.

22 - السلطان يوسف الثاني مدة حكمه الأولى في الأعوام: 863 - 867هـ/ 1458 - 1462م.

23 - السلطان يوسف الخامس مدة حكمه الثانية في الأعوام: 867 - 868هـ/ 1462 - 1463م.

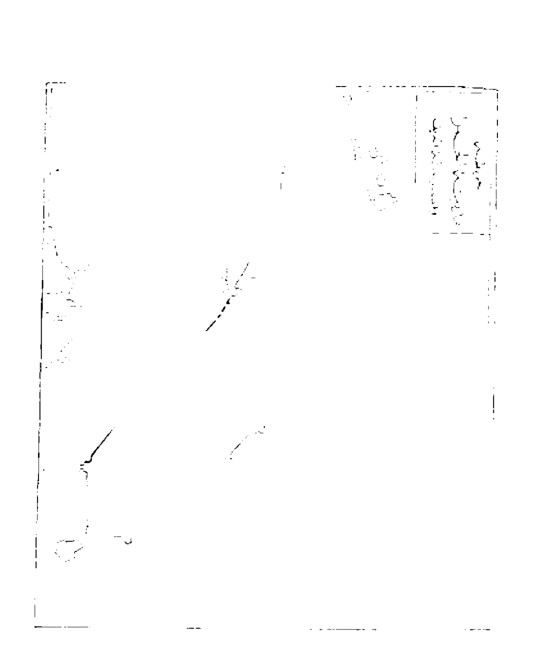
24 - السلطان سعد.

25 - السلطان علي بن سعد، ويلقب (الغالب بالله) حكم الأعوام: 868 - 887هـ/ 1463 - 1482م.

26 - السلطان محمد الحادي عشر يلقب (ابو عبد الله الصغير، وبالأسبانية Boabdil) مدة حكمه الأولى.

27 - السلطان محمد الثاني عشر، يلقب (الزغل تعني الشجاع والباسل، وبالأسبانية el Zagal, EL bravo) حكم الأعوام: 888 - 892هـ/ 1482 - 1487م.

28 - السلطان محمد الحادي عشر، يلقب (أبو عبد اللـه. الصغير) مدة حكمه الثانية شملت الأعوام: 892 - 897هـ/ 1487 - 1492م.



إصلاحات سلاطين غرناطة:

شهدت غرناطة خلال مدة حكم السلاطين والتي شملت قرنين ونصفاً من الزمان جمل إصلاحات في نواحٍ عديدة يمكن إيجاز أبرزها بالنقاط الاتية:

1 - بناء وتوسيع حصن الحمراء La Al-hambra، حيث بني على هضبة مرتفعة يبلغ طولها 736 م وعرضها 200م وتشغل 35 فداناً على ضفة نهر حدرة el Darro، واتخاذها باديس بن حبوس مركزاً لحكمه، وأنشأ سوراً ضخماً حول التل وفي داخله قصية اتخذها مقاماً له ومركزاً لحكومته، واتسعت القلعة وزيدت حتى حكم محمد بن الأحمر سلطان غرناطة عام 635هـ/ 1238م. وشيد قصره وحصنه وأطلق عليه الحمراء، وجلب له الماء من نهر حدره، وأنشأ فيه عدة أبراج منيعة منها

البرج الكبير المسمى برج الحراسة Torre de Vela، وسوراً ضخماً يمتد حتى مستوى الهضبة، أما عن تسمية القصر بالحمراء، فتذكر الروايات أن ذلك يعود إلى احمرار ابراجه الشاهقة منها قلعة الابراج الحمراء وبالأسبانية Castillo do Torres Bermejas ورواية تقول إلى لون الآجر الأحمر الذي بنيت به الأسوار الخارجية، ورواية ثالثة تقول إلى لون المشاعل الحمراء التي كان يجري البناء ليلاً على ضوئها، ورواية رابعة تقول نسبة إلى بني الأحمر مؤسسي سلطنة غرناطة حيث امتازت بشرتهم بالحمرة[1].

ولا تزال غرناطة تحتفظ بمعالمها التاريخية حيث تبرز شموخ أبراج الحمراء فوق هضبتها الغالية، وأعظم آثارها الإسلامية الشاخصة قلعة قصر الحمراء وقصر جنة العريف (بالأسبانية el Generife) الواقع بشرقه على مسافة قليلة، وقد كان وصيفاً لسلاطين غرناطة / وقصر شنيل Alcazar Genil، والخان Alhendiga، أما المسجد الجامع وبقية المساجد الأخرى فقد هدمت جميعاً وقامت على آثارها الكنائس - كما سنرى - . كما أمر السلطان محمد الأول ببناء المارستان الأعظم (المستشفى) وانفق عليه اموالاً عظيمة، وعنى بتحصين الثغور[2]. واهتم السلطان محمد الثالث ببناء المسجد الجامع الأعظم بالحمراء " أعظم مناقبه ابتناء المسجد الأعظم " الحمراء على ما هو عليه الظرف والتنجيد والترقيش في فخامة العمد واحكام اتوار الفضة وابداع ثرياتها"[3] " كما تم بناء القصر السلطاني بحمراء غرناطة"[4].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص43 يذكر أن السلطان ابو عبد الله محمد بن يوسف الاول الملقب بالغالب بالله "ابتنى حصن الحمراء وجلب له الماء وسكنه" عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة 1386هـ/ 1966م، ص289 - 290 روايات عن تسمية الحمراء.

(2) عنان، نهاية الأندلس، ص147.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص62 - 63.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال، ص306، 333؛ عنان، نهاية الأندلس، ص289 - 290 في تفاصيل هامة.

2 - ازدهار الحركة الفكرية: كان سلاطين غرناطة من حماة العلوم والآداب، وذلك جرياً على سنن حكام الأندلس السابقين بالأندلس، وكان بلاط غرناطة يسطع بتقاليده الأدبية الزاهرة، وكان سلاطين بني الأحمر أنفسهم في طليعة العلماء والأدباء، وأشهرهم محمد بن الأحمر الذي اتصف بحمايته للعلم والأدب، وكانت له أيام خاصة يستقبل بها الشعراء وبحضرته ينشدون قصائدهم[1].

وامتاز السلطان محمد الثاني بصفات ثقافية، كما وصفه ابن الخطيب الغرناطي: " قام بالأمر بعد أبيه وباشر مباشرة الوزير أيام حياته فجرى على سنن من اصطناع أجناسه ومداراة عدوه وإجراء صدقاته، وأربى عليه بخلال: منها براعة الخط وحسن التوقيع ولإيثار العلماء، من الأطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء، وقرض الأبيات من الشعر وكثرة الملح وحرارة النادرة "[2].

وكان السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (733 - 755هـ) وولده السلطان محمد الغني بالله (755 - 793هـ) حيث كان السلطان أبو الحجاج عالماً أديباً اهتم بالفنون، كما اشتهر امير أبو الوليد إسماعيل بن السلطان يوسف الثاني معروفاً بأدبه وبراعة نثره وصنف كتابا عنوانه " نثير الجمان فيمن نظمه وإياه الزمان" وفيه ترجمة للأعلام في الشعر والأدب.

كما اهتم السلطان أبو الحجاج يوسف الأول من إنشاء المدارس و" في أيامه بنيت المدرسة العجيبة بكر المدارس في حضرته، فتمت وكملت أوقافها، وبنى الحصين السامي الذروة المنبئ عن القدرة في الجبل المتصل بقصبة مالقة "[3].

ظهرت طبقة من الشعراء والأدباء البارعين منهم شاعر غرناطة أبو الحسن بن الجياب ويسميه ابن الخطيب الغرناطي "شيخنا ابو الحسن" "وظهر الأشعري المالقي حيث تولى الأحكام الشرعية شيخنا الإمام العلم الأوحد خاتمة الفقهاء

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص43.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص50، وفي ص61 السلطان محمد الثالث" كان يقرض الشعر، ويصغي اليه، ويثيب عليه، فيجيز الشعراء ويرضع الندماء، ويعرف مقادير العلماء، ويواكل الاشراف والرؤساء.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة، ص109.

وصدر القضاة والعلماء أبو عبد الله محمد بن يحيى الأشعري المالقي"[1] وغيرهم كثيرون.

أما مؤرخ غرناطة أن الخطيب الغرناطي ذو الرياستين = السيف والقلم، حيث كان وزيراً لسلاطين غرناطة وكاتباً ومؤرخاً وفقيهاً وطبيباً حيث ألف في الطاعون الوباء الذي أصاب غرناطة كتاباً بعنوان " حقيقة السائل عن المرض الهائل ".

ازدهرت الحركة الأدبية ونظم الشعر وقد حفظت لنا جدران ونافورات قصر الحمراء بأبيات من الشعر الأندلسي في اغراض الوصف والاعجاب والمفاخرة بالحياة العاملة في غرناطة[2].

اما العلوم العقلية أو الصرفة فقد أصابها الركود، وقلما نعثر على عدد من أقطاب الطب والفلسفة أو العلوم الرياضية أو غيرها أو ربما يعود ذلك إلى انشغال المسلمين إلى الجهاد ومواجهة الخطر الأسباني وقد ظهر في غرناطة ابو الفضل محمد عبد المنعم الجلياني الطبيب والشاعر والأديب أصله بن جليان Guillena[3].

أسباب ضعف وسقوط غرناطة:

نوجزها بأبرز النقاط الآتية:

1 - ضياع عدد كبير من الحصون والقلاع بيد الأسبان وفقدان جبل طارق بيد قشتالة عام 867هـ/ 1462م كان إنذاراً للخطر حيث منعت وصول المساعدات والنجدات الإسلامية التي تصل من العدوة المغربية إلى الأندلس[4]. تحدث المؤرخ

---

(1) المصدر نفسه، ص95 وانظر الجياب ص58، 71، 89؛ المقري، نفح، ج4، ص326؛ ج5، ص22 - 75.

(2) اميليو غرسية غومز، اشعار عربية على جداران ونافورات الحمراء.
Emilio Garcia Gomez, Poemas Arabes en Los Muros Y Fuentes de la Alhambra.
المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد 1985 بالأسبانية وابيات الشعر بالعربية.

(3) عنان، نهاية الأندلس، ص460 - 461.

(4) المرجع نفسه، ص444؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص550 سقوط جبل طارق، عن طريق المفاجأة بيد القشتاليين كان ضربة عنيفة لمسلمي غرناطة مما يتحول دون وصول الامداد من عدوة المغرب بالأندلس.

الفقيه ابن عاصم الغرناطي (ق 857هـ) في كتابه " جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى " عن أحداث غرناطة ومحنتها وضعفها في صور تاريخية منها الصورة الأولى بعنوان " أن يكون الابتلاء متوقعاً في المقتنيات العزيزة على النفوس كالمال والجاه وما أشبه ذلك "[1] مؤكداً على خانة السلاطين وأوضاعهم في رحلة الضعف التي آلت إلى انهيار غرناطة.

2 - ضعف الدول المرينية وانتهاء حكمها في العدوة المغربية عام 869هـ/ 1464م بعد أن عاشت قرنين من الزمان وكانت على الدوام العون والسند المتين لسلطنة غرناطة عندما كان يلوح الخطر في الأفق الأندلسي وعندما تظهر ذئاب قشتالة وأراكون محاولة افتراس غرناطة.

3 - الخلافات السياسية بين سلاطين غرناطة كما حدث بين السلطان أبي الحسن وين ابنه أبي عبد الله الصغير ويتهم بقتل أبيه وينعتونه بالمرتد والخائن، كما تنازع مع عمة الزغل الذي آتهم بالخيانة أيضاً، وكانت نهايته أن عبر إلى المغرب وفرض أهالي غرناطة وقبض عليه سلطان فاس وسمل عينه جراء خيانته وتركه يستجدي الناس العيش[2].

4 - سياسة الدهاء والحيلة والمراوغة التي أتبعها حكام قشتالة وأراكون مع سلاطين غرناطة وعدم الوفاء بعهودهم تجاه المسلمين والتنصل عن احترام المعاهدات والاتفاقيات والهدنات مع غرناطة[3].

5 - دعم الكنيسة المسيحية ومناصرة الممالك الأسبانية الشمالية والمساعدات التي تقدمها والتي تصل على الدوام من دول أوروبا إلى قشتالة وأراكون في صراعها الحربي مع غرناطة والتي اعتبرت بجهاد مسيحي وعرفت تاريخياً بالحملات الصليبية ضد الإسلام في الأندلس.

---

(1) ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى محمد، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق: د. صلاح جرار، الجامعة الاردنية، عمان 1989، في ثلاثة مجلدات.

(2) حومد، د. اسعد، محنة العرب في الأندلس، بيروت، 1980، 95، 96، 97.

(3) المرجع نفسه، ص82.

6 - الكوارث والمجاعات والأمراض والأوبئة التي حلت في غرناطة كالطاعون عام 749هـ/ 1348م وصف عنه ابن الخطيب الغرناطي كتابا - كما أوردناه سابقاً - لوضع علاج للوباء، هذه الأوضاع أضعفت الحياة الاقتصادية لسلطنة غرناطة.

7 - اتحاد قشتالة وأراكون بعد زواج إيزابيلا ملكة قشتالة من فرناندو ملك أركون وذلك في عام 1469م هذه المصاهرة الخطرة جلبت النقمة والمصائب وجمعت القوة والإرهاب على الأندلس[1].

معاهدة تسليم غرناطة:

عقدت بين آخر سلطان غرناطي هو أبي عبد الله الصغير وبين الملكين الأسبانيين هما إيزابيلا Isabela ملكة قشتالة وفرناندو Fernando ملك أراكون في25 تشرين الثاني عام 491هـ (21 محرم عام 897هـ) تضمنت الوثيقة على 56 مادة حسب ما ذكرتها المصادر القشتالية وذكرت 67 مادة حسب ما أوردتها المصادر العربية الإسلامية حيث ضمت وثائق وبنودا سرية مع آخر سلاطين غرناطة أبي عبد الله الصغير وقد ذكرتها المصادر الأندلسية منها المؤرخ المجهول لكتاب " اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر " والمقري في (نفح الطيب) ونقتطف ونلخص أبرز وأهم ما ورد فيها من بنود تتضمن أموراً عامة حسب التسلسل الترقيمي للوثيقة:

1 - يتعهد ملك غرناطة بتسليم المدينة طواعية واختياراً خلال 60 يوماً.

2 - يتعهد الأسبان بترك الملك أبي عبد الله والقادة والوزراء والعلماء والفقهاء والفرسان وسائر الشعب تحت حكم شريعتهم.

3 - ألا يؤخذ من المسلمين خيلهم أو سلاحهم الآن أو فيما بعد سوى المدافع الكبيرة والصغيرة فإنها تسلم.

(1) المرجع نفسه، ص750.

4 - يحق لسكان غرناطة والبيازين وغيرهما، الذين يريدون العبور إلى المغرب.

5 - وأن يتنازل الملكين الكاثولكيان، للملك أبي عبد الله المذكور، ولسكان غرناطة والبيازين وإرباضهما، لمدة 3 سنوات تبدأ من تاريخه، عن سائر الحقوق التي يجب عليهم أداؤهما عن دورهم ومواشيهم.

6 - أنه لا يسمح لنصراني، أن يدخل مكاناً لعبادة المسلمين دون ترخيص ويعاقب من يفعل ذلك.

7 - ألا يولي على المسلمين مباشرة يهودي، أو يمنح أية سلطة أو ولاية عليهم.

8 - وأن يبقى داخل الجوامع والهيئات الدينية أو أية أشياء أخرى مرصودة على الخبر، وكذا دخل المدارس متروكاً لنظر الفقهاء.

9 - وأنه إذا كان مسلم أسيراً، وفر إلى مدينة غرناطة أو البيازين أو أرباضهما أو غيرهما، فأنه يعد حراً.

10 - وألا يدفع المسلمون من الضرائب أكثر مما كانوا يدفعون لملوكهم المسلمين.

11 - وأنه إذا كان أحد من النصارى - ذكر أو أنثى اعتنق الإسلام، فلا يحق لإنسان أن يهدده أو يؤذيه بأية صورة، ومن فعل ذلك يعاقب.

12 - وأنه إذا كان مسلم قد تزوج بنصرانية واعتنقت الإسلام، فلا تزعم على العودة إلى النصرانية.

13 - وأنه لا يرغم مسلم أو مسلمة قط على اعتناق النصرانية.

14 - وأنه إذا شاءت مسلمة متزوجة أو أرملة أو بكر باعتناق النصرانية بدافع الحب، فلا يقبل ذلك منها.

15 - وأن يتمتع اليهود من أهل غرناطة والبيازين وارباضهما، والأراضي التابعة لها، بما في هذا العهد من الامتيازات.

16 - وأنه إذا وقع نزاع بين نصراني أو نصرانية ومسلم أو مسلمة فإنه ينظر أمام قاضي نصراني وآخر مسلم حتى لا يظلم أحدهما مما يقضي به.

17 - وأن يقوم الملكان بالإفراج عن الأسرى المسلمين ذكوراً وإناثاً من أهل غرناطة والبيازين وارباضهما وأراضيهما.

18 - فإنها يجب أن تسلم إليها كل الأسرى النصارى ذكوراً وإناثاً في ظرف 15 يوماً.

19 - أن تعطى الضمانات للسفن المغربية الراسية الآن في مملكة غرناطة لكي تسافر في أمان.

20 - وألا يدعى أو يؤخذ أحد من المسلمين للحرب رغم إرادته، وإذا شاء جلالتهما استدعاء الفرسان، الذين لهم خيول وسلاح، للعمل في نواحي الأندلس، فيجب أن يدفع لهم الأجر في يوم الرحيل حتى في يوم العودة.

21 - وأن يكون المأمورون القضائيون الذين يعينون لمحاكم المسلمين، مسلمين الآن والى الأبد.

22 - وأن يكون المتولون لوظائف الحسبة الخاصة بالمسلمين، أيضاً مسلمين.

23 - وأن يقوم الملكان في اليوم الذي تسلم إليها فيه الحمراء والحصن والأبواب، بإصدار مراسيم الامتيازات للملك أبي عبد الله وللمدينة المذكورة.

وقد ذيلت المعاهدة نبذة خلاصتها، إن ملكي قشتالة يؤكدان ويضمنان بدينهما وشرفها الملكي احترام كل ما يحتويه هذا العهد من كل النصوص[1].

---

(1) حتاملة، د. محمد عبده، التنصير القسري لمسلمي الأندلس، ص19 - 54، عنان، نهاية الأندلس، ص245 - 250، حومد، محنة العرب\، ص98 - 102 بشتاوي، عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، القاهرة 1435و 1983 م، ص106، توبريان، الإسلام في الأندلس أخر بني سراج، ترجمة شكيب ارسلان، بيروت، دار الحيالة، 1985، ذنون، د. عبد الواحد، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، هيئة كتابة التاريخ " دار الشؤون الثقافية العامة " بغداد 1988 ص9 - 12.

اشتملت معاهدة التسليم على ضمانات كثيرة بتأمين حماية أهل غرناطة في أنفسهم وأموالهم وسائر حقوقهم المادية واحترام شعائرهم، غير أن قدوم الكاردينال فرانسيسكو خمنث دي ثيسنيروس Francisco Jimenez de Cisneros إلى غرناطة في تشرين الثاني/نوفمبر 1499م كان سبباً مباشراً وأساسياً ينقض كل تلك الشروط نصاً وروحاً، فقد كان هذا القس المتعصب يرى ضرورة إرغام شعب غرناطة المسلم على اعتناق الدين المسيحي، وأدى ذلك إلى اندلاع الثورات في غرناطة.

أما أبو عبد الله الصغير السلطان الخاسر لغرناطة الذي قدم مفاتيح حصن الحمراء للملك الأسباني فرناندو قائلاً له: " إنهما مفتاحا هذه الجنة، وهما الأثر الأخير لدولة المسلمين في أسبانيا، وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا، وهكذا قضى الله، فكن في ظفرك رحيماً عادلاً"[1].

وغادر عبد الله الصغير إلى الشرات ليقيم مع أسرته وحاشيته وعند مسيره في أرض تل البذول (بادول) تلفت ليلقي النظرات الأخيرة على مجد أجداده العرب في تحسر وتألم وأجهش في البكاء، وشاهدته أمه عائشة وصرخت وقالت لابنها الخسران " أجل فلتبك كالنساء، ملكاً مضاعاً لم تستطع أن تحافظ عليه كالرجال " وصار هذا الموقع أثراً تاريخياً وعنواناً للحزن في التاريخ العربي ويعرف اليوم عند الأسبان: زفرة العربي الأخيرة El ultimo suspiro de Moro وبعدها استقر أبو عبد الله وعائلته في أندرَشْ Andrax عند المرية (جنوب الأندلس)[2].

أصدرت الملكة القشتالية ايزابيلا قرارات وأوامر في مدن الأندلس التي أصبحت تحت السيادة الأسبانية ففي عام 1476م أصدرت في مدريد أمراً بحق المسلمين ومما جاء فيه: حرم على المسلمين أن يلبسوا جوخاً أو حريراً أو ذهباً أو

(1) نقلاً عن الرواية القشتالية التي ذكرتها المراجع الأسبانية مع لوحات مصورة خيالة عن تسليم ابو عبد الله الصغير المفاتيح للأسبان وحالة الخضوع.
المؤلمة والمخزنة اوردها، عنان، نهاية الأندلس، ص266 - 267.

(2) عنان، نهاية الأندلس، ص267.

فضة، كما حرم عليهم أن يكون في عدة خيلهم حريرٌ أو ذهبٌ أو فضةٌ أو جوخ، كل ذلك تحت طائلة مصادرة تلك الأشياء الممنوعة.

كما ألزم المسلمين أن يضعوا على أكتافهم إشارة خاصة مميزة هي عبارة عن قطعة جوخ حمراء وأن يضعوا على رؤوسهم قبعة أو قلنسوة خضراء، أما النساء المسلمات فيجب أن يحملن من الجوخ الأزرق عرضها أربعة أصابع[1].

وفي بلد الوليد Valladolid صدر أمر عام 1408م يحرم على المسلمين واليهود أن يأكلوا ويشربوا مع النصارى ويعاقب المخالف بمائة جلدة.

هذه الأوامر والإجراءات التي تضمنها أصدرت قبل معاهدة التسليم والأفعال والأعمال التي حدثت بعد المعاهدة شبيهة بل وأتعس منهما حيث لم تحترم بنود المعاهدة والتعهدات التي وردت فيها للمسلمين وحدثت أمور عجيبة وغريبة لم تكن بالحسبان حيث تم تحويل الجوامع إلى كنائس فتم تحويل مسجد الطيبين في غرناطة إلى كنيسة في5 كانون عام 1492م خلافا لنص المعاهدة، ثم أجبر المسلمين على التنصر بالقهر والعنف وأخذوا يفتشون عن أسرار المسلمين من عادات وتقاليد وشعائر ويحاسبونهم عليها قضائياً أو عرفياً، فقد اعتبروا النظافة والطهارة والامتناع عن شرب الخمر وعن أكل لحم الخنزير، دلائل على إقامتهم على الإسلام، وأجبروهم على حضور القداس يوم الآحاد في الكنائس، كما خربوا الحمامات العامة ومنعوا المسلمات من استعمال الحناء، وأجبروهن على قشط أظافرهن لإزالة آثار الحناء، حتى أن الكاردينال الأسباني جيفارا عذب المسلمات لاستعمالهم الحناء، كما اجبروا المسلمين بفتح بيوتهم أيام الأعياد ليراقبوا ما يحدث بداخلها من مراسيم لمنعها، ثم ألزموهم على التخلي عن أسمائهم العربية، ولبس الأزياء العربية، واحرق الكاردينال الأسباني خمينث عدداً كبيراً من المخطوطات العربية وغرناطة، وهي عصارة جهود العرب وحضاراتهم وعلومهم

(1) حومد، محنة العرب، ص14 - 15.

وثقافاتهم في الأندلس خلال أكثر من 8 قرون، وذلك في محاولة منه للقضاء على اللغة العربية ولقطع العرب بماضيهم الحضاري(1).

أخذت سياسة التسامح التي طبقها المجلس تضعف، بحيث عجزت عن تنفيذ الشروط المتفق عليها في معاهدة الاستسلام، واعدها المجلس باطلة المفعول، إن فرض على المسلمين أحد أمرين: التنصير القسري أو التهجير القسري(2).

وكانت سياسة أسبانيا تخشى دائماً العرب المسلمين المقيمين في شبه الجزيرة الايبرية من الموريسكيين أو العرب المتنصرين ولكنها كانت تدرك أيضاً مدى أهميتهم الاقتصادية بعد سقوط غرناطة(3).

سعت الملكة ايزابيلا حاكمة قشتالة إلى الإسراع في عملية التنصير القسري وكانت أشد تعصباً من زوجها فرناندو لعلاقتها الوثيقة بالأساقفة والرهبان من رجالات الكنيسة الكاثوليكية المتعصبين والحاقدين على الإسلام(4).

وفي 24 تشرين أول عام 1500 وبعد ثورة البيازين - سنتحدث عنها لاحقاً - في غرناطة تقرر إرسال العديد من الكهان والقساوسة والرهبان إلى غرناطة، بهدف التبشير بالديانة المسيحية وذلك على المذهب الكاثوليكي بالعنف والمطاردة(5).

---

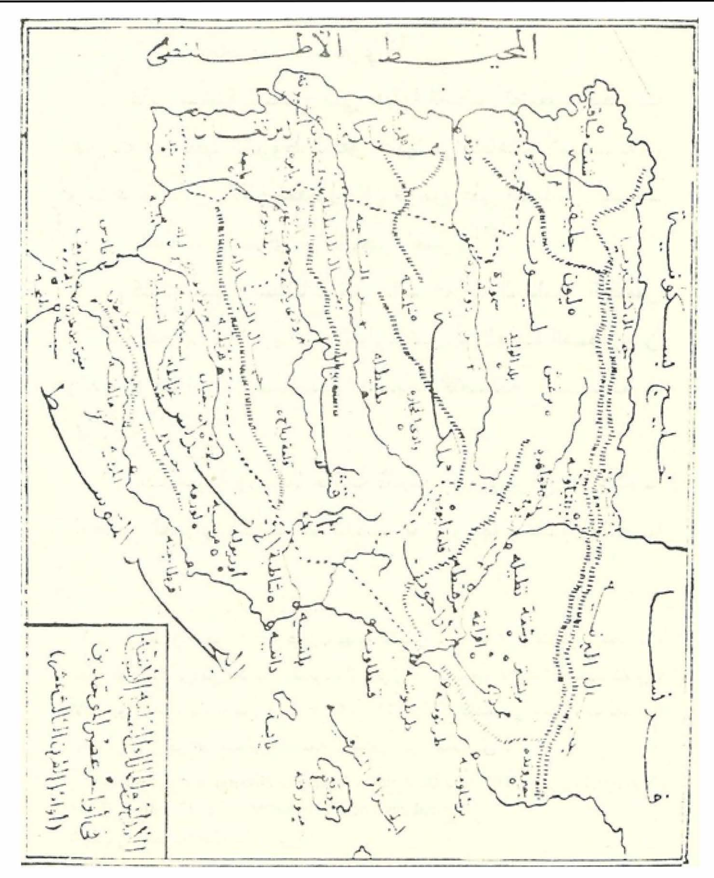
(1) المرجع السابق، ص8 - 9 عنان، نهاية الأندلس، ص316، قشتيلو، محمد، محنة الموريسكوس في أسبانيا، المغرب، تطوان، د. ت، ص34 - 35، بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص107 - 131 146 وكان الأندلسي معروف باسمه الأندلسي بين اخوانه المسلمين وباسمه المسيحي بين المسيحيين.

(2) Cayetan Rosell. Biblioteca De Autores Espanoles Historiadores De Sucesos Particulares Tomo I. (Madrid 1852) C apitulo, P. 153.

(3) ذنون، حركة المقاومة، ص19.

(4) F. Jaime Belda. Cronica De Los Moros De Espana، V alencia. 1618. P. 640. ترجمة حتاملة، التنصير القسري، ص59 وانظر ص63.

(5) حتاملة، التنصير القسري، ص61.



الثورات الغرناطية بعد معاهدة التسليم:

قام المورسيكون الذين أجبروا على النصرانية حيث لجَؤوا إلى التظاهر بها وإبطان الإسلام حفاظاً على دينهم فكم احتملوا وقاتلوا وطلبوا العون من جهات عديدة ولكن بدون جدوى مما اضطرهم إلى الاعتماد على الذات وعون الله سبحانه وتعالى وأعلنوا جهادهم على العدو.

تفجرت الثورات الشعبية العنيفة التي قام بها المسلمين في غرناطة عام 1499 وذلك تعبيراً عن الغضب واستنكاراً لأعمال الإرهاب والغدر التي تعامل بها الإسبان مع الرعايا المسلمين وعدم احترامهم لشعائر وتعاليم المسلمين وما أكدت عليه وثيقة تسليم غرناطة وما التزم وما عهد الملكين بتنفيذها واحترامها ولكن

الواقع جاء عكس ما ورد بالوثيقة، ومن أبرز وأهم تلك الثورات والانتفاضات الشعبية هي:

1 - ثورة البيازين Albaicin في غرناطة عام 904هـ/ 1499م

حدثت في أحد أحياء غرناطة وذلك بسبب اعتداء أحد رجال الشرطة الإسبان على مسلمة بنت مسلم موريسكي، مما دفع الموقف إلى النجدة والثأر حيث هب الموريسكيون استجابة لصرخة تلك الفتاة وتجمع المتظاهرة الغاضبين قرب قصر الحمراء للقبض على الشرطي وتم لهم ذلك وقتلوا ذلك الشرطي بخنجرة من المتظاهرون، وبعدها توجه المتظاهرين إلى بيت الكاردينال فرانسيكوا خمينث سيسنيروس el Cardenal Cisneros حاكم إسبانيا والمشرف الروحي للملكة إيزابيلا الكاثوليكية الذي يسكن في القصبة Alcazaba قرب قصر الحمراء للقضاء عليه فتهيمنوا بالتخطيط لهذا الحادث، فاحتمى الكاردينال في بيت حاكم غرناطة الكونت دي تتديا مستفيداً من علاقته الطيبة مع الموريسكيين، وتم إغلاق الطرق والأزقة التي تؤدي إلى تجمع أكبر عدد من الثوار الصاخبين على السلطة الأسبانية التي حاولت بشتى الطرق والوسائل السلمية إسكات الثورة وإقناع الثائرين على العدول عن تمردهم وبذلك استطاعت تدريجياً عن إخماد الثورة الشعبية العارمة في غرناطة وبعدها تم تأسيس محاكم التفتيش لمواجهة الخطر الموريسكي في غرناطة[1].

(1) حتاملة، التنصير القسري، ص75 - 79، حومد، محنة العرب، ص157، بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص114، توبريان، الإسلام في الأندلس، ص130، ذنون، حركة المقاومة، ص20 - 22، خليل ابراهيم السامرائي وزملائه، تاريخ العرب وحضارتهم، ص303 - 304، مكي " تاريخ الأندلس "، ص135.

2- ثورة البشرات Alpuxarras، Alpujarras عام 906هـ/ 1501م

البشرات أو البوخاراس سلسلة شاهقة من الجبال بنواحي غرناطة وممتدة حتى البحر المتوسط اختارها الثوار المورسكيين معقلاً وحصناً ضد الظلم والتعسف والاضطهاد والاستعباد من الملكيين الكاثوليكيين ومطالبتهم بحقوقهم المشروعة وتعبيراً صريحاً عن مساندة إخوانهم الثوار في حي البيازين ومواصلة جهادهم، وتم تكليف السلطة الأسبانية للكونت تندياً كقائد عام إسباني لملاحقة الثوار المورسكيين، أما الأسباب التي أدت إلى تفجير الثورة نوجزها بأبرز النقاط المهمة الآتية[1]:

وبعد إخماد ثورة البشرات تم وضع المورسكيين المغلوبين على أمرهم أمام خيار أحد الخيارين هما:

1 - التنصير القسري.

2 - التهجير إلى خارج إسبانيا.

فضلاً عن تحويل المؤسسات الإسلامية في غرناطة إلى كنائس للنصارى حيث تم تحويل مسجد غرناطة إلى كنيسة كبرى وتحويل مسجد البيازين إلى كنيسة ومدرسة اسمها كنيسة المخلص، بالإضافة الى تحويل جميع المساجد الأخرى إلى كنائس[2]. كما تم تنصير القسري بداية الأمر إلى أكثر من 50 ألف شخص[3].

ويؤكد كتاب (المؤلفون الإسبان) أن كثرة الاضطهاد وتنوع أساليب واستمراره

---

(1) قشتيلو، محنة الموريسكوس، ص34 - 48 بشتاوى، الأندلسيون المواركة، ص116 - 117، ذنون، حركة المقاومة، ص25 - 31.

(2) عنان، نهاية الأندلس، ص316، ذنون، حركة المقاومة، 40، بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص22، اضافة الملكة ايزابيلا 500 الف متنصر أندلسي إلى سكان قشتالة وليون بعد سنوات قلائل.

(3) حتاملة، التنصير القسري، ص86 نقلاً عن الوثائق في المراجع الأسبانية الأساسية التي اعتمدت عليها حتاملة، د. الحجي، محاكم التفتيش الغاشمة واساليبها، الكويت 1407 هـ 1987، ص27 - 28، ذنون، حركة المقاومة ص31 - 35.

أحدث في نفوس المسلمين تأثيراً شديداً، فمنهم من كان لا يفكر إلا في الثأر بدلاً من اتقاء الشر، حتى أن الإسبان كانوا يفكرون في بعض السنوات في تسليم غرناطة إلى الأمراء المغاربة أو الأتراك في الدولة العثمانية الذين كانوا يعلقون عليهم الآمال[1].

وحدثت ثورات أخرى للموريسكيين في مدن إسبانيا منها في المرية وذلك في تشرين الثاني 1500م بسبب سوء معاملة حاكم المدينة والإجبار على التنصير ونهب الأموال والإجبار على التهجير خارج إسبانيا انتهت الثورة بمقتل عدد كبير من المسلمين الأبرياء واسترقاق النساء والأطفال وتعميد قرابة 1800 شخص بالقوة والإكراه للتنصير[2].

كما وقعت ثورة في جبال رونده Ronda عام 1501 م بسبب سوء معاملة حاكم المدينة الأسباني الذي كان أسقف أشبيلية وانتقل إلى رونـدة وقد أجبر الموريسكيين وأرغمهم على التنصير[3].

وفي كانون الأول / ديسمبر 1568م اندلعت الثورة الموريسكية بعد إعداد حكم وسرية تامة واختار الثوار لقيادتهم أمير يدعى فرناندو أدي فالور deValor ويعرف بابن أمية تمجيد لأصله الأموي، ولجأ مع أنصاره الموريسكيين إلى جبال البشرات الوعرة (معقل الثوار المسلمين في غرناطة) على ظلم حاكم التفتيش وبعث

(1) قشتيلوا، محنة الموريسكوس، نقلاً عن الكتاب الأسباني،
Cayetan Rosell Biblloteca De Los Autores Espanoles.
توبريان، الإسلام في الأندلس، ص130 وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الآذان، وفي المساجد الصور والصلبان بعد ذكر الله فتلاوة القرآن، فكم فيها من عين باكية وقلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين، ولم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين، قلوبهم تشتعل ناراً، ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً، وينتظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان، ويأكلون الخنزير والميتات، ويشربون الخمر التي هي ام الخبائث والمنكرات، فلا يقدرون على منعهم.

(2) حومد، محنة العرب، ص158، بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص119 مرسوم 1502 وتنصير الأندلسيين ورحيل 300 الف مسلم.

(3) حومد، محنة العرب، ص158.

برسله إلى المورسكيين في سائر أنحاء غرناطة يدعوهم إلى خلع الطاعة والعودة سريعاً إلى الإسلام صراحة، وانتشرت الثورة في أنحاء غرناطة والمرية وسبطة ووداي آش، ولم يتمكن حاكم غرناطة المركيز دي وندينحر de Mondejar من إخماد فتيل الثورة على الرغم من مقتل الثائر ابن أمية على إثر مؤامرة دبرت عليه، واختار الثوار لقيادتهم ابن عمه يدعى ابن عبو Abenaboo واسمه الأسباني ديكو لوبث Diego Lopez ودعى نفسه عبد الله محمد واستفحلت الثورة واستولى على آرجنة Orgiva وهي مفتاح غرناطة في تشرين أول / أكتوبر 1569م، وقرر الملك فيليب الثاني إلى أن يبعث أفضل قواده لإخماده الثورة التي انتهت بمذابح مروعة في 1570م[1].

محاكم التفتيش (بالأسبانية Inquisicion)

هيئات قضائية عسكرية ظاهراً وحقيقة مؤسسات صليبية انتمى إليها الرهبان والراهبات المتعصبين والحاقدين والناقمين على المسلمين وحضاراتهم ومجدهم في الأندلس، هدفها الأساسي عملية التنصير القسري أو الجبري وإعادة تراث المسلمين الذي جلب النقمة على الكنيسة ورجالها المنتحلين والمتعصبين، ودفعت أعداد من الشباب المسيحي إلى الاطلاع والتثقف بالثورة العلمية الضخمة للعرب المسلمين في الأندلس مما اغاظ الكنيسة، على ذلك تعمدوا على حرق وإتلاف التراث الإسلامي في إسبانيا بعد سقوط غرناطة بيد الرهبان المتعصبين أمثال خمينث وغيره.

شكلت محاكم التفتيش في الكنائس والأديرة وأحياناً في المساجد الإسلامية القديمة نكاية وتجرحاً للمسلمين وخدم فيها الرهبان والقساوسة الشباب والكبار من الذكور والإناث وأول محكمة للتفتيش في أشبيلية كانت في عام 1480م لمطاردة اليهود[2].

---

(1) مكي " تاريخ الأندلس " ص138 - 139.

(2) المرجع السابق 137.

أصدرت المحاكم التفتيشية للنصارى المتعصبين جميع قراراتها الجائرة على المسلمين نذكر منها:

عام 1524م بإجبار كل مسلم على التنصير والرحيل وتحويل جميع المساجد إلى كنائس.

عام 1525م صدر قرار بمنع المسلمين من ارتداء الملابس العربية الإسلامية وفرض التعميد على الأبناء.

عام 1565م ظهر قرار منع التحدث والكتابة باللغة العربية فظهرت لغة الألخميادوا Aljamiado هي استعمال الكلمات الأسبانية القشتالية بحرف عربي.

عام 1906م أصدر الملك الأسباني فيليب الثالث قرار بطرد جميع المسلمين خارج إسبانيا[1].

أن أولى جلسات محاكم التفتيش (ديوان مجمع قضاة الأيمان الكاثوليكي في أشبيلية) أصدرت أحكام بالموت حرقاً على 16 متهماً، وأنه في مدة ثماني سنوات، تم حرق 700 شخص مسلم، وحكم بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة وأحكام أخرى على 5 ألف شخص بين عامي 1499 - 1502م، وفي مدينة طليطلة Toledo مثل أمام المحكمة 1300 شخص حكم عليهم بالإعدام في جلسة محكمة التفتيش، وكان يطلب من المسلمين التنصير القسري أو الموت حرقاً وفي " البيت المقدس " أو سجن محكمة التفتيش، كان المحققون يبذلون كل المحاولات الممكنة لبث الرعب والخوف في قلب السجين مما يدفعه إلى الاعتراف السريع وكان جو السجن المخيف المظلم العفن كافياً للاعتراف للموت، حيث الغرفة المظلمة وضوء الشمعة الخافت والمحققين المقنعين أو الملثمين وأصواتهم البشعة وتصرفاتهم القاسية نذير بالخوف والموت[2].

وتذكر الروايات وسائل التعذيب والإبادة الوحشية التي قامت بها محاكم التفتيش (بعد صدور مرسوم القائد الفرنسي نابليون بونابرت سنة 1223هـ/

(1) الحجي، محاكم التفتيش، ص32 - 33 نقلاً عن مؤرخ إسباني معاصر.

(2) بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص216 - 217.

1808م) بإلغاء محاكم التفتيش حيث عثرت بعثة عسكرية فرنسية والتي اكتشفت دير قرب مدينة مدريد في إسبانيا كان ما يزال يمارس أعمال وحشية لمحاكم التفتيش فأضلوه وفتشوه وكان عبارة عن دهاليز مظلمة واطلعوا على أدوات التعذيب وغرف صغيرة وفي حجم الإنسان بعضها بشكل عمودي وبعضها الآخر بشكل أفقي فيها فتحات أو نوافذ صغيرة لتصريف الروائح الكريهة التي تخرج من جسم الإنسان الميت بعد التعذيب، كما وجدت البعث الفرنسية في الدير سجناء أو أحياء من نساء ورجال بحالة مزرية حيث كانوا عراة، كما اطلعوا على آلات التعذيب منها لكسر لعظام وسحق الجسم وعثروا على صندوق في حجم رأس الإنسان للتعذيب، وعلى آلة يسمونها السيدة الجميلة وهي تابوت تنام فيه صورة امرأة جميلة مصنوعة على هيئة الاستعداد لعناق من ينام معها. وبرزت من جوانب التابوت عدة سكاكين حادة حيث عمل التابوت خصيصاً لتعذيب الشباب وقتلهم بالتقطيع تدريجياً بالسكاكين، وأدوات لقطع أعضاء الجسد البشري(1).

إن اتباع وسائل التعذيب القاسية سمة اتصفت بها محاكم التفتيش في التاريخ وجلبت الخوف والحيطة والحذر عند الموريسكيين في إسبانيا وتراهم كانوا يخفون كتبهم في الجدران والأعمدة والأسوار وتحت الأرض تجنباً من مطاردة المحاكم الأسبانية فضلاً عن أنهم أخفوا إسلامهم وعاداتهم وتقاليدهم في الأعياد والأفراح كالزواج والختان والأمثلة كثيرة ومتنوعة على ذلك منها حادثة انهيار دار قديمة في قرية خراكو قرب مدينة بلنسية Valencia وذلك بحادثة اصطدام سيارة بحائط سرر الدار الذي أخفيت في داخله عدد من المخطوطات والكتب القديمة الثمينة والنادرة خوفاً من ملاحقة سلطات محاكم التفتيش التي كانت تحاسب وتعاقب من يملك كتاباً لثقافته العربية الإسلامية ويعتبرونه أكبر عدو لهم وسلاح ضدهم(2).

التعذيب ممارسة رافقت ظهور محاكم التفتيش في إسبانيا للحصول على الاعترافات التي ابتدعها الرهبان وصفوا له أدوات منها المخلعة لتحطيم عظام

---

(1) الحجي، محاكم التفتيش، ص35 - 36 نقلاً عن وثائق رسمية.

(2) المرجع السابق، ص25، بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص218.

المتهم والتعذيب بالماء والكرسي الأسباني حيث يربط المتهم به وتدهن قدماه بالسمن أو الزيت وتوضعان تحت نار حامية إلى أن تتقلا، والفلقة والضرب بالعصى أو قلع الأظافر أو ربط الأصابع إلى أن يخرج الدم من تحت الأظافر ودفن الناس أحياء وغيرها من الوسائل المخيفة والمرعبة ذات المعاني الوحشية من وضع الفئران الجائعة على بطن المتهم لتدخل إلى أحشائه بعد إيذائها وتحريكها وغيرها الكثير[1].

الأصداء التاريخية عن ممارسات محاكم التفتيش:

نذكر ردود الفعل الإنسانية على مؤلفين أجانب منصفين عما قامت به محاكم التفتيش الأسبانية من أفعال وأعمال غادرة بحق البشر المسلم والمسالم وحضارته وتراثه من تصرفات غادرة وحاقدة على الوجود الإنساني.

يقول المؤرخ الأمريكي وليم برسكوت W. Prescott عن حوادث حرق المصاحف والكتب الإسلامية لمسلمي غرناطة من قبل الكاردينال الأسباني خمينث دي ستسروس: " إن هذا العمل المحزن لم يقم به همجي جاهل، وإنما حبر مثقف، وقد وقع لا في ظلام العصور الوسطى، ولكن في فجر القرن السادس عشر، وفي قلب أمة مستنيرة، تدين إلى أعظم حد بتقدمها إلى خزائن الحكمة العربية ذاتها"[2].

ووصف ريشيلو كاردينال فرنسا ورئيس وزرائها في عهد لويس الثالث عشر في إبادة العنصر العربي الإسلامي في الأندلس وطرد جميع من تبقى منهم عامي 1609 - 1610م بأنه " أكثر ما عرفه التاريخ في جميع عصوره من أعمال القسوة البربرية والجرأة "[3].

وعن المعاملة الوحشية التي ارتكبها الأسبان بحق بناة حضاراتهم ومجدهم

(1) بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص217 - 218.

(2) نقلاً عن عنان، نهاية الأندلس، ص218.

(3) حومد، محنة العرب، ص5.

العرب المسلمين تحدث رونسمان " وليس للنصارى أي سبب يبرز شكواهم من انتصار الإسلام فقد كان أسعد حالاً في ظل الإسلام منهم في زمن الأباطرة المسيحيين "[1].

ويقول سيركوز " Ciscourt" أن القرآن أمر بحسن معاملة العبيد ولذلك فإن حظ العبيد النصارى كان متعلقاً بطبع أسيادهم ومزاجهم "[2].

ويتهم الكونت سيركور الملكة ايزابيلا القشتالية بحرق نصوص معاهدة التسليم وعدم احترامها لحقوق المسلمين ويقول " أن الإنسان مضطر لأن يلقي بالمسؤولية في جميع هذه الأعمال والتصرفات التعسفية الجائرة على عاتق الملكة ايزابيلا، فهي المرأة العاطفية القاسية، التي لا تعرف اللين ولا الاعتدال، فقد أعمى بصيرتها الكره العنصري والديني الذي للعرب ودينهم ولذلك فإنها في سبيل إرواء غليلها وشفاء حقدها لم تحترم كلمتها ولا العدالة ولا مصلحة عرشها"[3].

ويقول توبريان " وانطفأ من الأندلس الإسلام والإيمان، فعلى هذا فليبك الباكون وينتحب المنتحبون "[4].

استفادت الكنيسة الكاثوليكية من تعصب الملكة أيزابيلا القشتالية وعلاقتها الوثيقة مع الأساقفة والرهبان وصارت الملكة بمثابة ورقة رابحة في أيديهم يستطيعون استغلالها متى يشاءون ويرغبون[5].

الهجرات من الأندلس بعد سقوط غرناطة:

صدرت قرارات ملكية وكنيسية بطرد ونفي ما تبقى من المسلمين في إسبانيا منها قرار 1018هـ/ 1609م بحق مسلمي بلنسية Valencia وفي عام 1019هـ/

---

(1) رونسمات، تاريخ الحرب الصليبية، ج1، ص20، نقلاً حومد، محنة العرب، ص115.

(2) الكونت سبيركور، ج2، ص27.

(3) الكونت سبيركور، ج2، ص4.

Comte De Circourt, Historire De Arabes De Espagac. Paris 1846. IIKP. 4.

(4) توبريان، الإسلام في الأندلس، ص131.

(5) حتاملة، التنصير القسري، ص60، ذنون، حركة المقاومة، ص16 كما حصل رجال الكنيسة على ثقة الملكيين والبابا والأب خمينث.

1610م بحق مسلمي مرسية Muricia وغرناطة، بيانة Buena، قرطبة Cordoba، أشبيلية Sevilla، وأراكون Aragon، ثم صدرت مراسيم أخرى بالطرد حتى عام 1023هـ/ 1614م إلى المغرب مع أولادهم خلال 3 أيام على متن سفن جهزتها أسبانيا لهم[1].

وقد وصفت عملية التهجير والنفي للمسلمين واضطهادهم من الإسبان على يد محاكم التفتيش بأنها من أكثر القصص المؤلمة في التاريخ، بل من العسير العثور على نظيرها في أحداث العصور الوسطى والحديثة وإنها من أشنع الأفعال وأكثرها بربرية في تاريخ البشرية[2].

ويذكر لين بول Lane - Poole عن نهاية الثورة الأندلسية الكبرى فيقول: " كان السبي والنفي المصير الذي آل إليه من بقي حياً بعد الثورة، ولكن عدد هؤلاء لم يكن كثيراً... أولئك الذين أسروا والثورة مشتعلة أصبحوا عبيداً، وسيق الباقون إلى النفي تحت حراسة الجنود بينما شددت الحراسات على الممرات في التلال وكثير من المنفيين التعساء ماتوا في الطريق جوعاً وتعباً من الحر أو البرد، وتمكن آخرون من الوصول إلى افريقيا حيث عانوا من الفاقة ولم يجدوا أرضاً يحرثونها وبعضهم وصل فرنسا فقوبل بفتور الاستقبال "[3].

كان لقرار الطرد أسوأ الآثار الاجتماعية الاقتصادية على إسبانيا ولم تعوضها الخسائر والثروات والغنائم التي ظفرت بها من مستعمراتها في العالم الجديد وأدت العصبية الدينية التي هيجها طرد بقايا الشعب المسلم إلى أن يفتقد الأسباني علاقاته الطويلة مع إخوانه وأصدقائه المسلمين على أرض شبه الجزيرة الأيبرية[4].

---

(1) حتاملة، التنصير القسري للموريسكيين خارج شبه الجزيرة الابيرية في عهد الملك فيليب الثالث " مقالة مجلة دراسات، المجلد 10، الجامعة الاردنية، عمان 1983م، ص13، نقلاً عن ذنون، حركة المقاومة، ص73.

(2) ذنون، حركة المقاومة، ص75، نقلاً وترجمة عن
Imamuddin, Moriscos, PP. 93-9.

(3) وانظر بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص168،
Lane Poole. The Moors In Spain, (4 Th, Edition - 1890), P. 279.

(4) مكي، " تاريخ الأندلس " ص141

استوطن غالبية المهاجرين الأندلسيين في مدن عدوة المغرب مثل: فاس، الرباط، تطوان، وسلا، كما سكنوا في تونس والجزائر هاجر عدد منهم إلى مصر والشام وغيرها من الأصقاع.

تختلف الروايات في تحديد إحصائية المهاجرين فيذكر لين بول أن عددهم بلغ نصف مليون نسمة عام 1019هـ/ 1610م والمجموع الكلي للمبعدين المسلمين عن أسبانيا وصل إلى 3 ملايين مسلم.

خسرت إسبانيا النصرانية كثيراً من جراء التهجير القسري، فقد دمرت حكومة الملكيين الكاثوليكيين حضارة إنسانية شاملة وحرمت إسبانيا من العطاء العلمي الذي كان كالأنهار تجري في كل بقعة من أرض الأندلس، كما عطلت بعملها الاجرامي التعصبي الحياة العامة، وبكى عدد كبير من الإسبان المخلصين والمعتدلين جراء ذلك التهجير على إخوانهم العرب المسلمين الذين عاشوا معهم قرون طويلة على المحبة والوفاء والإخلاص إذ تقاسموا معهم رغيف الخبز وتم الاختلاط بالدماء والمصاهرات والإنجاب ولا يزال شعب إسبانيا يحتفظ بالدماء العربية النقية والحارة وتراث العرب الخالد في مكتباتهم العديدة.

=

Lane Poole. The Moors In Spain. P. 279.

المصادر الأولية والمراجع الثانوية

القرآن الكريم

الأحاديث النبوية الشريفة

المخطوطات:

1. الدر النفيس / مخطوط الخزانة العامة بالرباط.

2. النباهي المالقي / أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي (ت 797هـ/ 1390م).

الإكليل في تفضيل النخيل / مخطوط خزانة دير الإسكوريال بمدريد / أسبانيا، يحمل الرقم 1653 نسخة مصورة عند د. محمد بشير حسن العامري ضمن كتاب نزهة البصائر والأبصار، للنباهي المالقي، مخطوط الإسكوريال ويحمل الرقم 1653.

المصادر الأولية:

1. ابن الآبار البلنسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658هـ) الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة النشر، (القاهرة، 1963).

2. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الكامل في التاريخ، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت، 1965 - 1966 م).

3. ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم (ت 1092هـ).

4. ابن أبي زرع، ابو الحسن عبد الله الفاسي (ت 720هـ) الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط، 1963م) وطبعه (دار المنصور - الرباط 1951م).

5. ابن بسام الشربيني، أبو الحسن علي بن بسام (ت 524هـ) الذخيرة في

محاسن أهل الجزيرة، نشر جامعة فؤاد الأول (القاهرة 1939 - 1945م).

6. ابن تغري بردا، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي (ت 874هـ).

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (الطبعة الأوربية 1855م).

7. ابن جزي الكلبي الغرناطي، عبد اللـه بن محمد (ت أواخر ق 8هـ).

مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال (نشر بعنوان: كتاب الخيل) تحقيق: محمد العربي الخطابي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت 1406هـ/ 1986م).

8. ابن جلجل القرطبي، أبو داود سلمان بن حسان الأندلسي (ألفه عام 377هـ).

طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1955 م.

9. ابن حزم القرطبي، علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ).

أ. جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ذخائر العرب (القاهرة 1382هـ/ 1062م).

ب. فضائل الأندلس وأهلها (دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت 1397هـ/ 1068م).

10. ابن حيان القرطبي، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت 469هـ).

أ. المقتبس من انباء أهل الأندلس، تحقيق: د. محمود علي مكي (القاهرة 1390هـ/ 1971م).

ب. المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق المستشرق الفرنسي ملثور أنطوانيا (باريس 1937م).

ج. المقتبس في اخبار الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، (بيروت، 1965 م).

د. المقتبس (الجزء الخامس)، تحقيق: شالميتا، كورنيطي، محمود صبح، نشر المعهد الأسباني العربي للثقافة، (مدريد، 1979م).

11. ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت 367هـ).

صورة الأرض، نشر مكتبة دار الحياة (بيروت 1979م) عن طبعة ليدن 1938م.

12. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ).

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت 1959م).

13. ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت 776هـ).

أ. الإحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، (القاهرة 1393هـ/ 1979م).

ب. أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (نشر بعنوان: تاريخ إسبانيا الإسلامية)، تحقيق: أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1965) وطبعة (دار الكتاب - الدار البيضاء 1964م).

ج. اللمحة البدرية في الدولة النصرية، نشر دار الآفاق الجديدة، ط2، (بيروت، 1978م).

د. معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: د. محمد كمال شبانة، (الرباط 1397هـ/ 1977م).

ه. نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: د. محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1386هـ/ 1966م.

14. ابن دحية الكلبي الأندلسي البلنسي، الحافظ مجد الدين (ت 633هـ).

المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الابياري وآخرون، (القاهرة 1954م).

15. ابن دراج القسطلي، أبو عمر أحمد بن محمد (ت 423هـ).

ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق: د. محمود علي مكي، ط2، (مدريد 1961م).

16. ابن سماك العاملي المالقي الغرناطي، أبو القاسم بن أبي العلا (من أهل

ق 8هـ).

الزهرات المنثورة في نكث الأخبار المأثورة، تحقيق: د. محمود علي مكي، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، إسبانيا 1404هـ 1984م.

17. ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ) المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، (القاهرة، 1964م).

18. ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد الباجي (ت 594هـ) المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: د. عبد الهادي التازي، (بيروت 1383هـ/ى 1064م) له ترجمة بالأسبانية.

19. ابن عبد الحكم المصري، أبو القاسم عبد الرحمن القرشي (ت 257هـ).

أ. فتوح مصر والمغرب (القاهرة 1961).

ب. فتوح افريقية والأندلس (الجزائر 1947م) و(طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت 1964م).

20. ابن عذاري المراكشي، ابو عبد الله محمد (ت بعد 712هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ج1 - 3)، تحقيق ليفي بروفنسال وكولان (دار الثقافة، بيروت 1929م). الجزء الرابع، تحقيق: د. إحسان عباس (دار الثقافة بيروت - 1967م) الجزء الخامس (قسم الموحدين) تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1406هـ/ 1985م.

21. ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى محمد (ن 857هـ).

جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق: د. صلاح جرار، دار النشر (الجامعة الأردنية، عمان 1989) في 3 مجلدات.

22. ابن غالب الأندلسي، محمد بن أيوب بن غالب الغرناطي (من أهل ق 6هـ).

فرحة الأنفس في أخبار الأندلس، تحقيق: د. لطفي عبد البديع (مطبعة مصر 1956م).

23. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 270هـ) الإمامة

والسياسة (المنسوب إليه) (القاهرة 1331هـ).

24. ابن القطان الفاسي، أبو علي حسن بن أبي الحسن علي بن محمد (ت 628هـ).

نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق:. محمود علي مكي (تطوان 1965م).

25. ابن القوطية القرطبي، أبو بكر محمد (ت 367هـ) تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: خوليان روبيرا (مدريد 1868م) و(طبعة بيروت 1958م).

26. ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (ت بعد 573هـ).

الاكتفاء (نشر بعنوان: تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط)، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي (مدريد 1971م).

27. ابن مرزوق التلمساني، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 781هـ).

المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبا الحسن، تحقيق وترجمة للإسبانية، المستشرقة الأسبانية: ماريا خسوس بيكيرا (مدريد 1977م)، تعريب: محمود بو عباد (الجزائر 1981م).

28. ابن أبيك الداودي، أبو بكر بن عبد الله (ت حوالي 736هـ).

1. الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية.

2. كتاب كنز الدرر وجامع العزر، القاهرة، 1972م.

29. أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333هـ) طبقات علماء افريقية وتونس (الدار التونسية 1978م).

30. أبو الفداء، إسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة (ت 732هـ) المختصر في أخبار البشر (القاهرة 1325هـ).

31. الإدريسي، الشريف أبو عبد الله بن محمد (ت 560هـ).

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (طبعة ليدن 1894م)، عالم الكتب، ط1، (بيروت، 1989م) في مجلدين.

32. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت 356هـ).

الأغاني، (القاهرة، 1959م).

33. البيدق، أبو بكر الصنهاجي
أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، (الرباط 1971م).
34. البكري القرطبي، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ).
1. المسالك والممالك (نشر بعنوان جغرافية الأندلس وأوربا)، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، (بيروت، 1968م).
2. المغرب في ذكر افريقية والمغرب (الطبعة الأوروبية 1857م) نسخة مصورة.
35. الجزنائي، ابو الحسن علي (ت أواخر ق 8هـ).
زهرة الآس في بناء مدينة فاس، (الجزائر 1923م).
36. الحميدي الميورقي، أبي عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله (ت 488هـ).
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، (القاهرة 1372هـ/ 1952م).
37. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 710هـ).
الروض المعطار في خبر الإفطار، جزء منتخب من نشر بعنوان (صفة جزيرة الأندلس منتخبة) نشره: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1937) وطبعة د. إحسان عباس، بيروت 1975م.
38. خليفة ابن خياط، أبو عمر (ت 240هـ).
تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، مطبعة الآداب، (النجف، 1967م).
39. الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت 696هـ).
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، (تونس 1230هـ).
40. الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم (ت النصف الاول من ق 5هـ).
تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، (تونس، 1968).
41. الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد 545هـ).

كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، نشر الدراسات المشرقية المعهد الفرنسي بدمشق، العدد 21 (دمشق 1968م).

42. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ).

الملل والنحل، (القاهرة 1317هـ).

43. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت 599هـ).

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، طبعة مدريد 1884م

44. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ).

تاريخ الرسل والملوك، (طبعة القاهرة 1336هـ).

45. الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت 520هـ).

سراج الملوك، نشر المكتبة المحمودية التجارية بمصر، (القاهرة 1354هـ/ 1935م).

46. عبيد الله صالح (ت ق 8هـ).

نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، صحيفة المعهد للدراسات الإسلامية بمدريد (العدد الثاني 1954م).

47. العذري ابن الدلائي، أحمد بن عمر بن أنس (ت 393هـ/ 1085م).

ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك (نشر بعنوان نصوص عن الأندلس)، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد، 1969 م).

48. عبد الله بن بلقين (الأمير آخر ملوك بن زيري بغرناطة).

كتاب التبيان (نشر بعنوان مذكرات الأمير عبد الله) تحقيق: ليفي بروفنسال (دار المعارف، مصر 1955) له ترجمة للأسبانية من المستشرق الأسباني إميليو كارثية كومث.

49. الغساني، محمد بن عبد الوهاب (ت 1119هـ).

رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مطابع الفنون المصورة، (العرائس بالغرب، 1940).

50. القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ).
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (مطبعة القاهرة، 1913 - 1918 م).
51. المالكي، ابو عبد الله بن أبي عبد الله بن محمد (ت نهاية ق 4هـ).
رياض النفوس، تحقيق: د. حسين مؤنس، (القاهرة، 1951م).
52. عبد الواحد المراكشي، محيي الدين بن علي (ت 647هـ).
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (القاهرة 1949م) تقديم د. ممدوح حقي و(طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء).
53. المقدسي البشاري، محمد بن أحمد (ت 375هـ).
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، طبعة ليدن 1906م.
54. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ).
أ. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1949) ونسخة تحقيق: د. إحسان عباس (دار صادر، بيروت 1388هـ/ 1968م) في 8 أجزاء ومجلدات
ب. أزهار الرياض في أخبار عياض، عن طبعة القاهرة 1348هـ/ 1939م اعاد نشر (صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط 1978م).
55. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ).
1. البيان والإعراب عما بأرض مصر من الاعراب، مطبعة احمد مخيمر 1961م.
2. اتعاظ الحنفا ذكر الأئمة الخلفا، (القاهرة 1948م).
56. المسعودي، ابو الحسن علي (ت 346هـ).
أ. مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الرجاء للطبع والنشر (1357هـ/ 1938م).
ب. التنبيه والإشراف (دار التراث، بيروت 1388هـ/ 1968م).
57. المؤلف المجهول

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: د. سهيل زكار (الدار البيضاء، 1979).

58. المؤلف المجهول

أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: المستشرق الأسباني لافونتي القنطرة (مدريد 1867م)، طبعة: محمد أسامة الكرم، (دمشق، مكتبة عنبر، د. ت).

59. المؤلف المجهول

كتاب مفاخر البربر (نشر بعنوان: نبذ تاريخية في أخبار البربر في العصور الوسطى) تحقيق: ليفي بروفنسال (الرباط 1352هـ/ 1934م).

60. المؤلف المجهول

مدونة عبد الرحمن الناصر، تحقيق: ليفي بروفنسال وترجمة للإسبانية: اميليو كارثية كومث، (مدريد، غرناطة، 1950).

61. المؤلف المجهول

تاريخ فتح الأندلس، تحقيق وترجمة للأسبانية: خواكين كونثالث، (الجزائر، 1889).

62. المؤلف المجهول

الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد (الاسكندرية 1958م) وطبعة دار النشر المغربية ودار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) بغداد (مشروع النشر المشترك 1986م).

63. المؤلف المجهول

ذكر بلاد الأندلس، حققه وترجمة للإسبانية: لويس مولينا، نشر معهد ميغيل اسين، (مدريد، 1983).

64. النباهي المالقي، أبو الحسن علي بن محمد (ت قبل 793هـ) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر بعنوان: قضاة الأندلس، تحقيق: ليفي بروفنسال (طبعة القاهرة 1948) و(نشر المكتب التجاري، بيروت د. ت).

65. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ).
نهاية الإرب في فنون الأدب، (القاهرة 1923م).
66. النويري، محمد بن قاسم بن محمد (ت بعد 775هـ).
كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية، تحقيق: د. عزيز سوريال عطية (الهند، الدكن 1393هـ/ 1979م).
67. الواقدي، ابو عبد الله بن عمر (ت 207هـ).
فتوح افريقية، (تونس 1351هـ).
68. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله (ت 626هـ).
معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، 1977م).
69. اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت 284هـ).
كتاب البلدان، طبعة ليدن 1891م.

المراجع الثانوية:

1. إسماعيل محمود
الخوارج في المغرب الإسلامي (بيروت 1976م).
2. أبو الفضل، د. محمد احمد وسالم، د. عبد العزيز
تاريخ مدينة المرية الإسلامية (الاسكندرية 1981م).
3. احمد، عزيز
تاريخ صقلية الإسلامية
4. إقبال موسى
أ. المغرب الإسلامي، ط1 (قسطنطينية 1969م).
ب. دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية (الجزائر 1979م).
5. بروفنسال، ليفي
أ. الإسلام في المغرب والأندلس، تعريب: د. محمود عبد العزيز سالم.
ب. الحضارة العربية في أسبانيا، ترجمة: د. الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة (1399هـ/ 1979م).

6. البستاني، بطرس
معارك العرب في الأندلس (دار الجيل، بيروت، 1980م).
7. بشتاوي، عادل سعيد
8. ابن عبود، د. محمد
التاريخ السياسي والاجتماعي لأشبيلية في عهد دول الطوائف (نال الكتاب جائزة المغرب عام 1983(تطوان 1983م).
9. البيداق، د. محمد صالح
يحيى بن الحكم الغزال (دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م).
10. توبريان
الإسلام في الأندلس، آخر بني سراج، ترجمة: شكيب أرسلان: (دار الحياة، بيروت 1985م).
11. الجنحاني، د. الحبيب
المغرب الإسلامي (تونس 1976م).
12. الحجي، عبد الرحمن علي
أ. التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الاعتصام، (القاهرة، 1983م).
ب. أندلسيات، المجموعة الأولى (بيروت 1388هـ/ 1969م).
المجموعة الثانية (بيروت 1389هـ/1969م).
ج. الحضارة الإسلامية في الأندلس، بيروت 1389هـ/ 1969م.
د. محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها (الكويت 1407هـ/ 1987م).
13. حتاملة، د. محمد عبده
التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكيين الكاثوليكيين، 1474 - 1516م، عمان 1980م.
14. حركات، إبراهيم
المغرب عبر التاريخ

15. حسن، د. حسن إبراهيم

1. تـاريخ الإسـلام الـسياسي والـديني والثقـافي والاجتماعـي، ط7، (القـاهرة 1964م).

2. انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى.

16. حومد، د. اسعد

محنة العرب في الأندلس (بيروت 1980م).

17. خضر، د. حازم عبد الـلـه

1. ابن شهيد الأندلسي (حياتـه وادبهـ) دار الـشؤون الثقافيـة والنـشر (بغـداد 1984م).

2. النثر الأندلسي في عهد الطوائف والمرابطية منشورات وزارة الثقافـة والاعـلام (سلسلة دراسات رقم 244، بغداد 1981م).

18. خلاف، د. محمد عبد الوهاب

قرطبـة الإسـلامية في ق 5هــ/ 11م، (الحيـاة الاقتـصادية والاجتماعيـة، الـدار التونسية للنشر 1984م).

19. الدوري، د. تقي الدين عارف

صقلية وعلاقاتها بدول البحر المتوسـط الإسـلامية (دار الرشـيد للنـشر، بغـداد، 1980م).

20. السامرائي، د. خليـل إبـراهيم وذنـون، د. عبـد الواحـد طـه، والنـاصري، د. ناطق احمد مطلوب

أ. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعـة الموصـل، دار الكتـب للطباعـة والنشر 1986م.

ب. تاريخ المغرب العربي، جامعة الموصل 1418هـ/ 1988م

21. ذنون، عبد الواحد

أ. الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والأندلس، (ميلانو، بغداد 1983م).

ب. دراسات أندلسية، المجموعة الاولى، (الموصل، 1986م).
ج. دراسات في التاريخ الأندلسي، طبع بمطابع جامعة الموصل، مديرية دار الكتب، (الموصل، 1987م).
د. موسى بن نصير، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، 1989م).
ه. حركة المقاومة العربية الإسلامية بعد سقوط غرناطة، هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1988م).
22. راضي، علي محمد
الأندلس والناصر (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر 1967م).
23. سالم، د. عبد العزيز
أ. المغرب الكبير (العصر الإسلامي) (القاهرة 1966م).
ب. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (دار النهضة العربية بيروت 1981م).
ج. تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي (الاسكندرية 1982م).
د. تاريخ البحرية الإسلامية، مشترك مع العبادي (دار النهضة المصرية، القاهرة د. ت).
24. السلاوي، احمد بن خالد الناصري
الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى (الدار البيضاء 1954م).
25. السائح، حسن
الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2 (الدار البيضاء 1406هـ/ 1986م).
26. السنوي
الدرر السنوية
27. سليمان، احمد سعيد
تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الاسر الحاكمة
28. الشنقيطي، ماء العينين

الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنقيط

29. طرخان، إبراهيم علي

دولة القوط الغربيين، (القاهرة، 1958م).

30. العبادي، احمد مختار

أ. في تاريخ المغرب والأندلس (الاسكندرية، د. ت).

ب. معالم تاريخ المغرب والأندلس (القاهرة 1980م).

ج. في التاريخ العباسي والأندلسي (بيروت 1970م).

د. الصقالبة في إسبانيا، المعهد المصري للدراسات الإسلامية (مدريد 1953) له ترجمة للإسبانية للمستشرق الأسباني فرناندو دي كرانخا في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية العدد 13 (مدريد 1965 – 1966م) الصفحات 119 - 136.

ه. تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط (دار النهضة المصرية د. ت).

31. عبد الحميد، سعد زغلول

تاريخ المغرب العربي (الاسكندرية 1979 م).

32. عبد الوهاب، حسن حسني

ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، (تونس 1965 – 1966 م).

33. العدوي، إبراهيم احمد

الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، (مكتبة نهضة مصر - القاهرة 1963م).

34. العربي، محمد

بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (العراق دار الرشيد للنشر 1982م).

35. عنان، محمد عبد الله

أ. مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط4، نشر مؤسسة الخانجي، (القاهرة، 1963).

ب. دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مطابع لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1969م).

ج. دول الطوائف (القاهرة 1389هـ/ 1969م).

د. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، (القاهرة 1386هـ/1966م).

ه. عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ط1 (القاهرة 1964م).

36. الغناوي، مراجع

قيام دولة الموحدين، (بنغازي 1971م).

37. محمد، د. سوادي عبد

دراسات في تاريخ المغرب العربي (البصرة 1989م).

38. محمود، حسن احمد واحمد إبراهيم شريف

العالم الإسلامي في العصر العباسي (دار الفكر العربي 1977م).

39. مكي، د. محمود علي

مدريد عربية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، د. ت).

40. مؤنس، حسين

أ. فتح العرب للمغرب (القاهرة 1947م).

ب. معالم تاريخ المغرب والأندلس (القاهرة 1980م).

ج. فجر الأندلس، الشركة لعربية للطباعة والنشر، (القاهرة، 1959م).

د. غارات النورمان على الأندلس (القاهرة 1949م).

41. الشيخلي، درويش

السفن الإسلامية على حروف المعجم (الاسكندرية 1974م).

المقالات في المجلات والدوريات:

1. بدر، د. أحمد

" الحياة الفكرية في الأندلس " مقالة في مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد: 19 - 20 نيسان - تموز 1985 م الصفحات 106 - 129.

2. الجنحاني، الحبيب

" الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر، من خلال المقتبس لابن حيان " مقالة في مجلة المناهل المغربية، العدد: 29السنة الحادية عشرة، الرباط 1404هـ/ 1984م.

3. ذنون، د. عبد الواحد

أ. " قيام الممالك الأسبانية وعلاقتها مع العرب في الأندلس " مقالة في مجلة أوراق الأسبانية يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، إسبانيا العدد: 5 - 6 لعام 1982 - 1983 الصفحات 89 - 98.

ب. " تنظيمات الجيش في الدولة العربية في العصر الأموي " مقالة نشرت في دراسات التاريخ الأندلسي (للمؤلف) الموصل 1987 م، الصفحات 35 - 88.

4. العبادي، د. احمد مختار

" صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس " مقالة في مجلة البينة (الرباط 1962 - 1963م).

5. الكبيسي، د. خليل إبراهيم

" ابو علي القالي البغدادي وآثره على الفكر الأندلسي " مقالة في مجلة المؤرخ العربي يصدرها اتحاد المؤرخين العرب، العدد25 (بغداد 1404هـ/ 1984م) الصفحات 321 - 360.

6. مكي، د. محمود علي

" تاريخ الأندلس السياسي " مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، إشراف د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت 1998م) الصفحات 55 - 150.

7. المنوني، محمد

" ثقافة الصقالبة بالأندلس " مقالة مجلة أوراق الأسبانية يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة بمدريد، العدد 5 - 6 (مدريد 1982 – 1983 م) الصفحات 21 - 29.

الرسائل الجامعية:

1. الخالدي، خالد يونس عبد العزيز

" اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس " رسالة دكتوراه باشراف د. خليل إبراهيم الكبيسي، جامعة بغداد كلية الآداب 1420هـ/ 1999 م (غير منشورة مكتوبة بالطابعة).

المراجع الاجنبية:

1. Aguado Bleye

Manuel de la Historla de Espana.

Madrid 1947

2. Al fonso X el sabio, Primera Cronica General, ed.

Menendez Pidal

3. Cayetan Rosell, Biblloteea De Autores Alhambra Espanoles Historiadores De Sucesos Particulares Tomo I, (Madrid 1852).

4. Comte De Circourt, Histoire De Arabes De Espagae Paris 1846.

5. Fasc Elias Teres sabad, " sobre el vuelo"de. Abbas Ibn. firas, Revlsta de al - Andalus, vol.XXIV , Madrid (1964).

6. Hulci Hiranda ' La Campana de Alarcos, vol. II, Madrid 1954

7. Isidro de Sevilla Cronica (Espana Sagrada, Madrid 1747 - 1886, 51 Tomos).

8. Jaime De Belda, Cronica De Los Moros De Espana V alencia 1618.

9. Javier Simonet, Francisco Historia de los Mozarabes de Espana, ed. Turner, Madrid 1983, 4. vols.

10. Jacinto Bosch Vila, La Sevilla Islamica (712 - 1248), Sevilla 1984.

11. Jaime Oliver Asin " Las dos Almuzaras " Revista al - Andalus Madrid - Granada 1962, Fasc. I.

12. Joaquin Vallve Bermejo, La Conquista Arabe de Espana, Madrid 1989.

13. Lane Poole, The Moors In Spain, London 1890

14. Levi - Provencal - de Espana Musulmana, traduccion Espanola Por ; Emilio Gomez, Espasa - calpe, Madrid 1957

15. Saavedra, Eduardo, Estudiosobre la invasion de los Arabes en Espana, 1882

16. Torres Balbas, AL - Muzara, R, al - Andalus, 1959, fasc

17. Velazquez Bosco, R. Excavaciones en Medina Azahara, Madrid 1923.

فهرس المحتويات

المقدمة 3

الفصل الأول/ أسبانيا قبل الفتح العربي الإسلامي... 5

دوافع فتح أسبانيا 5

خطة فتح أسبانيا وأهم قادة الفتح.. 5

أسبانيا قبل الفتح العربي الإسلامي 7

نظام الحكم السياسي... 9

المجتمع الأسباني في ظل حكم القوط وقبل الفتح العربي الإسلامي......................... 10

الحالة الدينية لأسبانيا... 13

وصف جغرافية ومناخ أسبانيا 15

دوافع الفتح العربي الإسلامي لأسبانيا: 92هـ/711م... 16

فتوحات طارق بن زياد وانتصاراته بعد معركة شذونة.. 29

خط سير فتوحات القائد طارق بن زياد في الأندلس.. 32

اتفاقية الوالي عبد العزيز بن موسى وتدمير 36

الفصل الثاني/ عصر الولاية الأندلسية 39

جدول بأسماء الولاة الذين تم اختيارهم من عامل افريقية والخليفة الأموي 40

مشاهير ولاة الأندلس... 42

معركة بلاط الشهداء: رمضان 114هـ.. 46

الفصل الثالث/ الإمارة والخلافة الأندلسية 53

أ - الإمارة الأندلسية 55

عبد الرحمن الداخل وإعلان الإمارة 55

أ. سياسته.. 55

ب. وإصلاحاته.. 55

ج. جهاده... 55

صفات عبد الرحمن الداخل.. 60
سياسته 61
جدول بأسماء امراء الأندلس 66
إصلاحات أمراء الأندلس... 67
1 - الجانب العمراني.. 67
2 - بناء القناطر والجسور والحصون والقلاع والأسوار والقصور............. 68
3 - الإنجازات العامة 70
4 - الحركة الثقافية 72
أبرز الأحداث التي ظهرت في عصر الإمارة 76
الأحداث الداخلية.. 76
أولا: فتنة أو هيج حي الربض في قرطبة في عهد الأمير حكم الأول حيث وقعت الحادثة قرب المسجد الجامع بقرطبة عام 202هـ/ 818م 76
نتائج حادثة الربض.. 78
ثانيا: حركة المولدين 80
ثالثا: تمرد عمر بن حفصون وأبنائه من المولدين 81
رابعاً: المستعربون الانتحاريون 85
ابرز الاستنتاجات عن هجمات النورماند 88
ب - عصر الخلافة الأندلسية.. 97
إمارة عبد الرحمن الناصر وإعلان الخلافة سنة 316هـ.................... 97
سياسته – إصلاحاته – جهاده 97
سياسته الدبلوماسية 101
سياسته 103
الإصلاحات الاقتصادية.. 110
الازدهار الثقافي.. 111
الإصلاحات العسكرية 114
اخطار الممالك الأسبانية.. 117

الخليفة الحكم المستنصر بالـله 350-366هـ/961-976م 119
سياسته 119
جهاده 120
من أبرز الحملات البحرية التي حدثت مع الممالك الأسبانية.. 122
إصلاحاته.. 123
الإصلاحات العمرانية.. 126
الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالـله 366 - 399هـ/973 - 1008م.. 131
أهم أحداث عصره.. 131
محمد بن أبي عامر (المنصور العامة) وصوله إلى الحكم، سياسته، حروبه اصلاحاته......... 132
نسبه ووصوله للحكم.. 132
جهاد (حروب) الحاجب المنصور العامري.. 139
أهداف الحملات الجهادية.. 141
السمات العامة للحملات.. 141
جدول حملات الحاجب المنصور المتكررة على الممالك الأسبانية حسب ترتيبها الزمني.. 143
نتائج حملات المنصور العامري.. 146
سياسة الحاجب المنصور العامري في عدوة المغرب.. 147
الحاجب عبد الملك بن المنصور (المظفر) سياسته، حروبه 153
سياسته 154
جهاده وحروبه 156
أبرز الملاحظات العامة على الحملات الجهادية.. 156
الحاجب عبد الرحمن بن المنصور (شنجول) ونهاية الخلافة.. 159
الفصل الرابع/ أسباب ضعف ونهاية الخلافة الأندلسية 161
أشبيلية 171
بلنسية Valencia 177
سمات وإنجازات عهد الطوائف 181

الفصل الخامس/ المرابطون والموحدون ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس 187

المرابطـــون ودورهـــم الـــسياسي والعـــسكري في الأنـــدلس 448 - 541 هـــ/ 1056 - 1147م 189

دورهم السياسي 190

الدافع الديني لإنقاذ المسلمين في الأندلس.. 191

معركة الزلاقة عام 479هـ/ 1086م 193

النتائج والقيم والمعاني التاريخية لموقعة الزلاقة 195

سمات حكم المرابطين وجهادهم وإصلاحاتهم في الأندلس........................ 201

عصر الموحدين في الأندلس 540 – 620هـ/ 1145 – 1223م 203

الفصل السادس/ سلطنة غرناطة ونهاية الحكم العربي في الأندلس 213

سياسة غرناطة تجاه قشتالة وأراغون Aragon / Castilla 220

معركة طريف عام 741هـ/ 1340م.. 223

الدبلوماسية الغرناطية.. 225

جدول بأسماء سلاطين غرناطة وسنوات حكمهم.. 227

إصلاحات سلاطين غرناطة 230

أسباب ضعف وسقوط غرناطة.. 233

معاهدة تسليم غرناطة.. 235

الثورات الغرناطية بعد معاهدة التسليم.. 241

1 - ثورة البيازين Albaicin في غرناطة عام 904هـ/ 1499م 242

2 - ثورة البشرات Alpuxarras ، Alpujarras عام 906هـ/ 1501م........................ 243

محاكم التفتيش.. 245

الأصداء التاريخية عن ممارسات محاكم التفتيش.. 248

الهجرات من الأندلس بعد سقوط غرناطة 249

المصادر الأولية والمراجع الثانوية..252

فهرس المحتويات..269

ملحق الصور 273

ملحق الصور





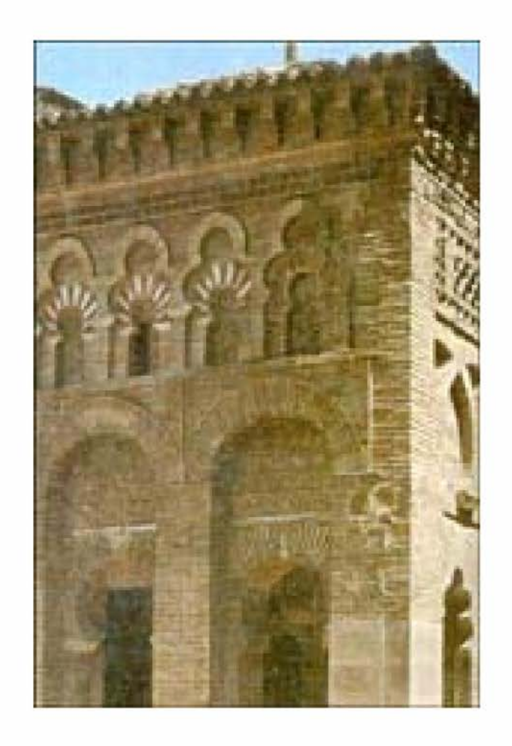



فرنسا
France
اشتورش
Asturias
نبارة
Navarre
Buffer
منطقة عازلة
قرطبة
Cordoba Emirate
وضع الاندلس (نحو عام ٨٠٠ م)
Design by Walid Trabeulsi











الأندلس الإسلامية









